

- الديسة: السياحة والحضارة
- عالمية التجارة الإلكترونية
- متحف مدام توسو للشمع

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٨٤ - جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ - يونيو ٢٠٠٨م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 384 - June 2008

التربية الجنسية في مناهج التعليم



يؤدي الجنس دوراً مهماً في حياة الإنسان؛ فالتوالد من أهم ظواهر الطبيعة، وهو طاقة من أكثر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم، وقد يترتب على نقص التربية الجنسية في إطار التربية الإسلامية ارتكاب المحرمات، أو تجاوز حدود شرعية، فكيف نوفر لأبنائنا تربية جنسية سليمة؟

إدارة التحرير
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
نايف بن مارق الضبط
حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني
الوليد إبراهيم دينار

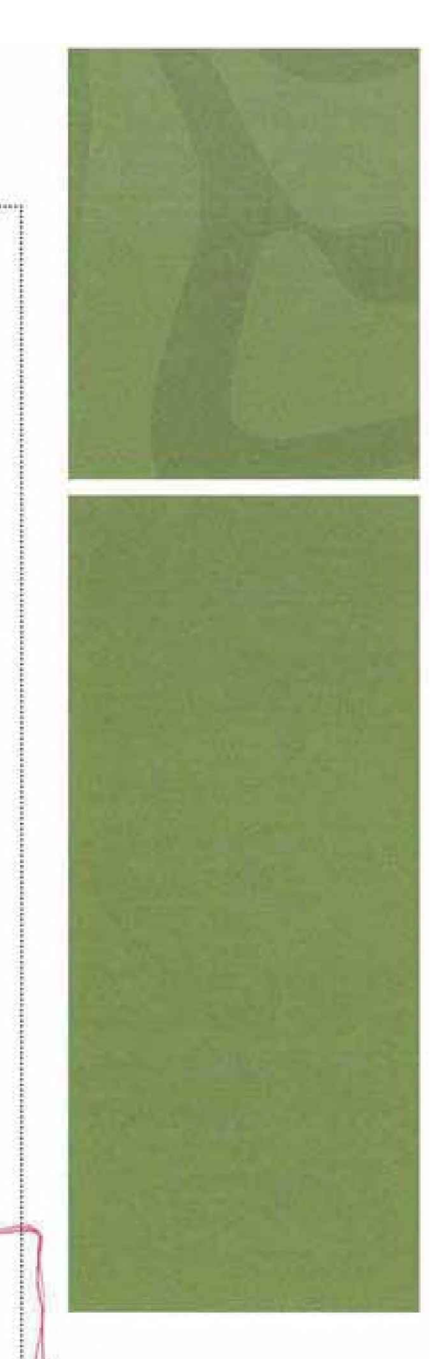
المراسلات للتحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات.
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ٤١/٢٤٥٠
ردمد ٠٤١١ ـ ٨٥٢٠

الناشر
دار الفيصل الثقافية



ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.

المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.

يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٠٨٠٠ فلسا. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٥٧٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤جنيهات. السودان ١٥ جنيهاً. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٣٥٠، ١دينار. الجزائر ٨٠ ديناراً. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٤٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢... سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨١٢٨٢١٢ فاكس ٢١٢٣٥٢٢. ١١. ٠٠٩٦٣. تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٣٣/ هاتف ٩٣٢٣٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦. قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤. الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢. البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١. الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥. المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢/٣١/٢٢٤٠٤٠٣١. ٠٠٢١٢. ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣. الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧. فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







واسطة العقد

ها أنذا الكسول.. أكتب لكم بعد لأي وتسويف..!! منذ أكثر من سنة بدأت أقتنيها باستمرار. إذ كنت تواقاً إلى إعادة علاقتي بها التي استمرت منذ نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات حتى بعد المنتصف بقليل، فقد أدركتنا سنون الكدّ والعمل ورياح اللهاث الأولى.. وما زلنا!! لكن ربما لأننا تيقنا أن العمر ينتهي.. ولا تنتهي الأعمال.. فلا بد من الرجوع إلى المتع الحسيّة الراقية، والهوايات النخبوية الجميلة. فلا أجمل من حياة التأمل في كتاب ماتع وشائق، أو مجلة محكمة كمجلتي الأثيرة «مجلة الفيصل».. التي حافظت على نسقها وهويتها على الرغم من رياح التغيير التي هبت على أشرعتها الأجمل..

بالطبع مازلت محتفظاً بتلك الأعداد العتيقة التي أعدها كنزاً أورثه الأبناء الآن.. على بعدهم عن القراءة الجادة الرصينة، ربما لصغر سنهم الآن.. ولكثرة الملهيات فيما حولهم، لكنها تبقى واسطة العقد في مكتبتي المتواضعة.

في العدد الأخير ٣٨٢ لا أدري هل واكبتم موضة الدايت والريجيم القاسي!! لمجلتنا العزيزة؟! بقلة الأوراق.. أم ماذا.. على الرغم من دسامة الموضوعات.. الصور الخلفية. وبحكم حبي للتصوير، أجد أنها أكثر من رائعة.. يبقى حجم المجلة وطريقة التنضيد (التجليد) أرى أن يتم إعادة النظر فيها؛ لأنها تذكرني ببعض مجلات الأندية الأدبية الخواء.. كما أرى أنه لا يمنع أخذ بعض سبق ومميزات طريقة إعداد الأعداد الأولى مادامت جميلة!! كوضع ببلوغرافيا مصورة ومختصرة لكتاب كل عدد..؟! كما كان في السابق.. كما أمل أيضاً التخفيف ما أمكن من غلواء النخبوية في الموضوعات المنشورة.. لتنزل للقراء بمختلف درجاتهم.. وأخيراً - وليس آخراً - الاهتمام بالتوزيع..

كلمات أكبر من تساؤلاتي.. إلا أن هذا لا يمنعني من إسداء المعروف إلى أهله بالشكر والثناء والملاحظة والاقتراح، وإن قسا..

وتقبلوا أطيب التحيات.. متمنياً للجميع نهاية أسبوع ماتعة.

سليمان الهويريني

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٦٧٥ - ص.ب

١٠٢٤٨٠

التحرير:

نشكر لك رسالتك المعبرة عن مدى ارتباطك بمجلتك «الفيصل». وما قلته عن عدم قراءة الأجيال الجديدة أخذناه في الحسبان؛ لذا تمّ تخفيف الحجم، والارتقاء بالنواحي الفنية، والحرص على وجود عناصر جاذبة. وما قدمته من رؤى نعتز به، وسوف يؤخذ في الحسبان. مكررين لك الشكر والتقدير.

«الفيصل» شكل ومضمون

يبهجني وجود مجلتكم التي تزوّد أبنائنا بمختلف العلوم بكليتنا شهرياً.



والغريب في الأمر أن مجلة «الفيصل» تتفوق على كل المجلات بالعالم بمهارة شكلها الإصداري، ولكونها تتضمن معلومات شتى لا يحصى عددها. أنا وأخلائي دوماً نتابع قراءة مجلتكم، وأعبّر عن تقديري ومحبتي لكلّ من يساهم في هذا العمل، الذي لا ينقطع ثوابه أبداً.

أرجو أن يشتمل عددها القادم على موضوع خاص حول «كيفية استئصال شأفة الإرهاب من العالم».

وأنا حين أواصل قراءة مجلة «الفيصل» أشعر بغبطة وفرحة في قلبي لأنكم تقومون بمسؤولية تجاه المجتمع.

تقبلوا تحيات أخيكم

محمد حاشر

كلية الشيخ أبو بكر للفنون والعلوم الإسلامية

كارتل - كيرلا - الهند

التحرير:

يسعدنا وصول مثل هذه الرسالة من قارئ في الهند، مما يطمئننا بأن هناك من يقرأ ويتابع، ويحرص على إبداء الرأي.

نشكر لك رسالتك، وما عبرت عنه من مشاعر، ونأمل أن تنال المجلة رضا قرائها في كل مكان.

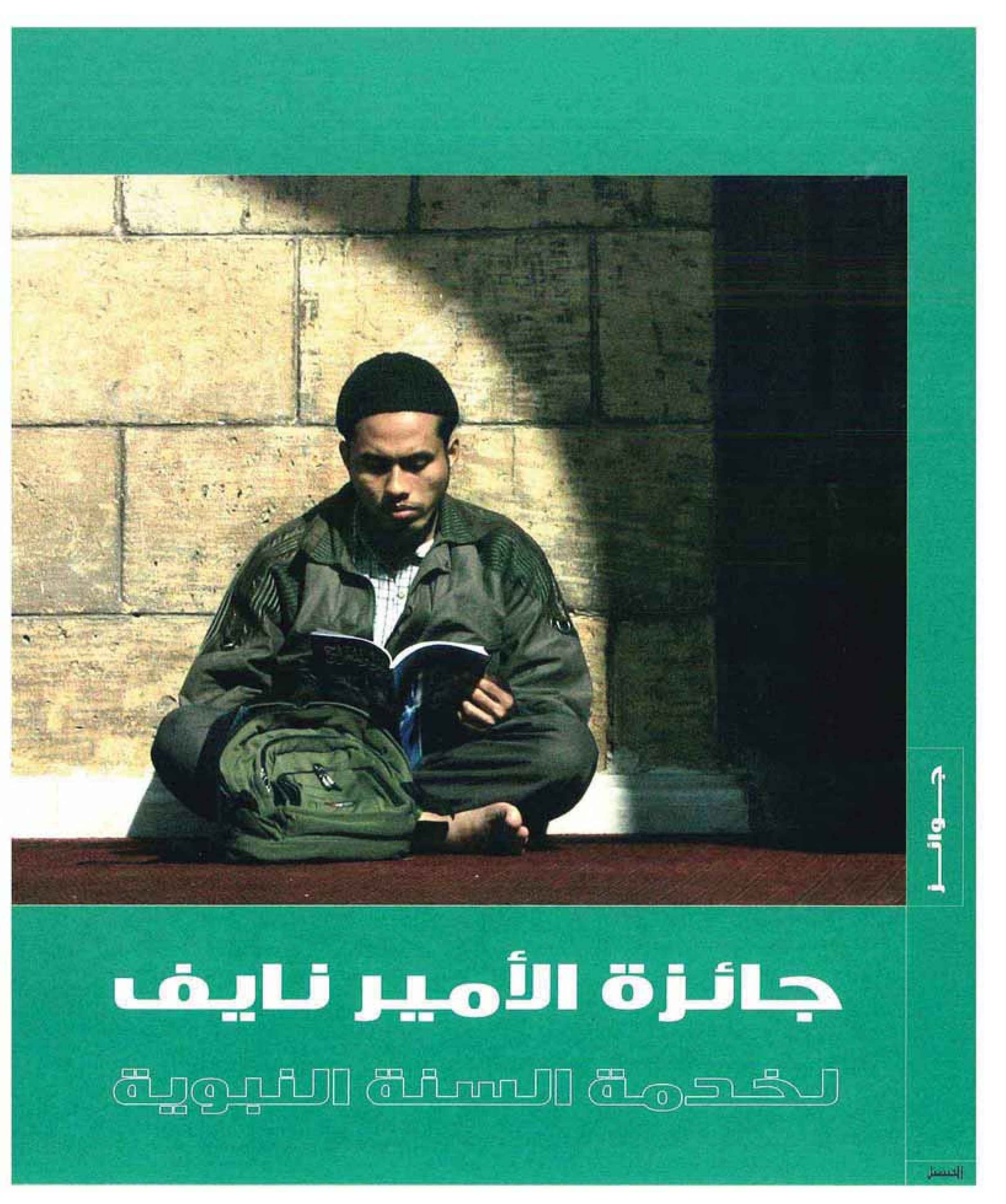
توحيد مطالع الشهور

يسعدني أن أفتخر بهذه المجلة المعطاء وتقدمها وشدها القارئ، واستشرافها المستقبل، مع تطورها، وفقكم الله. ولي اقتراح ربما يجدر بنا أن نعود إليه بعدما طرح في كثير من المنابر والمجلات، ولكنه ترك جانباً، إما تجنباً للخوض فيه، وإما إقلالاً من شأنه، وهو وحدة وتوحيد مطالع الشهور القمرية، واعتمادها على العلوم الحديثة، حتى تتفق الأمة العربية والإسلامية، وخصوصاً في مطلع شهر رمضان المبارك، وهذا يخدم المصلحة القومية ككل والعربية والإسلامية، حتى في اتحاد الرأي والصف، ونكون أمة واحدة، وهذا مبدأ أعطانا إياه الله عزّ وجلّ، وأمرنا به، وهذا لا يخفى على أعداء الإسلام، الذين يتربصون به دائماً، ويريدوننا متفرقين مشرذمين، والساسة - وهم القادة - هم أو بعضهم ممن خلصت نواياهم يستطيعون - بعون الله - المبادرة.

التحرير:

نشكر لك اهتمامك بمتابعة المجلة، ويسرنا أن نفسح المجال لك لطرح رأيك هذا، وكلنا أمل أن ترسّخ جسور الوحدة والتآلف بين أبناء الأمة.

«الفيصل الأدبية» دورية تصدر كل ثلاثة أشهر، ويسعدنا أن نبعث إليك نسخة من العدد الأخير، أما الطريقة المثلى للحصول عليها شهرياً فهي الاشتراك، وقيمته ٥٠ ريالاً سنوياً للأفراد، و٨٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة.



سليمان بن عبدالله أبا الخيل

الرياض - السعودية

تُعَدُّ السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني من مصادر الفقه الإسلامي، بل قد تعد المصدر الأول في كثير من الأحكام.
والرسول صلى الله عليه وسلم أوتي القرآن والسنة معاً، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ (الأحزاب: ٣٤) وقال سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ١٢٩).

وقد ذكر الشافعي، ويحيى بن كثير، وقتادة، وغيرهم: أن المقصود بـ الحكمة، السنة؛ لأن ما يتلى في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إما القرآن، وإما السنة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: بيننا وبينكم القرآن فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٣ - ٤).

وأمر باتباعه وطاعته، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (آل عمران: ٣٢).

وحذرنا من مخالفته فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

ولم يجعل لنا الخيرة أمام حكمه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

وجعل ذلك من أصول الإيمان، فقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

وفرض على المؤمنين طاعته؛ لأنها من طاعة الله فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

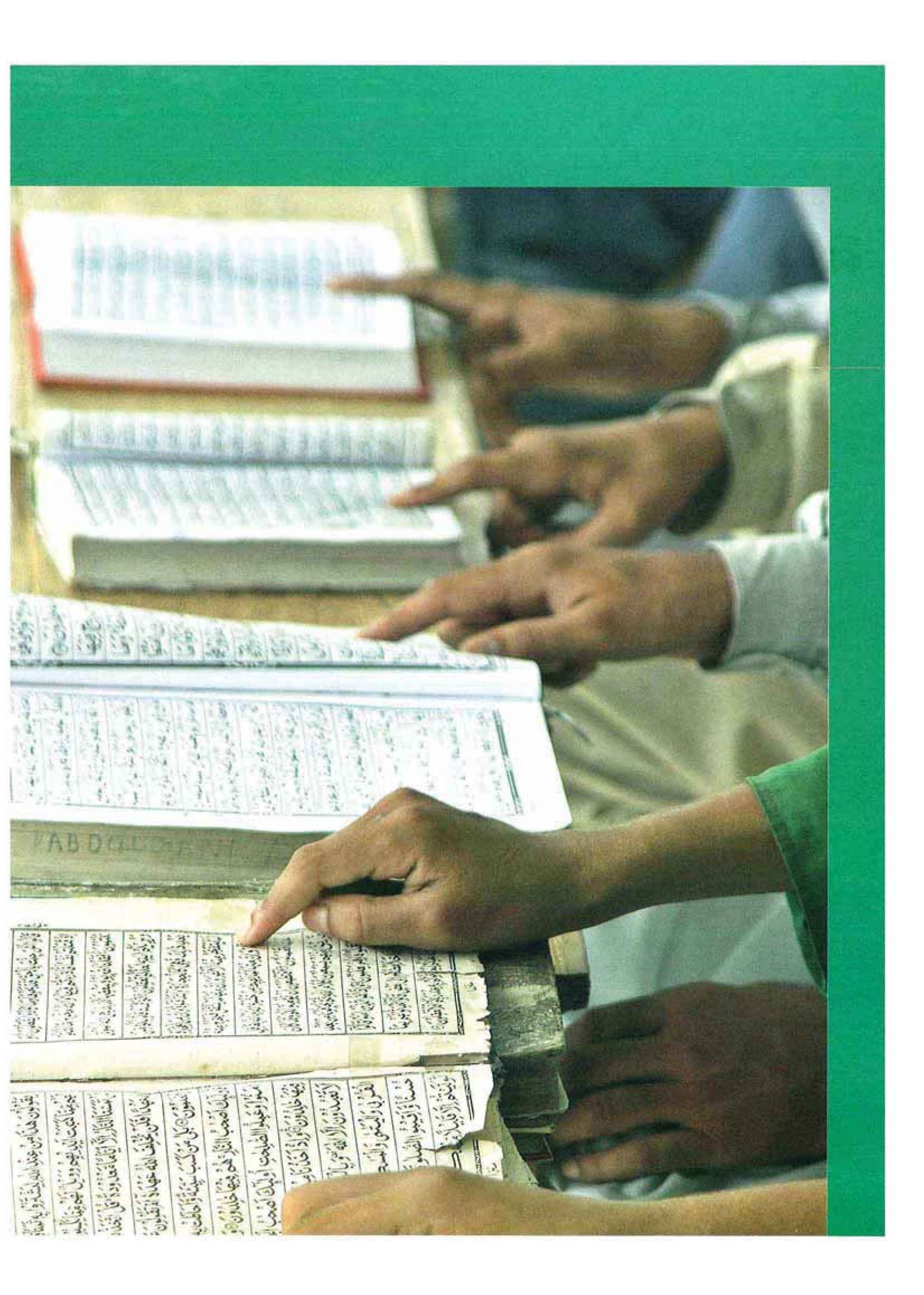
أحكام الحياة والموت

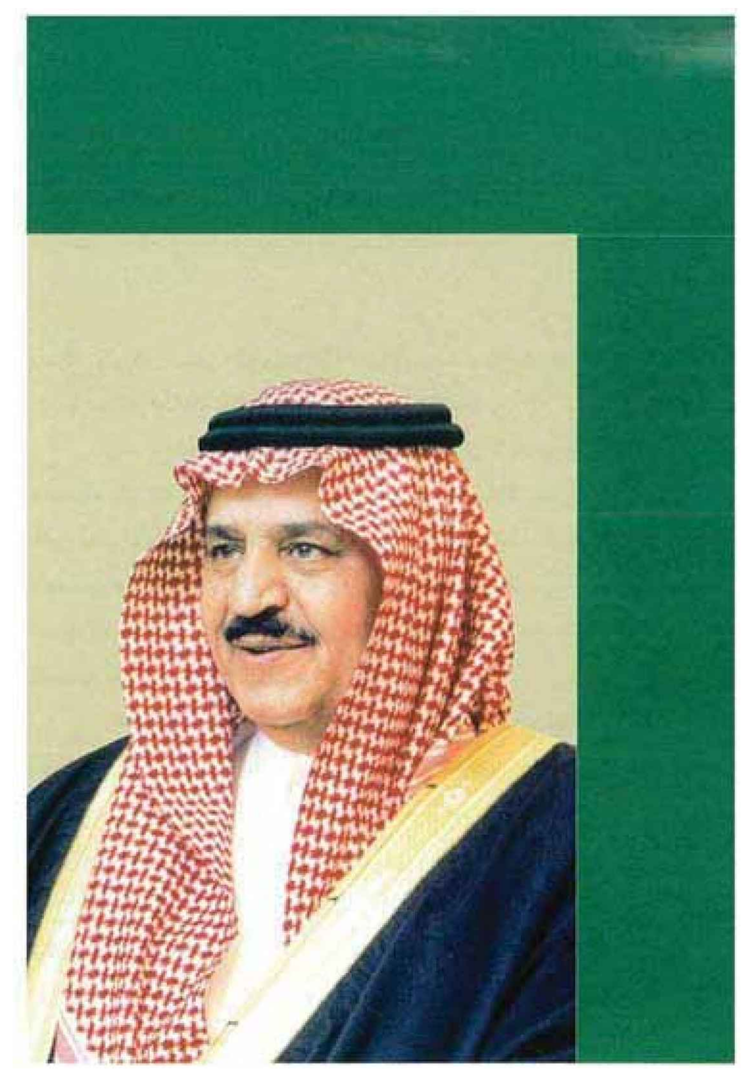
وهذه النصوص تقطع دابر الشك في وجوب الأخذ بالسنة في الأدلة الشرعية، وعدّها في المقام الثاني بعد القرآن؛ لمكانتها في نفس المؤمن، وتثبت المسلمين في نقلها بصورة لم يعهد لها نظير في تاريخ الأديان، فقد بذلوا جهوداً عظيمة وجبارة لتمييز الصحيح من غيره فيما نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إن السنة جاءت مفسرة، ومبينة، وشارحة لكثير مما جاء في القرآن الكريم من أحكام مجملة، لا يمكن معرفتها إلا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم بيّن للناس ما نُزّل إليهم من ربهم بياناً كاملاً شاملاً في دقيق أمورهم وجليلها، وظاهرها وخفيّها، حتى علمهم ما يحتاجون إليه في مآكلهم ومشاربهم، ومناكحهم، وملابسهم، ومساكنهم، وما يحتاجون إليه في معاملة الخلق، وعلمهم كيف يتعاملون بينهم في البيع، ونحوه، حتى قال أبو ذر - رضي الله عنه -: «لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً».

وفي صحيح مسلم، عن سلمان - رضي الله عنه - أنه قيل له: «قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول».

قال ابن القيم - رحمه الله - في «إعلام الموقعين»: «وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، علمهم كل شيء حتى آداب التخلي، وآداب الجماع، والنوم، والقيام، والقعود، والأكل، والشرب، والركوب، والنزول، والسفر، والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي، والملائكة، والجن، والنار والجنة، ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي العين، وعرفهم معبودهم وإلههم أتم التعريف؛ حتى كأنهم يرونه، ويشاهدونه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، وعرفهم الأنبياء وأممهم، وما جرى لهم، وما جرى عليهم معهم، حتى كأنهم كانوا بينهم، وعرّفهم من طرق الخير والشر دقيقها وجليلها، ما لم يعرّفه نبي لأمته قبله.





الأمير نايف بن عبد العزيز

وعرّفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ، وما يحصل فيه من النعيم والعذاب للروح والبدن ما لم يعرّف به نبي غيره، وكذلك عرّفهم صلى الله عليه وسلم من أدلة التوحيد، والنبوة، والمعاد، والرد على جميع أهل الكفر والضلال ما ليس لمن عرفه حاجة من بعده، اللهم إلاّ إلى من يبلغه إياه، ويبيّنه، ويوضح منه ما خفي عليه، وكذلك عرّفهم صلى الله عليه وسلم من مكايد الحروب، ولقاء العدو، وطرق النصر والظفر، ما لو علموه، وعقلوه، ورعوه حق رعايته لم يقم لهم عدوّ أبداً، وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أحوال نفوسهم وأوصافها، ودسائسها وكمائنها، ما لا حاجة لهم معه إلى سواه، وكذلك عرفهم صلى الله عليه وسلم من أمور معايشهم ما لو علموه وعملوه، لاستقامت لهم دنياهم أعظم استقامة. وبالجملة فقد جاءهم بخير الدنيا والآخرة برُمّته، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه، فكيف يظن أن شريعته الكاملة، التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها، ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها؟ أو إلى قياس، أو حقيقة، أو معقول خارج عنها؟

وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك، وقلة نصيبه من الفهم، الذي وفق الله له أصحاب نبيه فاكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عما سواه، وفتحوا به القلوب والبلاد، وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا، وهو عهدنا إليكم.

وقد كان عمر - رضي الله عنه - يمنع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية أن يشتغل الناس به عن القرآن، فكيف لو رأى اشتغال الناس بآرائهم، وزَبَد أفكارهم، وزبالة أذهانهم، عن القرآن والحديث؟ فالله المستعان.

وقد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧).

وكيف يشفي ما في الصدور كتاب لا يفي هو وما تبينه السنة بعشر معشار الشريعة؟ أم كيف يشفي ما في الصدور كتاب يستفاد منه اليقين في مسألة واحدة من مسائل معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؟ أو عامتها ظواهر لفظية دلالتها موقوفة على انتفاء عشرة أمور لا نعلم انتفاءها، سبحانه هذا بهتان عظيم!!.

وعجباً! كيف كان الصحابة والتابعون قبل وضع هذه القوانين، التي أتى الله بنيانها من القواعد، وقبل استخراج هذه الآراء والمقاييس والأوضاع؟

أكانوا مهتدين مكتفين بالنصوص، أم كانوا على خلاف ذلك؟ حتى جاء المتأخرون فكانوا أعلم منهم، وأهدى، وأضبط للشريعة، وأعلم منهم بالله وأسمائه وصفاته، وما يجب له، وما يمتنع عليه منهم؟ فو الله لأن يلقى الله عبده بكل ذنب ما خلا الإشراك، خير من أن يلقاه بهذا الظن الفاسد، والاعتقاد الباطل.

أقسام الأحكام

وقد بيّن الشافعي - رحمه الله - أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلاّ وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١) .

وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩) . وقسم -رحمه الله- الأحكام إلى أقسام:

الأول: ما أبانه الله لخلقه نصاً، كذكره مجمل فرائضه، مثل: الزكاة، والصلاة، والحج، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحريم الزنا، والخمر، وأكل الميتة، ولحم الخنزير، وبيان فرائض الوضوء.

الثاني: ما جاء حكمه في القرآن مجملاً، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والفعلية والتقريرية، كتفصيل مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وسائر أحكامها، وبيان مقادير الزكاة، وأوقاتها، والأموال التي تُزكّى، وبيان أحكام الصوم، ومناسك الحج، والذبائح، والصيد، وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفاصيل الأنكحة، والبيوع، والجنايات، مما وقع مجملاً في القرآن.

وهو الذي يدخل في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) .

الثالث: ما سنّه الرسول صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم بالقرآن، حيث فرض الله في كتابه طاعة رسوله، والانتهاء إلى حكمه في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (آل عمران: ١٣٢) . وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) ، فمن قَبِل هذه السنة امتثل أمر الله جل وعلا.

وقد تعرض ابن القيم - رحمه الله - في بيان وجوب اتباع السنة، ولو كانت زائدة على ما في القرآن الكريم، إلى مثل هذا التقسيم، فقال: «والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

والثاني: أن تكون بياناً لما أُريد بالقرآن وتفسيراً له.

والثالث: أن تكون مُوجبة لحكم يسكت القرآن عن إيجابه، أو مُحرِّمة لما سكت عن تحريمه.

ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما، فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي صلى الله عليه وسلم، تجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، ولكنه امتثال لما أمر الله به من طاعة رسوله، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطاع في هذا القسم لم يكن لطاعته معنى، وسقطت طاعته المختصة به.

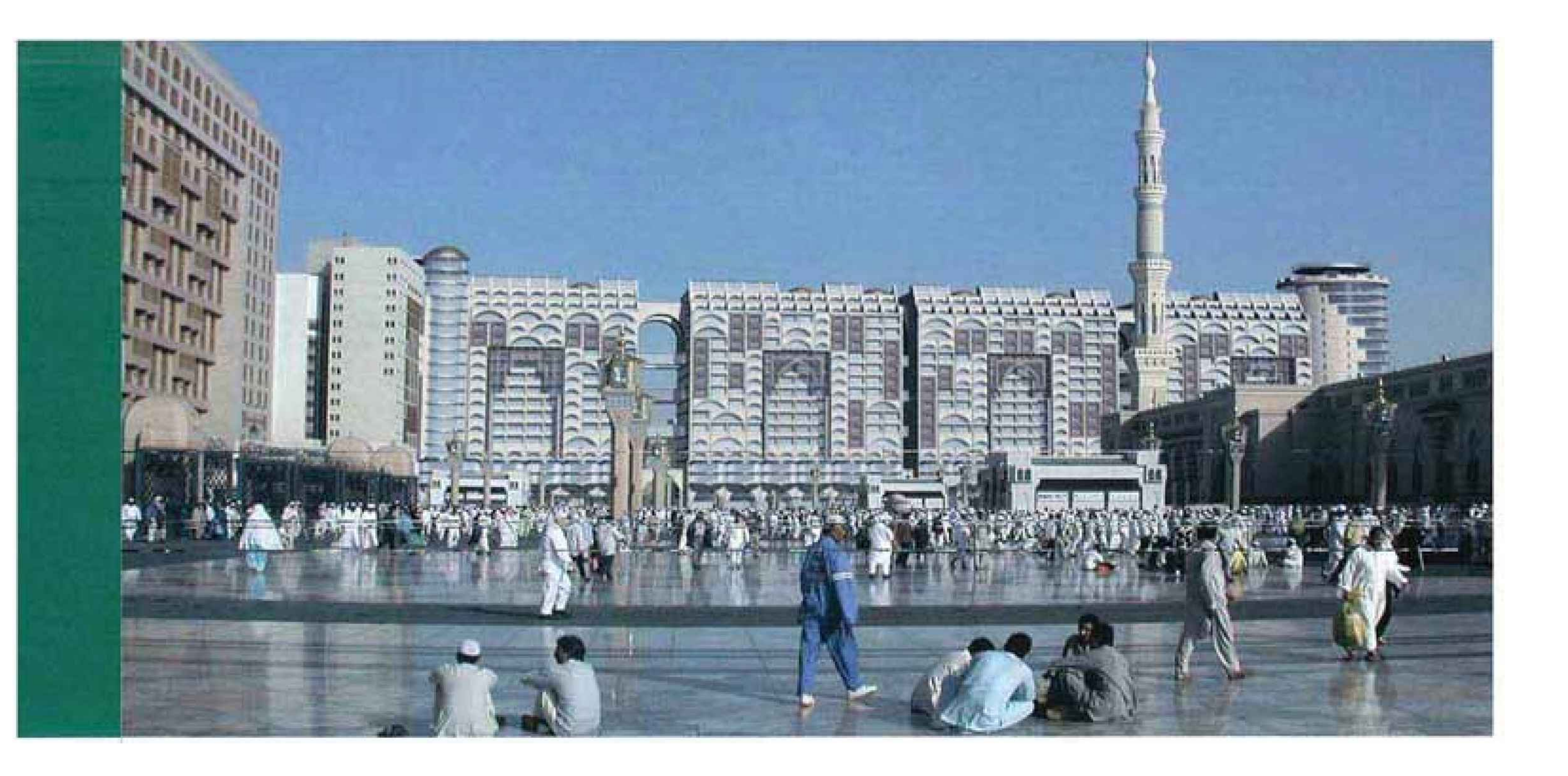
وأنه إذا لم تجب طاعته إلا فيما وافق القرآن لا فيما زاد عليه؛ لم يكن له طاعة خاصة تختص به. وقد قال الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) . فكيف يمكن لأحد من أهل العلم ألاّ يقبل حديثاً زائداً على كتاب الله، فلا يقبل حديث تحريم جمع المرأة على عمتها، ولا على خالتها، ولا حديث التحريم بالرضاعة لكل ما يحرم من النسب.

وعلى هذا فإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثروة خصبة في بيان مجمل القرآن، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتشريع أحكام لم يأت بها نص في القرآن، وهي مادة غزيرة تغذي الفقه الإسلامي، وتنمي أحكام شريعته، ومن قَبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن الله عز وجل قبل؛ لأن الله فرض طاعة رسوله، ولا يحل لمسلم علم ما في الكتاب والسنة أن يقوم بخلاف واحد منهما» أ. هـ.

وقد أنعم الله علينا في هذه البلاد الغالية - موطن الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية - بنعم عظيمة، وآلاء جسيمة، ومنح كريمة، ومنن كثيرة، لا يمكن أن تستقصى، ومواهب جليلة لا تعد ولا تحصى، أولاها وأعظمها وأنفعها وأجلها قدراً نعمة الإسلام والإيمان، ثم ما نتفيأ ظلاله من الأمن والأمان، والطمأنينة والاستقرار، ورغد العيش الذي نحسه، ونلمسه، ونعيشه في كل بقعة من بقاع دولتنا الحبيبة، بل وفي كل شبر منها، وسطاً وشرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، مواطنين ومقيمين، ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، من دون تحديد أو تمييز أو تفريق.

وثالث تلك العطايا الجزيلة: أولئك القادة المصلحون، والرجال الأماجد الأفذاذ، وولاة الأمر العاملون، والحكام والرعاة الذين سطروا تاريخاً مجيداً، وأعمالاً خالدة، ضاربين من خلالها

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثروة خصبة في بيان مجمل القرآن، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتشريع أحكام لم يأت بها نص في القرآن



أروع الأمثلة، وأوضح الحجج، وأقوى البراهين، وأنصع الأدلة على أداء الواجب، والقيام بالأمانة المنوطة بهم على أتم وجه، وأكمل صورة، حتى صاروا في هذا الزمن مثالاً عزيزاً، وعملة نادرة، وحديثاً للركبان، ومقصداً للناس من كل مكان، وما لهم ألا يكونوا كذلك!! وقد أقاموا شريعة الله وقاموا عليها، ورعوها حق رعايتها، ظاهرها وباطنها، منطوقها ومفهومها، عامها وخاصها، مطلقها ومقيدها، مع مراعاة مقاصدها ومعانيها، وما تميزت به من وسطية واعتدال، وكمال وشمول، واستمرار وصلاحية لكل مكان وزمان وأمة، ومنطلقين في ذلك من قواعدها الكلية، وأسسها القوية، ومصادرها الأصلية، ومنابعها الصافية، كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه سلف هذه الأمة، مع ما حملوه على عواتقهم من رفع راية التوحيد الخالص الصافي الصحيح، والدعوة إليه في مشارق الأرض ومغاربها، والعمل على نشر مبادئ الدين السليمة، وتعليمها أبناء المسلمين وغيرها في أي أرض تطؤها أقدام وفودهم وبعوثهم.

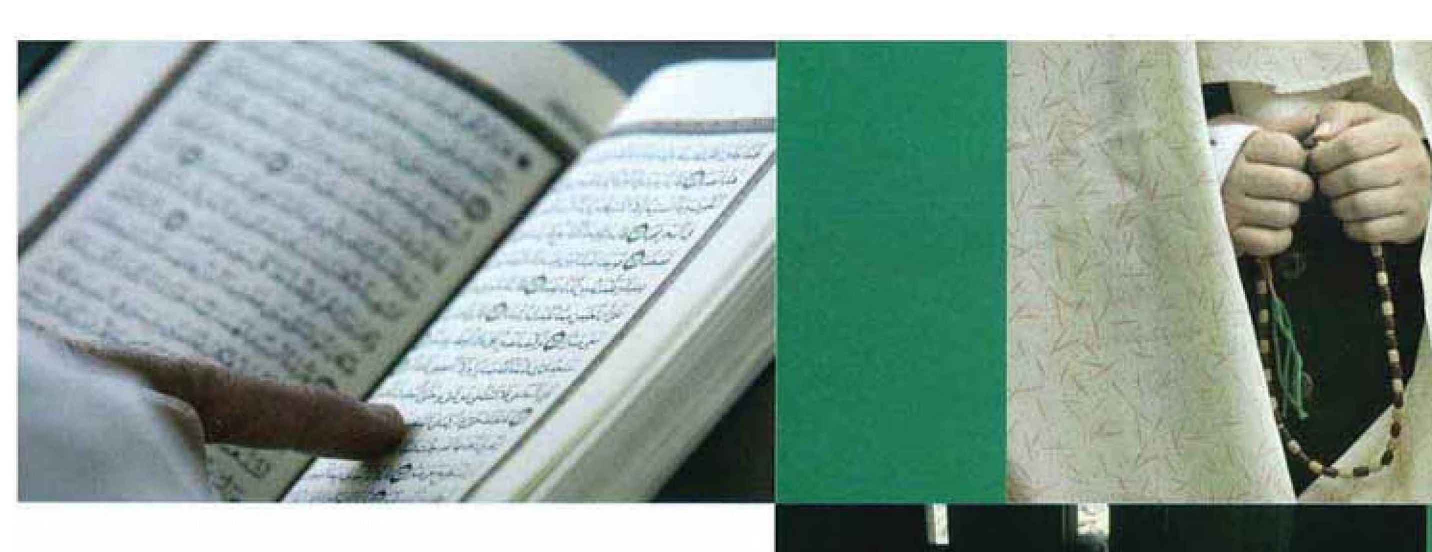
جاءت السنة مفسرة، ومبينة، وشارحة لكثير مما جاء في القرآن الكريم من أحكام مجملة، لا يمكن معرفتها إلا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبهذا وذاك نصرهم الله، وأعزهم، ومكّنهم، وأعلى شأنهم، وضرب الأمن أطنابه في ربوع ديارهم، وأبدلهم من بعد الخوف أمناً، ومن بعد الجوع والعطش غنًى وشبعاً وريّاً واطمئناناً ورفاهية، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣ - ٤) .

فيتحقق التوحيد الخالص لله وعبادته وصرف الطاعة له، والقيام بأوامره، واجتناب نواهيه، وتطبيق أحكامه، وتنفيذ حدوده، وشكره على نعمه، واتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من دون زيادة أو نقص، ويتحقق للأمة - حكاماً ومحكومين - السعادة الدنيوية والأخروية، ويحصل لهم الخير العاجل والآجل، وتسود بينهم المحبة والألفة والمودة، ويشيع بينهم التعاون على البر والتقوى، ويردّ الله كيد من يكيد لهم، ويدحر من يرومهم بأذى أو يقصدهم بشرّ، حاقداً كان أو حاسداً، قريباً كان أو بعيداً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١)، مع أنه سبحانه وتعالى وعد بالزيادة لمن شكر، وتوعد بالعذاب والخسران لمن كفر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧) .

واقع حي ملموس

وبما أن ولاة أمرنا أدركوا ذلك، وعرفوا آثاره المتميزة،



وثماره المباركة، ولمسوها هم وأبناء مجتمعهم واقعاً حياً وملموساً، منذ تأسيس هذه الدولة المباركة على يد القائد المجاهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن - رحمه الله - إلى يومنا هذا الذي نتفيأ فيه ظلال عهد قائد مسيرتنا وباني نهضتنا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - فقد عضوا عليه بالنواجذ، وتمسكوا به، ولم يقبلوا به بديلاً، ولم يلتفتوا إلى قول قائل، أو نعيق ناعق، أو حديث مزيف، أو إرجاف مرجف، غير عابئين بالعوادي والمؤثرات، منطلقين في ذلك من إيمانهم الصادق والعميق بالله سبحانه، وتوكلهم عليه، وإخلاصهم النية له، والعمل به، والذود عن حياض شريعته، والحفاظ على مبادئها، والعمل بمحكمها، والإيمان بمتشابهها، معتقدين اعتقاداً جازماً بأن الله سيعينهم على ما تحملوا من أمانة، ويدافع عنهم، ويدفع كل ما يريده البشر بهم وببلادهم من سوء أو ضرر أو شر، مادياً كان أو معنوياً أو فكرياً.

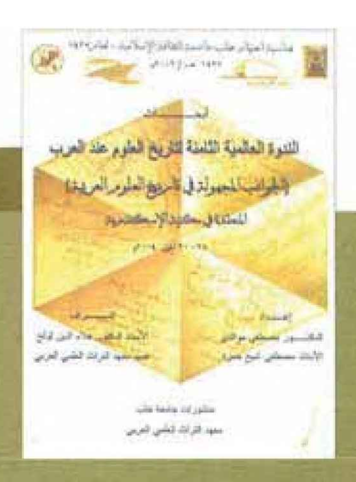
وهاهي ذي الحقائق الواقعية، والبراهين الجلية والحجج الواضحة الدامغة، والأدلة الساطعة القاطعة المؤيدة لهذه الحال، تطالعنا ونطلع عليها، ونشاهدها عياناً، وتشنف بها أسماعنا، وتطمئن لها قلوبنا، وترتاح لها أنفسنا، وتقر بها أعيننا، وتسر منها خواطرنا، وتجعلنا أكثر أملاً، وأقوى تفاؤلاً وقناعة.

وذلك عندما يتبنى ويرعى أمير الأمن المحبوب، بكل ثقة واقتدار، واعتزاز وافتخار، جائزة كريمة وشريفة وعظيمة، لخدمة السنة النبوية المطهرة ليؤدي عملاً إسلامياً مميزاً وفريداً هو الأول من نوعه، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويحافظ على الثوابت والمبادئ والأصول والقواعد، وينطلق منها للاستفادة من معطيات العصر وأنظمته ومعلوماته: لخدمة الإسلام عقيدة وشريعة، وأخلاقاً ودعوة، مع بيان سماحة الدين الإسلامي ويسره، وما امتاز به من وسطية واعتدال، وكمال وشمول وتمام، وصلاحية لكل زمان ومكان وأمة، وما جاء به من خير للبشرية، أفراداً وجماعات، ونهجه القائم على الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن والدعوة إلى الله على بصيرة، وحسن التعاون مع الناس، يضاف إلى ذلك ما تحويه هذه الجائزة من تشجيع للباحثين في مجال السنة، على مختلف مستوياتهم وتنوع تخصصاتهم ومؤسساتهم، ودعمهم ليسهموا إسهاماً فاعلاً ونافعاً في إثراء ما يعلن من محاور وبحوث من قبل أمانة وهذه الجائزة.

وهذا العمل الإسلامي الكبير لا يعد غريباً على صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - وزير الداخلية، وفقه الله - رجل الأمان الموهوب، وصاحب المواقف الصعبة، والمبادئ الثابتة، والخبرة الطويلة، التي امتزجت بحكمته الفائقة، وبصيرته النافذة، ونظراته الصائبة، وحسه الأمني المرهف، وعاطفته الجياشة، وأبوته الحانية، يمثل سُداها ولحمتها صدقه في المعاملة والتعامل، ومحبتة الصادقة، وإخلاصه الظاهر لعقيدته ودينه ووطنه، وولاة أمره، وأبناء مجتمعه، مع ما تميز به من بذل للنفس والجهد والوقت من أجل الحفاظ على أمن هذه البلاد وأمانها، عقدياً وفكرياً، مادياً وحسياً، مع وقوفه كالجبل الشامخ، والطود الراسخ، لكل ما قد يؤثر في مبادئ بلادنا وثوابتها من الأفكار والمذاهب والتوجيهات الوافدة الدخيلة، يقوم بذلك، ويؤديه بطرائق فريدة، وأسلوب رصين، ومناهج موضوعية، وموازنة واقعية، نافعة وإيجابية، مع ما حوته جوانحه من ثقافة واسعة، وفكر أصيل، وعلمية مؤسسة ومقعدة، يقف أمامها الإنسان متعجباً حائراً، وهي في مجموعها تكوّن مدرسة تربوية توجيهية أمنية وطنية، تعطي ولا تمنع، تبني ولا تهدم، تربي الرجال والأجيال، وتصقل المواهب، وتوسع المدارك، وتنمي الأفهام، فتخرج الكفاءات المدربة، والخبرات المؤهلة، والكوادر النادرة، مدنية وعسكرية؛ لتؤدي رسالتها السامية، وتحقق غاياتها النبيلة بكل أمانة وإخلاص، وولاء ووفاء، مكونة لبنة صالحة في هذا المجتمع الطيب، مبرزة في جميع أحوالها ما استفادته من تلك المدرسة العظيمة، والقيادة الحكيمة.

أسأل الله سبحانه أن يحفظ علينا ديننا وأمننا وولاة أمرنا، وأن يوفق ولاة أمرنا لما يحبه ويرضاه، ويديم عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، ويكلأهم بعنايته ورعايته، وأن يجعل ما يقدمونه إلى الإسلام والمسلمين في ميزان حسناتهم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

بيّن الشافعي - رحمه الله - أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها



أبحاث الندوة العالمية الثامنة لتاريخ العلوم (الجوانب المجهولة في تاريخ العلوم العربية)، إعداد: مصطفى موالدي (وآخرون) ـ حلب: معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٤٤٢ص.

يضم هذا الكتاب أبحاث: «الندوة العالمية الثامنة لتاريخ العلوم - التي عقدت في ٢٨ إلى ٣٠ يوليو/أيلول عام ٢٠٠٤م، في مكتبة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية، تحت عنوان: الجوانب المجهولة في تاريخ العلوم العربية».

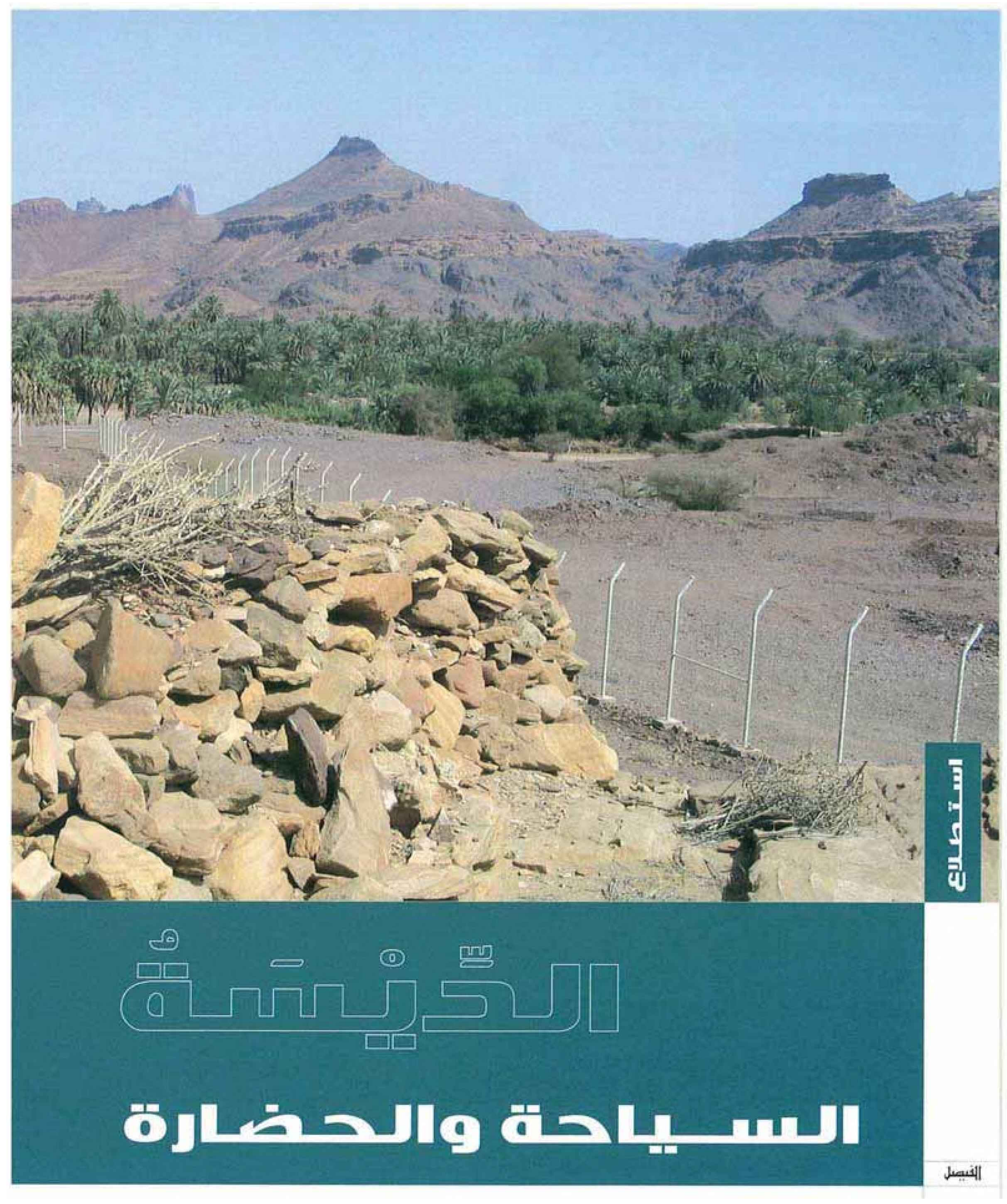
واشترك في الندوة ٣٤ باحثاً من العرب والأجانب، توافدوا من الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث المهتمة بتاريخ العلوم عند العرب، في كل من: مصر، وسورية، والولايات المتحدة، والجزائر، والعراق، وروسيا، واليونان، وبريطانيا، وألمانيا.

وقد نشرت البحوث في هذا الكتاب من دون تعديل، وتناولت موضوعات متنوعة في تاريخ العلوم الأساسية، والتطبيقية، والطبية، إضافة إلى الأبحاث العامة، وقد كشفت هذه البحوث عن الجوانب المجهولة من التراث العلمي في الحضارة العربية والإسلامية.

ومن البحوث التي قدمت في الندوة:

استعرض الدكتور محمد نزار عقيل «إسهامات جامعة حلب في دراسة التراث العلمي العربي»، وجاء بحث الدكتور علاء الدين لولح بعنوان: «الجهود العربية والدولية لجمع وتحقيق التراث العلمي العربي (الواقع والآفاق)»، وأورد الدكتور محمد عبدالوهاب جلال «مقدمة في دراسة عوامل انحطاط العالم العربي»، وناقش الأستاذ محمد قجة «تطور المنهج العلمي في الكتابات التاريخية عند العرب»، وغير ذلك من البحوث.

كما جاءت بعض أبحاث الندوة باللغة الإنجليزية.



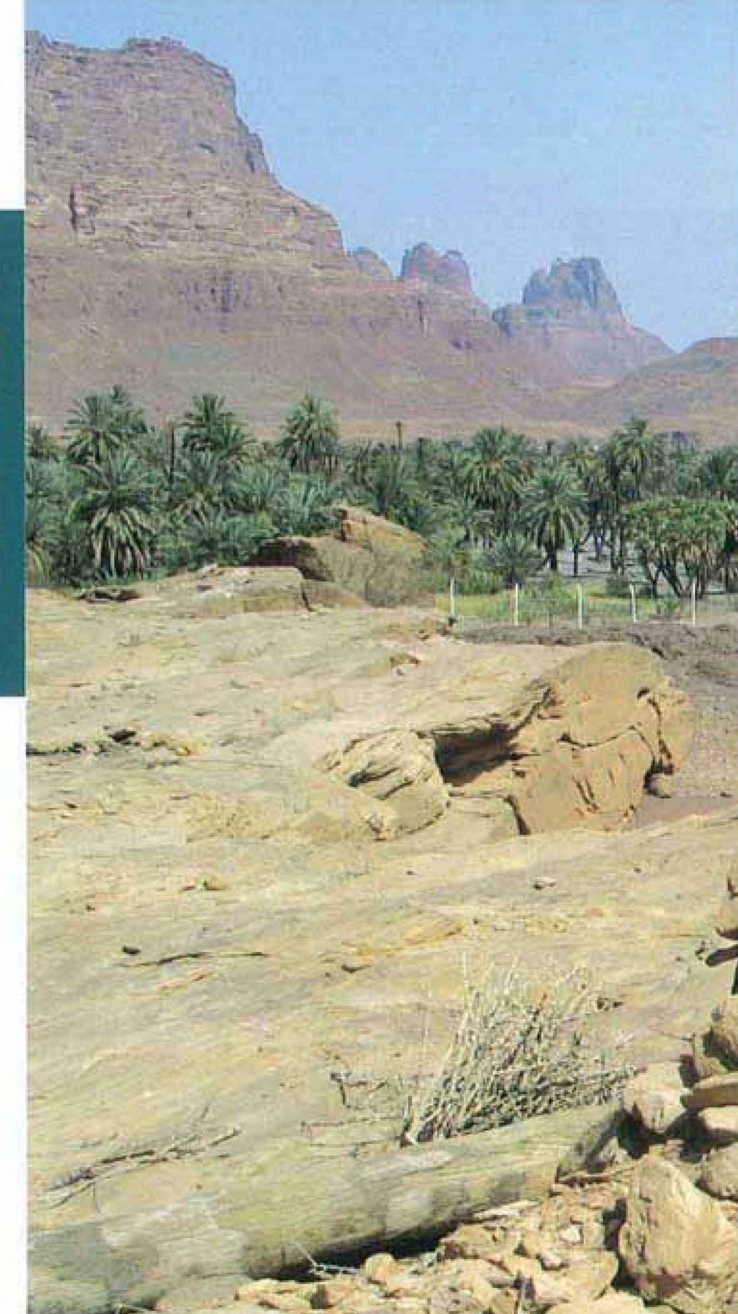
الدّيسة
السياحة والحضارة

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - السعودية



الباحث يشير إلى مجرى عين الزرقاء ويظهر على جانبه نبات (البردي) وأشجار النخيل



جدار مبني بأحجار متوسطة الحجم فوق قمة تل (أقيمر)

الدِّيْسَةُ: بلدة تابعة لمحافظة ضبا، منطقتها جميلة تستحق الزيارة، فهي أرض الآثار والسياحة، كما تُعَدُّ من أهم المواقع الأثرية بمنطقة تبوك، بل تدل الكتابات والنقوش والأساسات وبقايا المنشآت والمدافن فيها على أن المنطقة شهدت استيطاناً بشرياً منذ زمن عيسى عليه السلام.

كما تتميز بتنوع تضاريسها، ففي أرضها: جبال شامخة ألوانها متعددة، وفيها أودية على ضفافها أشجار من السَّمُر والسيال[1]، وفيها رمال ذهبية تزينها أشجار من الرِّمْث. كَذَلِكَ تُعدّ أرض الدِّيْسَة من أهم المناطق الزراعية في المنطقة، إذ فيها مياه عذبة ووافرة، وفيها عيون طبيعية، واحدة منها دائمة الجريان حتى الآن، وفيها سهول تربتها خصبة، وتزيدها جمالاً بساتين تحوي أشجاراً من: الليمون والزيتون، ونخيل التمر، ونخيل الدوم.. وبعد سنة ١٤٠٠هـ أدخل السكان إلى المنطقة زراعة أشجار المانجو، فنجحت، وانتشرت، بل أصبحت من أهم الأشجار في الدِّيْسَة.

ويبلغ ارتفاع الدِّيْسَة عن سطح البحر ٥٤٤م، أما متوسط ارتفاع الجبال المحيطة بها فهو ١٠٠٠م تقريباً[2].

أولاً: الموقع:

تقع بلدة الدِّيْسَةُ على ضفاف وادي الدِّيْسَة، تحديداً شرق ضبا على بعد ٧٦كم بخط مستقيم. أما طول الطريق المعبد فهو ١١٣كم، وعلى الزائر أخذ الحيطة والحذر من هذا الطريق الخطير. أما إحداثيات مركز البلد فهي كالتالي: (٥١١، ٦٩٧)، (٣٦، ٢٥)، (٢٧، ٣٦)

ثانياً: لمحة تاريخية:

تقع الدِّيْسَةُ بين أرض مَدْيَن وبلاد ثَمُود في الزمن القديم، ومما ذكرتُ آنفاً عنها يتبين لنا أنها مكان جيد للاستيطان البشري، ولا بد من أنها إحدى المدن في الزمن القديم، لكن الباحث لم يجد

أي معلومات تاريخية عنها في المصادر المتوافرة لديه؛ لذا يصعب الحكم عليها إلاّ بعد تحقيق المكان! وهنا نتساءل: هل مساكن قبيلة ثمود امتدت إلى الدِّيْسَة؟ أم أن انتشار أهل مدين وصل في فترة تاريخية إلى الدِّيْسَة وترك لنا حضارة بقيت حتى يومنا هذا؟ صاحب الدراسة يرجح أنها من بلاد مدين، ولا يستبعد أن تكون من مدنها، وقد رأى إدراجها مع أرض مَدْيَن لسهولة الاتصال بمدنها. أما بلاد ثمود فتحجزها عن الدِّيْسَة سلاسل جبلية، يضاف إلى ذلك أنه كان لمدين أربعون مَدِينَة لا يُعرف الكثير من مواقعها. أما بعضها الآخر فهو معروف، وبما أن موقع الدِّيْسَة بين أماكن معروفة في بلاد مَدْيَن الآن، مثل: تيماء، و مَقْنَا، وتبوك، فإن الدِّيْسَةُ تقع في أرض مَدْيَن، ومع ذلك لا يُسْتَبْعَد أن تكون بعض الآثار التي نشاهدها الآن من مساكن قبيلة ثمود بعد أن امتدت في فترة تاريخية إلى أرضها، ثم سكن المنطقة بعد ثمود أهل مَدْيَن، فتركوا لنا بعض الآثار.

قال ابن منظور في كتابه المشهور (لسان العرب): المدوس الذي يداس به الكدس يجر عليه جرا. والخيل تدوس القتلى بحوافرها إذا وطئتهم؛ وأنشد:

فداسوهم دَوْس الحصيد فأهمدوا

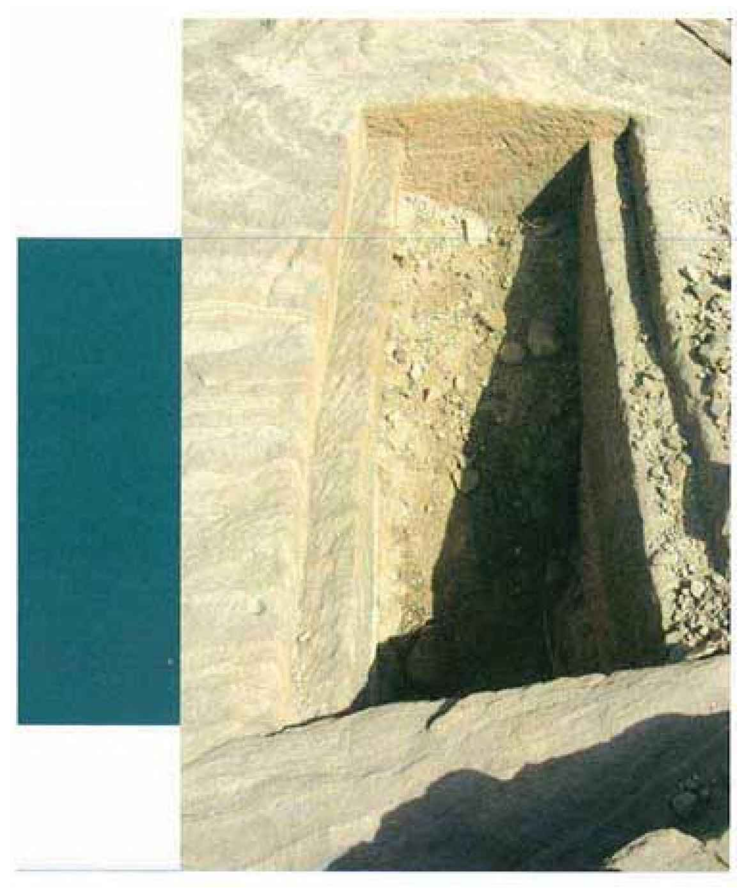
أبوزيد: يقال: فلان ديِّس من الديسة: أي شجاع شديد يدوس كل من نازله. وأصله دَوِّس على فيْعِل، فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، كما قالوا: رَيِّع، وأصله: رَوِّح، ويقال: نزل العدو ببني فلان في الخيل فجاسهم وحاسهم وداسهم، إذا قتلهم وتخلل ديارهم، وعاث فيهم. ودياس الكُدس ودراسة واحد. وقال أبو بكر في قولهم: قد أخذنا في الدوس، قال الأصمعي: الدوس تسوية الحديقة وترتيبها، مأخوذ من دياس السيف، وهو صقله وجلاؤه. قال الشاعر:

صافي الحديدة قد أضر بصقله　　طولُ الدياس وبطن طير جائع

ويقال للحجر الذي يُجلى به السيف مِدْوس. ابن الأعرابي: الدوس الذل، و الدوس الصقلة [٢].

كما بيّن الأستاذ حمد الجاسر – رحمه الله – أن الدِّيْسَة واد حين قال: الدِّيْسَةُ: واد من فروع وادي دَامَة، بمنطقة ظبا، فيه مياه وزراعة، وسكانه الحويطات، حويطات التهم [١].

قُلْتُ: وادي دَامَة ينحدر من المرتفعات باتجاه الجنوب الغربي حتى يصب في البحر الأحمر، بالقرب من ظبا، وقد كتبها رحمه الله (ظبا)، ولا إشكال في ذلك؛ فقد وقع اختلاف في كتابة



أحد المدافن الستة في التل الثالث يظهر فيه علامات الإزميل كما يحيط به نحت غائر

الاسم فبعضهم يكتب (ضبا)، وبعضهم سماها (ظبا) فأبدل الضاد ظاءً معجمة.

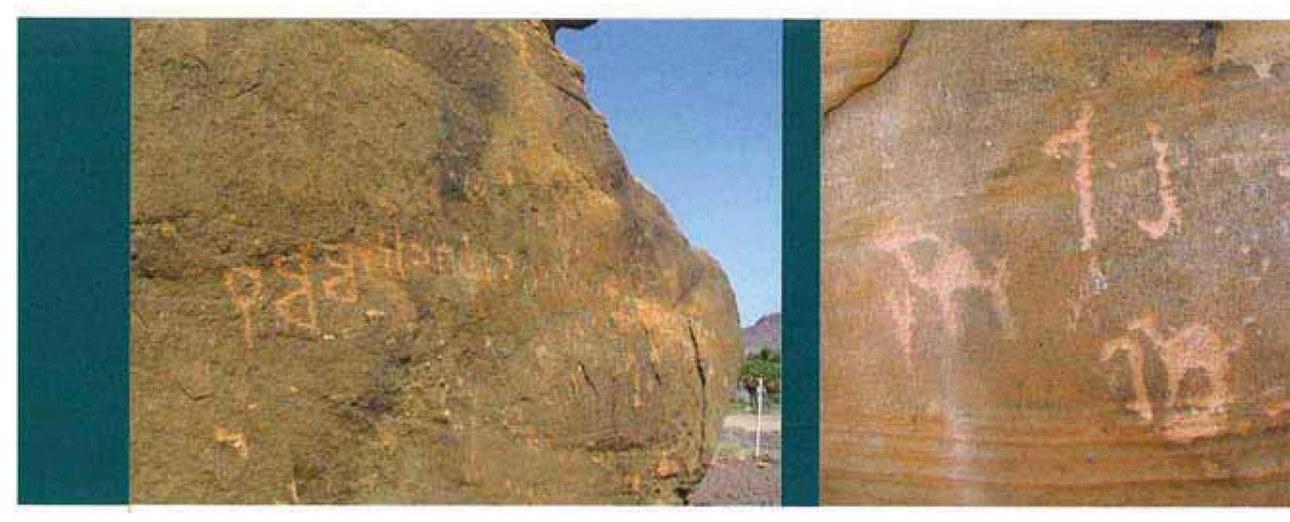
ثالثاً: المشاهدات الميدانية:

في يوم الاثنين ١٤٢٦/٦/١٢هـ الموافق ٢٠٠٥/٧/١٨م قمتُ بزيارة ميدانية لمنطقة الدِّيْسَة، وصحبني مشكوراً في رحلتي هذه الدَّلِيْل / سلمان بن عودة الغنامي، من سكان المنطقة، وقد اعتمدتُ في هذا المبحث مركز البلد نقطة رصد لتحديد مسافات المواقع التي زرتُها؛ ليسهل على كل زائر الوصول إلى تلك المواقع الأثرية والسياحية في المنطقة، كما يُعَدُّ اختيار هذا الموقع أبرز معلم يشاهده الزائر القادم إلى المنطقة، ومن المعلوم أنه من خلال معرفة الموقع الرئيس تتم معرفة باقي المواقع، بكل يسر وسهولة.

ويمكن وصف أهم المشاهدات على النحو التالي:

- هضبة (رايس):

تقع في الجهة الشمالية من بلدة الدِّيْسَة، وتُعدّ قمتها من أعلى القمم ارتفاعاً في المنطقة المحيطة بها، وقد ذكر الدَّلِيْل أن في قمتها غرفة ومنشآت حجرية يصعب الصعود إليها، كما أكد لي بعض سكان المنطقة أنه وصل إلى تلك الآثار



رسوم يبدو أنها ثمودية نقشت على سطح التل الثالث في (أقيمر) تجمع أشكالاً آدمية ورسوماً للإبل

نقش يبدو أنه ثمودي كتب بطريقة النقر على سطح تل (أقيمر) الثالث

قبل قرابة ثلاثة عقود من الزمن فريق عمل بطائرة عمودية، لكنهم لا يعلمون شيئاً عن نتائج تلك الزيارة!.

- المشيرف:

يقع بجوار مركز البلدة من الجهة الشمالية الشرقية، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٥٠٦، ٧٦٥)، (٢٦، ٢٥)، (٢٧، ٣٦)

وهو تل أثري يطلق عليه بعض سكان المنطقة اسم (المشيرف). ويبلغ قطره نحو ٢٠م، كما تعلوه مجموعة أكوام من الحجارة الصغيرة والمتوسطة. شكلها يوحي بأنها بقايا منشأة ضخمة متهدمة. أما الحكم عليها فيصعب إلا بعد إجراء الحفريات والدراسات الدقيقة.

- وادي الدِّيْسَة:

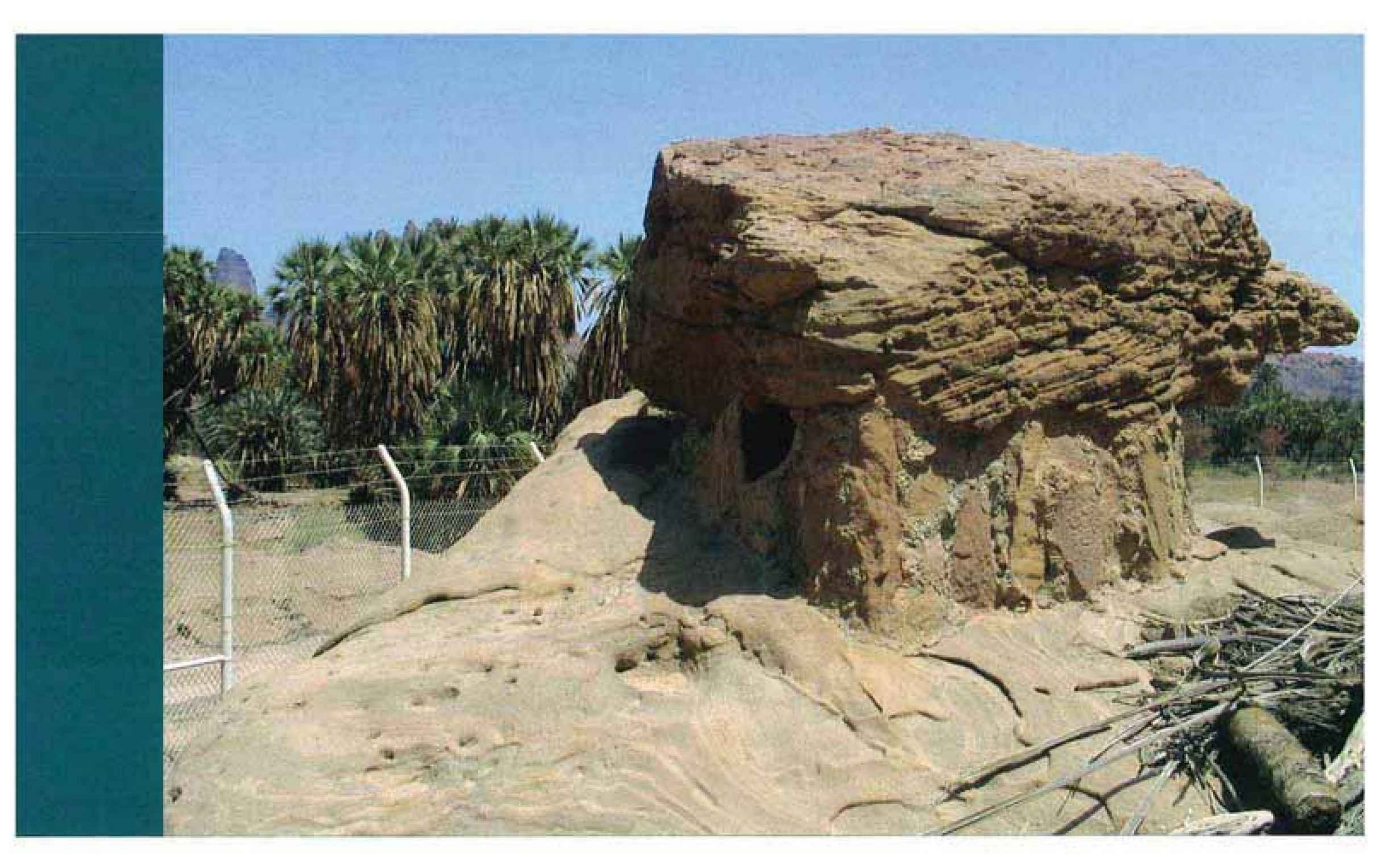
ينبع وادي الدِّيْسَة من المرتفعات الشمالية الشرقية من الدِّيْسَة، ثم يتجه بشكل عام نحو الجنوب الغربي، ويسمى الوادي في منابعه العليا وادي (قراقر). كذلك تسمى الجبال المحيطة به جبال (قُراقر). وإذا وصل الرايسة يحمل اسمها، ثم يرفده من الجهة الشمالية وادي غمرة، ومن الجهة الجنوبية ترفده تلعة فضواء، وعندما يَمُرّ ببلدة الدِّيْسَة وجبال الدِّيْسَة فإنه يحمل اسمها. أما إذا مَرّ بين جبل تدايب غرباً وجبل مزيد شرقاً، فإنه يغير اتجاهه نحو الجنوب، ويطلق عليه اسم المنطقة التي مرَّ بها: أي وادي الرحبة نسبة إلى منطقة الرحبة. وقد ذكر لي بعض سكان المنطقة أن سفوح الجبال المحاذية لهذا الوادي من الجهتين الجنوبية والشمالية، تضم عدداً من النقوش والرسوم. وفي نظري أن هذه المنطقة تحتاج إلى فريق عمل[10]، يميط اللثام عن كنوزها الأثرية. وخصوصاً أن هناك مواقع يؤكد بعض السكان وجود آثار فيها، ولم يقم الباحث بزيارتها. ومنها موقع يحوي قصراً متهدماً قرب نخيل يسمى (الرُّدة) في منطقة أعلى من (الضَّيقل) يزيد بعدها على ٣٠كم، و(الضَّيقل) في منطقة أرفع من الزرقاء على بعد ١٢كم.

- العيون:

تتميز منطقة الدِّيْسَة بكثرة العيون فيها، وعند مسح المنطقة لفت نظري أن الطبقات الجيولوجية مائلة، كما تكثر فيها الصدوع والفواصل الرأسية. مما يشير إلى أن المنطقة مرت بمرحلة من العوامل الباطنية - سواء بطيئة كالانكسارات والالتواءات - أو سريعة كالزلازل: ومن ثم نتج منها تغير في أشكال تلك الجبال. وتوجد في المنطقة عدة عيون طبيعية. منها:

- عين الردة: تقع بجوار بلدة الدِّيْسَة من الجهة الجنوبية الشرقية، على بعد ١كم.

تقع الديسة في أرض مَدْيَن، ومع ذلك لا يُستَبْعَد أن تكون بعض الآثار التي نشاهدها الآن من مساكن قبيلة ثمود بعد أن امتدت في فترة تاريخية إلى أرضها



استغلال ظاهرة (عيش الغراب) وتحويلها إلى غرفة صغيرة وذلك بعد إحاطتها بجدار على شكل قوس

- عين رايس: تقع شمال بلدة الدِّيْسَة، وتبعد عنها ٥،١كم.
- عين غمرة: تقع في وادي غمرة - أحد روافد وادي قراقر من الجهة الشمالية - تحديداً شمال بلدة الدِّيْسَة بميل نحو الشرق، وتبعد عنها ٥كم.
- عين صعين: تقع شمال غرب بلدة الدِّيْسَة، على بعد ٨كم.
- عين الزرقاء: تُعدُّ من أهم عيون المنطقة، لذا سنتحدث عنها بشيء من التفصيل.

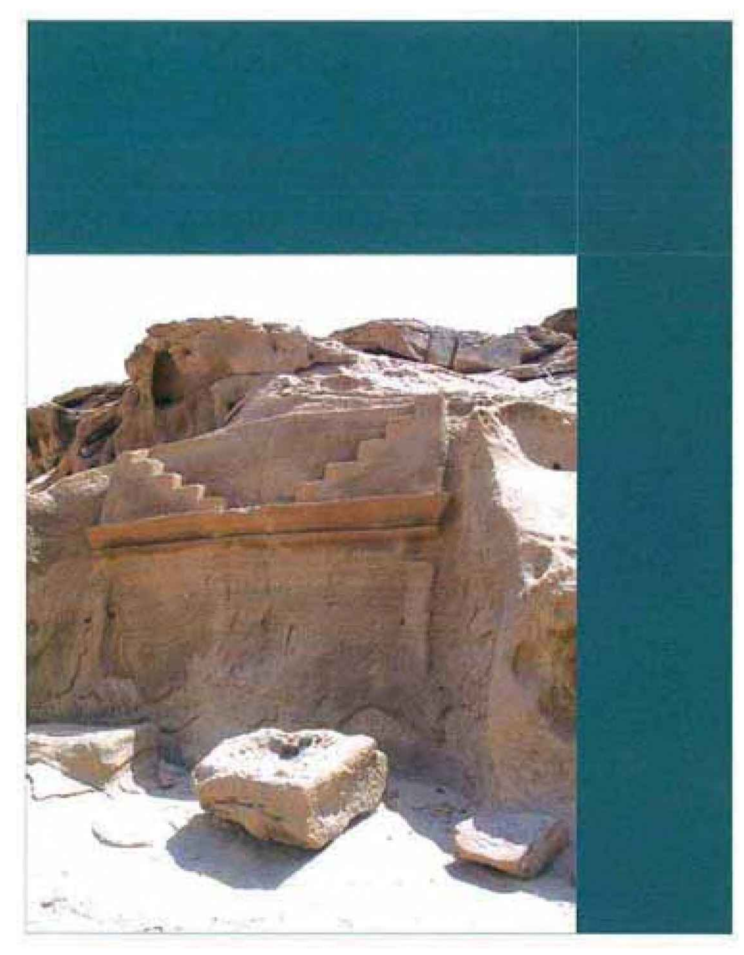
تُعدّ عين الزرقاء مورد ماء لبلدة الدِّيْسَة، وهي تقع في وادي الدِّيْسَة، شرق مركز البلد على بعد ٩،٧٣كم، وإحداثيات الموقع كالآتي: (٠٣٠، ٢٧٥)، (٣٨، ٣١)، (٢٧، ٣٦)

والذي أعرفه أن هذه العين تعرف باسم «عين الزرقاء». أما في الكتاب الصادر عن وكالة الآثار والمتاحف، فقد وردت باسم «الزرغاء» «بالغين وليس القاف»، حيث ذكر ما نصه: تجري بها من أعلى الوادي عين ماء، يقال لها: الزرغاء، وينتشر بجانبها نبات «البردي»[٦]. الجدير بالذكر أن الدُّلَيِّل ذكر لي أن اسمها عين الزرقاء، كما سألتُ رئيس مركز الدِّيْسَة[٧]، وبعض العارفين من سكان المنطقة، فأكدوا لي أنهم يطلقون عليها اسم عين الزرقاء.

ومياه هذه العين باردة، ومثل تلك المياه عادة تكون سطحية ومصدرها الأمطار، ولمعرفة مصدر مياه أي نبع لابد لنا من معرفة مدة جريان النبع، وهل جريانه مستمر طوال العام أم موسمي؟ وهل مستوى المياه فيه ينخفض ويرتفع؟ وهل تزداد كمية المياه في موسم الأمطار؟ فإذا كانت المياه تزداد في موسم الأمطار، وتقل في موسم الجفاف، فهذا دليل على أن مصدرها الأمطار، أما إذا كانت شبه ثابتة فيكون مصدرها المياه الجوفية.

وقد أكد الدُّلَيِّل أن مياه هذه العين تظل جارية طول العام، لكن كمية المياه تزداد في فصل الشتاء. قُلْتُ: زيادة كمية المياه خلال فترة هطل الأمطار تشير إلى أن مصدر المياه هو الأمطار. وبعد مسح المنطقة تبين أن مصدر المياه من طبقة حاملة للمياه، ووجود الفواصل في الصخور ساعد على انبثاقها على شكل ينابيع من عدة أماكن متفرقة، ثم تجتمع في مجرى واحد.

وزائر هذه العين يشاهد منظراً عجيباً، حيث تتدفق المياه طبيعياً من بين الفواصل في الصخور من عدة أماكن متفرقة، ثم تنحدر من المناطق المرتفعة في الوادي نحو بلدة الدِّيْسَة، ويتفاوت طول مجراها من فصل إلى آخر، ففي فصل الشتاء يطول مجراها



واجهة شبيهة بواجهات البيوت في الحجْر والبتراء

من منبعها ليصل إلى ١٥كم تقريباً. أما في فصل الصيف فيبلغ طول المجرى ٥كم، أو نحوها. وينمو على ضفاف جداولها المائية نبات البردي، والريحان (الحبق الجبلي). كما ينتشر على جوانب مجراها أشجار من نخيل التمر ونخيل الدوم.

أما مياه هذه العين فهي عذبة، ولا أعني بذلك أنها خالية تماماً من الأملاح، فليس هناك أي مياه خالية من الأملاح، والذي أقصده هنا أن أملاح هذا النبع لا يشعر بها الإنسان في أثناء الشرب، وتتوقف نسبة الملوحة في أي نبع على مسار المياه في الطبقة الحاملة للمياه، فإذا كانت هذه الصخور الحاملة للمياه بها بعض الأملاح القابلة للذوبان في المياه، فإنها تنتج لنا مياهاً بالغة الملوحة. أما إذا كانت الطبقة الحاملة للمياه تخلو من الأملاح القابلة للذوبان في المياه، فإنها تنتج مثل هذه العين العذبة.

تتميز منطقة الدِّيسَة بكثرة العيون فيها، كما تكثر فيها الصدوع والفواصل الرأسية، مما يشير إلى أن المنطقة مرت بمرحلة من العوامل الباطنية

تقع هضبة (رايس) في الجهة الشمالية من بلدة الدِّيسَة، وتُعدّ قمتها من أعلى القمم ارتفاعاً في المنطقة المحيطة بها

- رأي:

بعد القرار الصائب بضم وكالة الآثار إلى الهيئة العليا للسياحة، أناشد أمير السياحة، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن سلمان بن عبدالعزيز - الأمين العام للهيئة العليا للسياحة - أن يأمر المعنيين بالمحافظة على هذه الظاهرة الطبيعية؛ بجعل عين الزرقاء متنزهاً طبيعياً لأهالي المنطقة، وعمل سد للاستفادة من المياه التي تذهب سدى، كزراعة المنطقة ببعض الأشجار المثمرة، على أن يكون تصميمها بطريقة فنية وجمالية، خصوصاً أن المياه تنبع من مواقع مرتفعة. أيضاً يمكن الاستفادة منها في عدة أمور، كزيارة طلاب المدارس، لإجراء دراسة تطبيقية لمادة الجغرافيا.

- تلال المدافن (أقيمر):

يعدّ هذا المكان من أهم المواقع الأثرية في المنطقة، وقد أطلقتُ عليه اسم (تلال المدافن) لكثرة المدافن الأثرية فيه. أما بعض الأهالي فيطلقون على المنطقة بشكل عام اسم (رايس)، كما يخصون هذه التلال باسم (أقيمر). وهي تقع شمال مركز البلد على بعد ٥٢٠م. وإحداثيات الموقع كالآتي: (٧٥٩، ٨١٦)، (٣٦، ٢٥)، (٢٧، ٣٦).

وتضم هذه المنطقة ثلاثة تلال متقاربة، ويفصل بين التل الرئيس والتلين الآخرين مجرى مائي صغير (شعيب). ويمكن تقسيم المشاهدات في (أقيمر) على النحو التالي:

- واجهة المقبرة النبطية:

يطلق عليها بعضهم اسم: «واجهة المقبرة النبطية»، وهي واجهة شبيهة كل الشبه بواجهات البيوت في الحجْر، وعلى جوانبها عمودان ملاصقان للواجهة، يعلوها كورنيش مصري، ترتكز عليه شرفات زخرفية تزين الواجهة. يُعتقد بعضهم أنها شعار الأنباط، إذ تضم الواحدة منها خمس درجات، وهذا هو العدد نفسه في جميع

واجهات بيوت الحِجْر التي شاهدتُها. عدا مقبرة واحدة في قصر البنت: مما يؤكد أنها ذات دلالة عقائدية خاصة بأصحابها.

ومن يتفحص هذه الواجهة سيتبين له أن العمل بها كان يبدأ بالنحت في واجهة البيت - أو المقبرة - من الأعلى إلى الأسفل. بدليل وجود صخور كبيرة الحجم، شكلها يوحي بأنها بقايا تقطيع الصخر إلى مكعبات مستطيلة. كما في منطقة الحِجْر. ويظهر من خلال المشاهدات الميدانية أنها واجهة مقبرة في طور الإنشاء. لم يكتمل العمل فيها. ويمكن لأي باحث متمكن أن يستنتج ذلك. لكن السؤال هنا: ما سبب ترك المقبرة دون إكمال ؟ فهل تركت بسبب أحد العوامل الطبيعية (رداءة الصخر، طغيان مائي، زلزال..) ؟ أم حلت عقوبة ربانية ؟ أم حدثت كارثة بشرية كالحروب ؟ أسئلة تحتاج إلى إجابة تميط اللثام عن سبب توقف العاملين عن النحت في المقبرة فجأة!.

- منشآت حجرية :

تظهر فوق قمة تل (أقيمر) منشآت حجرية، أبرزها جدار مبني بأحجار متوسطة الحجم يبلغ طوله نحو ١٥م. بارتفاع متر واحد، وبعرض متر واحد. أيضاً يوجد بجوار التل صف من الصخور ممتد على سطح الأرض بخط شبه مستقيم. هذا الصف وذلك الجدار شبيهان كل الشبه بجدران المنشآت الحجرية المنتشرة في قمم الجبال بجزيرة العرب.

- مدافن أرضية :

يمكن وصف أبرز المشاهدات عن المدافن الأرضية على النحو الآتي:

- رأيتُ مجموعة من الحفر المنحوتة في قمم التلال بحجم التوابيت. وهي - بلا شك عندي - مدافن أرضية. ومن يصعد إلى قمة التل الأوسط أو الغربي يمكن له أن يشاهد ما بين خمسة إلى سبعة مدافن في منطقة واحدة بقطر ١٢م. أو نحوها. كما تظهر تجويفات في سفوح التلال. وحفر أخرى في قممها يبدو أنها مدافن أو أحواض. عملت عوامل التعرية على تغيير أشكالها.
- بعض المدافن تظهر فيها علامات الإزميل. كما يحيط بكل واحد منها نحت غائر، شكله يشير إلى أنه مكان تستند إليه ألواح من الصخر لتغطية المدفن.
- لفت نظري أحد المدافن قرب حافة التل. فهو يقع وسط حفرة قريبة من الشكل المربع. طول الضلع الواحد منها نحو ٢م. أما عمقها فهو ذراع واحدة.

تظهر فوق قمة تل (أقيمر) منشآت حجرية، أبرزها جدار مبني بأحجار متوسطة الحجم يبلغ طوله نحو ١٥م

- شاهدتُ عدة مدافن أرضية طمرتها الرواسب. تظهر في داخل بعضها أشجار من الرمث.
- لاحظتُ أن الفواصل يستفاد منها في أثناء النحت في تحديد أبعاد بعض المدافن.
- تظهر في داخل بعض المدافن الأرضية صخور متوسطة الحجم، وفي بعضها الآخر صخور كبيرة الحجم. أشكالها توحي بأنها بقايا أغطية المدافن.
- بعض المدافن الأرضية تحيط بها أتربة ذات لون مختلف عن تربة المنطقة المحيطة بالمدافن. كما تحيط ببعضها الأخر مجموعة من العظام. وهذا يؤكد أن المدافن منبوشة.
- لاحظتُ في قمم التلال ألواحاً من الصخر. أعتقد أنها خلعت من قمة التل مؤخراً للبحث عن مدافن أرضية أخفيت معالمها، إذ يُعتقد أنه يتم تغطية المدافن بألواح صخرية كبيرة، ثم يتم تلبيسها بمونة من البيئة المحلية!.
- رأيتُ جانباً مقطوعاً في قمة التل تظهر فيه علامات الإزميل. وهنا يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات منها: هل هذا مدفن؟ أم مكان للتعبد؟ أم حوض مائي توقّف العمل فيه فجأة ؟!.

- تحويل الظاهرات الطبيعية إلى غرف:

أطلقتُ هذه التسمية على استغلال ظاهرة (عيش الغراب) والتجويفات الطبيعية. وذلك بعد تحويلها إلى غرف صغيرة. وتحدث عادة هذه الظاهرة الطبيعية في الصخور والحافات الصخرية؛ نتيجة وجود صخور غير صلبة في الجهات السفلية منها، وبذلك تعمل عوامل التعرية على حتّها من أسفل؛ فيتكون تجويف طبيعي. أو تأخذ شكلاً فطرياً (عيش الغراب) بحجم غرفة صغيرة الآن. وفي أثناء مسح المنطقة لفت نظري طريقة استغلال هذه الظواهر الطبيعية، إذ أُحيطت بجدار على شكل قوس مبني بأحجار كبيرة

وأخرى متوسطة الحجم، وفي كل غرفة توضع فتحة على شكل باب صغير. وإن صدق حدسي فإن مصدر تلك الصخور من أغطية المدافن الأرضية، ثم أعيد استخدامها خلال القرن الماضي، ومما يؤكد ذلك المونة الأسمنتية بين الصخور.

وعلى كل حال، فهذه الطريقة شبيهة كل الشبه بطريقة منازل أبو غيران (جمع غار) في الجهة الجنوبية الغربية من قاع صَلاصِل بمنطقة القَصيِّم، وليس لديَّ أدنى شك في أن زمن عمل تلك الغرف لا يزيد على بضعة عقود من الزمن، وقد تكلمتُ على هذا النمط من الغرف بما فيه الكفاية في كتابي الموسوم بـ «القَصيِّم، آثار وحضارة» (الكتاب الثاني) فارجع إلى الكلام هناك إن أردت ثم اقرأ ما قلته في صفحة ٤٥٢.

- **النقوش:**

عند مسح المنطقة شاهدتُ رسوماً وكتابات يبدو أنها ثمودية نقشت على سفح التل الثالث؛ أي آخر تلال (أقيمر) للقادم من جهة واجهة المقبرة، وهي تجمع بين أشكال آدمية غير متقنة الرسم، ورسوم للإبل، وهناك نقش أيضاً على سفح تل المدافن يبدو أنه ثمودي، كتب بطريقة النقر، وهو مكون من سطر واحد بحروف واضحة المعالم.

المراجع والهوامش

١- السيال كما يذكره ياقوت: السيال بفتح أوله وتخفيف ثانيه، وبعد الألف لام مفردة، أصله في اللغة أن السيال شجر شوك من العضاه، وقيل: كل شجر طال فهو من السيال (معجم البلدان، ج:٣ ص:٢٩٢).

٢- المصدر: المساحة الجوية، لوحة الدِّيْسَة، رقم ٣٦٢٧،٤٢، وزارة البترول والثروة المعدنية.

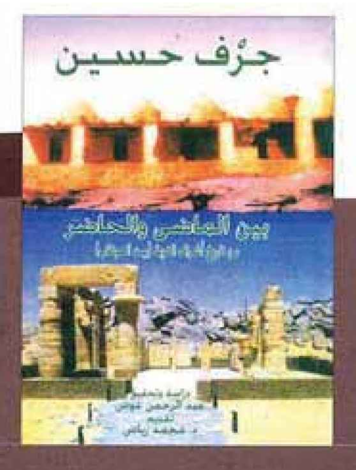
٣- لسان العرب ج٦/ص٩٠.

٤- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثاني، ص٥٤٩.

٥- الباحث يبدي استعداده للمشاركة مع هذا الفريق إذا هيئت له الأسباب.

٦- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص١٧٠.

٧- بهذه المناسبة يسرني أن أتقدم بالشكر إلى رئيس مركز الدِّيْسَة على ما قدمه إلى الباحث من توضيح لبعض الأمور التي أشكلت عليه في المنطقة، وهذا ليس بغريب على (أبوسلطان).



عوض، عبدالرحمن/جرُف حسين بين الماضي والحاضر، من تاريخ أشراف النوبة (بيت العونلاب)، تقديم، محمد رياض.- القاهرة: جمعية جرف حسين الخيرية بالقاهرة، ٢٠٠٧م، ١٠٩ص.

جرف حسين هي قرية من قرى النوبة - خط الكنوز - وتعد واحدة من أهم القرى التاريخية؛ إذ بها بيت أولاد السيد عون الله بن نجم الدين الجعفري الحسيني، وهي أهم قبيلة في بلاد النوبة. وقد تناول المؤلف في الكتاب: السكان، والتعليم، والصحة، والقبائل، والأنساب، والنشاط الخيري، والآثار، والمزارات، وسير الرواد، والشخصيات، والأعيان، وأهم الأحداث القديمة. فقد قام بتتبع الإحصاء السكاني منذ عام ١٧٩٨م إلى عام ١٩٦٤م، وشرح معنى النجوع، وسرد نزول القبائل بها واستقرارها، وقام بتحقيق الأنساب بها، وتوصل إلى توصيل الأحفاد بالأجداد في أنسابهم، وعرّف مدى مصاهرة بعض القبائل بعضها بعضاً، واكتشف عدة فروع متصلة بالقرى الأخرى في كشتمنة، وقرشة، وماريا، والديوان، وغيرها أول مرة.

كذلك زار المؤلف أبناء جرف حسين بالإسكندرية، وسرد مسيرتهم خلال مئة عام (١٩٠٦ - ٢٠٠٦م)، وكتب عن جميع أبناء جرف حسين في الداخل والخارج، وقابل راويين من أبنائها، وتحدث عن الآثار، والمزارات، والموالد الشعبية القديمة التي كانت بجرف حسين، قبل بناء السد العالي.

وجاء في خاتمة الكتاب ملحق للصور احتوى على صورة لشهادة نسب، وشهادة تقديرية، وخطاب عزاء، إضافة إلى صور لعدد كبير من الشخصيات الدينية والسياسية والأدبية، وبعض المناطق.



سطوره الأولى

مهداة إلى روح الفقيد العزيز عبدالله باهيثم

جارالله الحميد
حائل - السعودية

لو كنت تملك مقدرة على تجاوز الذكريات لكنت جميلاً ومشرقاً! إنك أنت كما كنت قبل عشرين عاماً أيها الممتلئ بالتمرد. لا على ما يحسب أنه (تمرد) من ذلك الذي تواجه فلول الأمن السياسي، ورجال الإطفاء، والمرضون المتقاعدون. وقد كان لهم شأن، أي شأن في (الصحبة) ما إن تلج الباب حتى تمعن في رمل، وأنت تتطير من الرمل، بل إنك في قمة حضورك وعسجد حديثك تقفز أحياناً كالملدوغ. ونضحك نحن تلاميذك الذين يملئونك كل فاصلة تبغ، وسكون شارد:

- إشبه الراجل استحلى الغياب؟

فرد رجل يتجشأ بقوة وبناديه:

- دكتور إذا كان الرجل سيتأخر فإنني حالة إسعافية!

قال الطبيب بضيق صدر:

يا سيد عبيد، كم مرة راجعتني؟ وأسألك الذي دوماً ماذا الذي تشكو منه فلا تجيب! كأن سعادتك صندوق أسرار لا يفتحه إلا زعيم القبيلة وهو الأب، أو ذلك المتمثل موقعه إن كان مات! ترى هل سيموت من أجل مئات الآلاف؟ ألا يمكن وضع جزء كبير منها في قبر الفقيد؟ لعله يطمئن، ولكنه لن يجد أحداً يحدثه في هذه الحفرة. يسمع قرع نعال الذين لا يتعبون لا من العمل وتعداد مآثر الفقيد وأهله كان يعلو قسماتهم حزن شارد لا يمكنك أن تنسبه إلى أي شيء بناء على المتابعة الإكلينيكية، فهو يشعر بأنها أيضاً ترفعه درجات عند الله. أتذكر يوم زارك وأنت ضمن شركة حفر رمال. يبدأ عمله ذلك الروسيج وأنت تتابع حسب التعليمات ما حرك منه لذعة إبليتين تطفئ عنه هذا الوجع.

ناديت أخي:

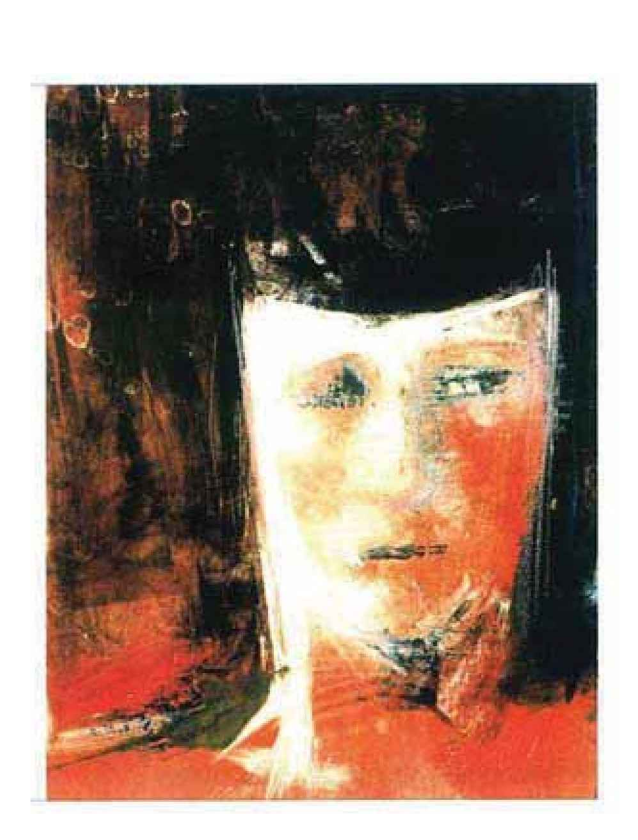
- ألم تر فكيه؟

- ما بهما؟

- أستغفر الله: لعاب وإفرازات، ويصير لحظتها مذهولاً.

- يا رجل، قلت لك منذ سنتين دعنا من الغبار والملح، ولنعترف أن مرضه كان القلق غير المبرر على مصير أولاده، زي ما يكونوا راحوا لغابة فطرية، سأل:

- إن شا الله مكافأة نجاحك وين المسجلات التي تمدها بمساعدة السائق؟



قال مرة لزوجته:
- أشعر أنك لا تحبينني..
قبل أن تجيب قال:
- إن لسانك الطويل يؤلم قلبي. دعوني أمت بهدوء أرجوكم. فأنا عجوز أشغل الأطباء. وكل طبيب بدأ معالجتي شعر بأن كيمياء الحسد لدي غير الآخرين:
- أنت ما تمارس حقك الذي شرع الله لك!
- ترى أنا ما أحب الكلام. وأصلاً ما أملك القدرة على مجاراتها. هي وحش/طيب/صديق/إنسانيتها لا تصدق. ولكنها تفرمل سيل مائها متعللة بأننا أول الليل. وإن شربنا كثيراً فسنقوم ليلاً ويتقطع نومنا.
قالت وهي القائلة:
- ارحم نفسك
ضحك وهو يتهكم:
- ارحم نفسك! ومن يملك أن يكون رحيماً كالله؟
قلت:
- نعم. إنك كنت ملتزماً، فما الذي يجبرك على ترك البيئة التي كنت تسرقها من أهلي سرقة؟
بكى قليلاً بهستيرية ثم توقف:
- اللهم ارحمهم واهدهم!
- من يهدي وله؟ فارس أنت عارف البير وغطاه.. ترك الجامعة وبرر بأنه يدرس أشياء ضيقة وهو شفاف كطائر جميل لن يسلك محليا يا أخي؟ أعرف أنك نوعا وربما أكثر.
صرخ كآخر إستراتيجية.
- يا ساتر أقول مين قال لأمي؟
- بل سأسلمك إلى المخدرات في قضية ترويج!
اللهم صلِّ على محمد.
واصل:
- وأنا أريد ولدي إبراهيم
- وهل كنت تظن أنك كنت تراه من قبل؟ إنها قبلة شاردة ونوم وعطاس وجو.
... والله جوّ!!
ضحكا معاً قال: ألا ترى أننا كائنان لا تتسع لنا المدينة؟
إن مكاننا أسواق مزدحمة لن تعدم فيها عندما تتقطع شاباً صغيراً يعرفك جيداً قائلاً.
ولن تنام دون دوائك.
فزع. قال:
- سكنت روحك. ولكنني سأظل مدمناً!
ضحك الذي كان في ثيابه الذي أشغله بلغة هي لغة الأحلام. اللغة المنسية!
وخرج الذي طلع من جسده وهو يضحك بطول صوته وهو يقول مغنياً (عندنا الهيل الهرري إلي ما يتنام بعده إلا بعد أسبوع ههههه!
برد الاثنان:
- سأرحل وعلينا النوم.
رد محتفلون/
أنا أحبك أنتا
أنا أحبك أنتا
ومر يوم. إن يوماً كهذا لجدير بأن يتأصله!
(حنين)
يا دار ياعل اللقا بك يعودي ويا علينا نتفق بك على ميعاد وتدلل علينا بالجمال السعودي...
وصمت صرار الليل وقال أحدهما:
- يا أخي مد واحدة خلنا نروق!
فقال عامل المقهى:
يا شباب الفجر.
سكرنا وعلنا أن ننام!
قالت غادة:
- يا سيدي الأروع. هل الموت يستحق أن يكون هدية لك؟
انعصر قلبي من نشيجها. قلت في السر: (اللهم لا تعرضها إلى ما يكدر صفوها العظيم).
بكيت لعمق!
ولعنتها من بعيد كان أنفها متوتراً. كانت تحبني! إنني أشفق عليها من حب. وأريد حبهم.
كتبها رجل وجد نفسه ملموماً بقصدير. وتحت الحدود. لم أهرب. ولم أضرب. ويحزنني سماع صوت أمي وهي تعطيها كفاً!

معرض ملكي في دار الحكمة

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز - أمير منطقة مكة المكرمة - في يوم ٢٨ من جمادى الأولى الماضي فعاليات «المعرض الملكي الفني للتصوير الفوتوغرافي» الذي نظمته كلية دار الحكمة للبنات بجدة تحت شعار «كلنا مسؤولون»، بحضور الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، والأمير فيصل بن عبدالله بن محمد.

وجاءت إقامة هذا المعرض ضمن رسالة الكلية في خدمة المجتمع، وقد عرضت لوحة تشكيلية للأمير خالد الفيصل عن أهمية المسؤولية الاجتماعية، والدعوة إلى تكثيف الجهود؛ لغرسها في نفوس الأجيال القادمة؛ خدمة للوطن والمجتمع.

وضم المعرض ٤٠ صورة فوتوغرافية من أعمال: الأمير سلطان بن سلمان، والأمير فيصل بن عبدالله بن محمد، وهي تتناول عددًا من مجالات الحياة الاجتماعية.

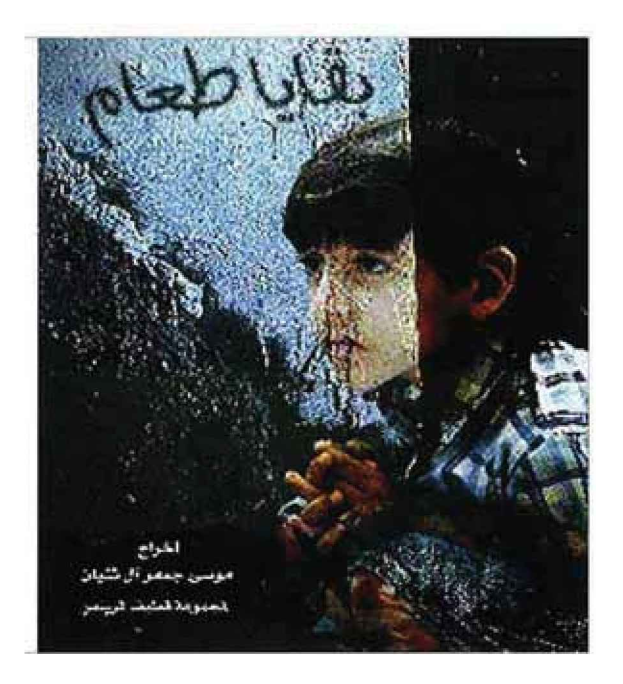
واشتمل المعرض الملكي الفني على مسابقة للتصوير الفوتوغرافي للناشئات، والجامعيات، والمحترفات، وذوات الاحتياجات الخاصة، شاركت فيها أكثر من ٢٣ مصورة بنحو ١٠٤ صور، تتضمن مشاهد متعددة من الحياة الاجتماعية، وبعض السلوكيات غير الحضارية التي يمارسها بعض الناس، إلى جانب صور أخرى للسلوكيات الإيجابية، والمشاهد، والإنجازات التي تعكس واقع التطور والنمو في المملكة، والمخزون التراثي العريق لها.

أفلام سعودية

قام رئيس جمعية الثقافة والفنون الدكتور يوسف العثيمين بتوزيع الجوائز على الفائزين في الدورة الأولى من مسابقة أفلام السعودية، التي نظمها نادي المنطقة الشرقية الأدبي وفرع جمعية الثقافة والفنون بالدمام في ٢١ إلى ٢٤ مايو الماضي.

وكانت جوائز مسابقة الأفلام الروائية على النحو الآتي: النخلة الذهبية وعشرة آلاف ريال لفلم (بقايا طعام) لموسى آل ثنيان، والنخلة الفضية وخمسة آلاف ريال لفلم (مطر) لعبد الله العياف، والنخلة البرونزية وثلاثة آلاف ريال لفلم (بلا غمد) لبدر الحمود.

بينما كانت جوائز مسابقة الأفلام الوثائقية كالآتي: النخلة الذهبية وعشرة آلاف ريال لفلم (السينما ٥٠٠ كلم) لعبدالله العياف، والنخلة الفضية وخمسة آلاف ريال لفلم (الحقيقة) لأسامة الخريجي، والنخلة البرونزية وثلاثة آلاف ريال لفلم (خطر الإبل من السياقة الليلية) لفالح الدوسري.



وفي مسابقة السيناريو، تم توزيع الجوائز الآتية: النخلة الذهبية وعشرة آلاف ريال لنص (الصديقان) لعباس الحايك، والنخلة الفضية وخمسة آلاف ريال لنص (هدف) لهناء العمير، وشهادة تميز أولى لنص (رؤية) لموسى أبو عبدالله، وشهادة تميز ثانية لنص (المشنوق) لمحمد عبدالعزيز، وشهادة تميز ثالثة لنص (سفير عزرائيل) لحيدر العمراني.

وفاة أعلام صحفيين وأدباء في السودان

توفي في الأيام الماضية أربعة من الصحفيين والأدباء السودانيين الذين أثروا الساحة الفكرية، والأدبية، والفنية، والصحفية، والإعلامية، إذ انتقل إلى رحمة الله تعالى كل من: الأستاذ الإعلامي محمود أبو العزائم، والشاعر الفذ محيي الدين فارس، والأستاذ الناقد والمؤرخ محجوب باشري، والشاعر والناقد الأستاذ مصطفى سند.

وكان الأستاذ محمود أبو العزائم صاحب تجربة واسعة في العمل الصحفي، وتولى كثيراً من المناصب الإعلامية، فكان مديراً للإذاعة السودانية، ثم للتلفاز، وترأس تحرير عدد من الصحف.

أما الأستاذ محيي الدين فارس فكان من رواد شعر التفعيلة في السودان، وصدرت له دواوين شعر كثيرة، من بينها: (الطين والأظافر)، و(نقوش على وجه المفازة)، و(صهيل النهر)، واشتهرت قصيدته التي كتبها مناصرة للقضية الفلسطينية، والتي يقول فيها:

الليل أوغل لا تنامي
الريح أطفأت السراج
وقهقهت خلف الخيام
وفراخك الزغب الصغار
تراعشت مثل الحمام

واحتفت بشعره دوريات عربية كثيرة، مثل مجلات: (الفيصل) و(القافلة) السعوديتين، و(الدوحة) القطرية، و(العربي) الكويتية، وقبلها (الرسالة) المصرية، التي كتب فيها إلى جوار عمالقة الأدب العربي، كالأستاذ العقاد، وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، والأديب الناقد محمد حسن الزيات، وغيرهم.

وكان الأستاذ محجوب عمر باشري أحد المفكرين البارزين الذين اهتموا بمسيرة الحركة الفكرية والأدبية في السودان، وجاء إنتاجه متميزاً في لغته ومضمونه، مشتملاً على معلومات غنية، تجعله مصادر رئيسة لمن يريدون البحث في تاريخ الإبداع السوداني، بل في تاريخ الحركة الوطنية إجمالاً، وكان أبرز ما ترك: (رواد الفكر السوداني)، و(أعلام الفكر السوداني)، و(معالم من الحركة الوطنية في السودان)، إلى جانب كتابه الشهير بالإنجليزية (السحر والسياسة في السودان).

أما الأستاذ مصطفى سند المولود في مدينة أم درمان عام ١٩٣٦م، فقد عرف بغزارة إنتاجه الأدبي، كما كتبت عنه عشرات الدراسات محلياً وعربياً، ويعد سند من أبرز الشعراء الذين أغنوا الساحة الأدبية، وتميزت إبداعاته بدقة التصوير، ونصاعة الأسلوب، وبراعة الوصف، وله عدد من الدواوين الشعرية منها: (البحر القديم) عام ١٩٧١م، و(ملامح من الوجه القديم) عام ١٩٧٨م، و(عودة البطريق البحري) عام ١٩٨٨م، و(أوراق من زمن المحنة) عام ١٩٩٠م، و(نقوش على ذاكرة الخوف) عام ١٩٩٠م، و(بيتنا في البحر) عام ١٩٩٣م.


محيي الدين فارس



عراقية تصمم برجًا على شكل زنبقة

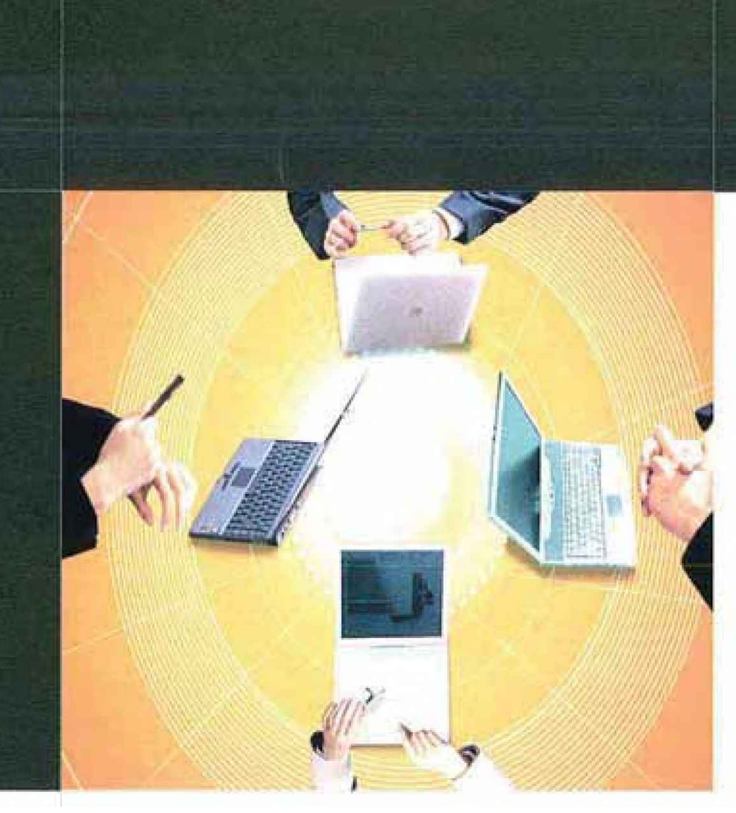
صممت المهندسة المعمارية العراقية البريطانية زهى حديد برجًا سكنيًا بارتفاع ٢٥٠ مترًا على شكل زنبقة في وارسو، وتبلغ مساحة برج ليليوم تاور الزجاجي ١٠١٢٥٥ م٢، ويضم شققًا، وفندقًا، ومحالّ تجارية، ومراكز ترفيهية، وسينتهي العمل في البرج بحلول عام ٢٠١٢م، وسيكون هناك مشروع تكميلي يشمل بناء ثلاثة أبراج أخرى مجاورة للبرج، وهي أقل ارتفاعًا منه. وكانت زهى قد نالت جائزة بريتزكر في عام ٢٠٠٤م، وقد صممت مصنع بي إم دبليو في ليبزيغ، وأوبرا كانتون في الصين، ومتحف غوغنهايم في ليشونغ بتايوان، ومتحف الفن المعاصر في روما.



عالمية التجارة الإلكترونية

صالح مهدي العامري

عمّان - الأردن



عوائق تحول دون عالمية التجارة الإلكترونية

لعل أبرز الثورات العلمية والاقتصادية التي نقلت البشرية من مرحلة تاريخية إلى أخرى، هي ثورة المعلومات التي توجتها شبكة الإنترنت، بما قدمته من فوائد لا تعد ولا تحصى في شتى مرافق الحياة. إن الكم الهائل من المعارف والمعلومات والبيانات المتاح للجميع، قد وفر فرصًا ثمينة للتطور، وحلّ كثيرًا من المشكلات. ولكن اعتماد الإنترنت لأغراض التجارة، وعقد الصفقات التجارية، والتبضع هو الاستخدام الأكثر انتشارًا اليوم، والأكثر فائدة لمنشآت الأعمال على اختلاف أنواعها.

فالحجز في شركات الطيران، والمسارح وغيرها، والتعليم، وشراء العقارات والمزادات وبيعها على اختلاف أنواعها، والخدمات الصحية، وشراء المنتجات المختلفة، وغير هذا من الأعمال، أصبح ممارسة يومية في حياة الناس. وربما سيكون بديلاً للتجارة التقليدية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل كل دول العالم تستفيد من التجارة الإلكترونية بالمستوى نفسه؟ وما العوائق التي تحول دون عالمية التجارة الإلكترونية؟ وما مدى تقبل هذا النمط الجديد من التجارة؟ سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال الفقرات الآتية.

عوائق عالمية التجارة الإلكترونية

إن العولمة في أبسط صورها تشتمل على تقارب دول العالم بعضها من بعض؛ نتيجة لتطور الاتصالات والمواصلات، بل إن بعضهم يتحدث عن القرية الكونية بوصفها نتيجة لهذا التطور التكنولوجي.

ولعل التجارة الإلكترونية بآلياتها التي عرفناها هي صورة من صور العولمة، فالسوق الجديد قد ألغى الحواجز، واتسع نطاق حرية التجارة بشكل لم يسبق له مثيل، فحرية الحركة للسلع والخدمات في السوق الجديدة مطلقة، وإمكانية الوصول إلى المستهلكين في جميع أنحاء العالم أصبحت حقيقة واقعة، ومعرفة ثقافات الدول الأخرى وعلومها باتت سهلة. إذن فالتجارة الإلكترونية، هي عالمية في جوهرها، ولكن التجربة في السنوات السابقة أثبتت أن النمط الجديد من التجارة يعاني من معوقات مشابهة لتلك التي عانت منها التجارة التقليدية، أو قريبة الشبه منها في بعض الأوجه، فتباين الدول من حيث درجة التقدم، والثقافة، والإمكانات المادية، وغيرها، كلها عوامل تؤثر في عولمة التجارة الإلكترونية، ويمكن أن تصنف هذه العوامل ضمن مجاميع نستعرضها تباعًا.

الجوانب القانونية

إن المسألة الجوهرية - هنا - هي كيفية صياغة قوانين موحدة على مستوى العالم، تعالج القضايا القانونية المترتبة على التجارة الإلكترونية، وإلى أي مدى سيمكن اعتماد الوثائق الإلكترونية والمستندات المختلفة اللازمة لعقد الصفقات، وإنجاز الأعمال على شبكة الإنترنت، وحسم النزاعات التي تنشأ بين المتعاملين. ولا نستغرب أن يشغل هذا الموضوع حكومات العالم والمنظمات الدولية، مثل: الأمم المتحدة، ومنظمة OECD، وغيرها.

إذن كيف يمكن للدول أن تحتفظ بسيادتها وتحصيلها

أدى انتشار التعليم الخاص بتصميم الشبكات، ونظم المعلومات، وتصميم صفحات المواقع إلى تشجيع التعامل، وبناء المواقع

الضرائب والجمارك في ظل التجارة الإلكترونية؟ هو أمر في غاية الأهمية. في ظل هذا النمط الجديد. كذلك ضوابط الاستيراد والتصدير. وحماية الملكية الفكرية. وضمان أمن التعاقدات والعمليات وسلامتها. وأهمها عمليات التسديد الإلكتروني. وسرية أرقام بطاقات الاعتماد. وإجراءات التأكد من أصالة الوثائق. وتدقيق هويات المتعاملين. فضلاً عن السيطرة على محتوى الوثائق الإلكترونية. وشؤون حماية المستهلك. كل هذا كان يعد من المسائل التي تقف عائقاً أمام ممارسة التجارة الإلكترونية على نطاق عالمي.

البنى التحتية اللازمة لانسياب عمليات التجارة الإلكترونية

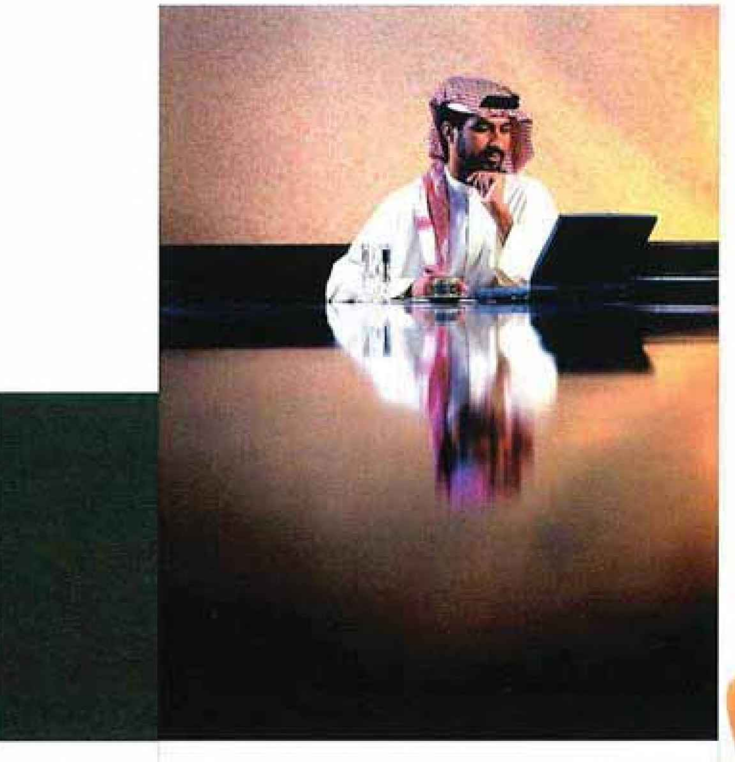
إن العالم ليس بدرجة واحدة في مجال التقدم التكنولوجي في الاتصالات والحاسوب. فهناك احتياجات مهمة للشركات التي تقدم خدمات الإنترنت. وتسهل عملية الربط بين المستهلكين. والشبكة التي تمثل السوق بجميع عناصره: من باعة. ومنتجات. وخدمات متنوعة أخرى. في الدول المتقدمة لا مشكلة: لأن الاتصالات متطورة جداً على عكس الدول التي لا تزال في طور النمو. حيث يكون نمو حجم التبادل خلال التجارة الإلكترونية بطيئاً وبسيطاً.

الجوانب المالية

إن المشكلة هنا تكمن في التجارة الإلكترونية الخالصة. أي: التي يكون فيها البيع والشراء والتسليم إلكترونياً. حيث لا يكون بالإمكان تحصيل الضرائب. والرسوم الأخرى. وأهمها الجمارك عند انتقال هذه السلع أو المنتجات بين الدول. كما يحصل عادة في التجارة التقليدية. فالتسليم هو عملية غير ملازمة. ويتم بشكل تحميل المنتج في جهاز المشتري.

أما التجارة الإلكترونية الجزئية فليس هناك مشكلة مشابهة: لأن عملية التسليم مادية. وبذلك يمكن دفع الضرائب المستحقة. أو ترسيم المنتجات. وبعبارة أخرى كلما كان المنتج مشفراً برزت مشكلة الرسوم الجمركية والضرائب. ومن جانب آخر تبرز مشكلة تحويل العملة Currency Exchange إذ تتطلب التجارة الإلكترونية التحويل الفوري للعملية. وهذا أمر مهم للبائعين. كذلك تبرز إشكالية تسديد قيمة المشتريات. أو الصفقات الصغيرة. أو ما يسمى بالـ Mircrocurency. هذا فضلاً عن أن دول العالم تستخدم جديداً بطاقات الائتمان. وإجمالاً يمكن القول: إن ما يترتب على التجارة الإلكترونية من عمليات حسابية سيكون من الصعب دمجه في الحسابات القومية للدولة.

البنى التحتية مشكلة في الدول النامية





ترجمة المواقع مرهقة ومكلفة، فقد قدر أحد الباحثين تكاليف ترجمة بعض المواقع الكبيرة بنصف مليون دولار

مشكلة اللغات المختلفة لدول العالم

يحتاج الأمر في كثير من الأحيان إلى أن يكون الموقع مقدمًا بلغة معينة حتى يؤدي دوره الفعال في إقناع الزبائن بالتسوق، وعلى الرغم من أن اللغة السائدة في العالم هي الإنجليزية إلا أن هناك أسواقًا، وأقسامًا من بعض الأسواق تتطلب أن يترجم الموقع إلى لغات أخرى.

إن عملية الترجمة مرهقة ومكلفة، فضلاً عن أنها تتطلب وقتًا ليس بالقصير، فقد قدر أحد الباحثين تكاليف ترجمة بعض المواقع الكبيرة بنصف مليون دولار، وهذا مبلغ جسيم لمنشآت الأعمال. ولكن إحدى شركات البرمجيات طورت برنامجًا قادرًا على ترجمة الموقع المصمم أساسًا باللغة الإنجليزية إلى عدة لغات أخرى مقابل كلفة محددة، فمثلاً عند الترجمة من اللغة الصينية فإن كلفة الكلمة الواحدة هي ٢٤ سنتًا، وقد ترجم هذا البرنامج موقع شركة NTT اليابانية للهاتف إلى عشر لغات آسيوية أخرى مدة فترة قصيرة.

الشراء بعملات مختلفة

وهذا عائق كبير في مجال عولمة التجارة الإلكترونية، فأسعار العملات تتغير ربما كل دقيقة، وهذا يعقد عملية تداول السلع والخدمات بين الدول. وقد طورت شركة Worldpay System برنامجًا يعرض السلع والخدمات بـ ١١٦ عملة مختلفة. كما أنه يقدم أسعار العملات بشكل [illegible]، وفي أي لحظة زمنية، وقد اهتدت الشركات التي تصدر بطاقات الائتمان إلى هذه النقطة فزودت البطاقات بخدمة قابلية التحويل الأوتوماتيكية ولعدة عملات.

أثبتت التجربة في السنوات السابقة أن النمط الجديد من التجارة يعاني معوقات مشابهة لتلك التي عانتها التجارة التقليدية

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك معوقات أخرى يجب التغلب عليها؛ لفرض ممارسة التجارة الإليكترونية بشكل عالمي، منها: تحديد هويات المتعاملين، فكثير من العقود تقتضي هذا الأمر، كذلك مسألة الثقة، ولو أنها في الدول المتقدمة التي تعودت التعامل الإلكتروني هي أكثر رسوخًا، لكنها لا تزال أزمة حقيقية للتعامل مع هذا النمط التجاري في الدول النامية، والشيء نفسه يقال عن الأمن المعلوماتي، وحماية الشبكات من الفيروسات التي كثيرًا ما سمعنا أنها تتسبب في مشكلات خطيرة، وخسائر فادحة، لكثير من الشركات، ولا ننسى - هنا - أن الاتفاقات الدولية على اختلاف أنواعها يمكن أن تنعكس على عمليات التجارة الإليكترونية، والحدّ من نموها.

مستقبل التجارة الإلكترونية

إن المستقبل يبدو واعدًا لازدهار التجارة الإلكترونية؛ لأسباب متعددة، أولها: المردودات الكبيرة التي حققتها الشركات التي سبقت غيرها في الدخول إلى هذا الميدان، خصوصًا أن إبداعات هذه الشركات قد أمكن تسجيلها كبراءات اختراع تتلقى الشركات أموالاً طائلة منها؛ لأنها تعتمد في شتى أنحاء العالم. ونلاحظ أن شركة Amazon فيها قسم كبير يضم عددًا كبيرًا من المحامين مهمتهم الأولى هي المحافظة على حقوق الشركة وملكيتها الفكرية، وهي الميزة الجديدة التي تتمتع بها الشركات التي كانت سابقة في الدخول إلى ميدان التجارة الإلكترونية.

ومن جانب آخر فإن التطور التكنولوجي في ميدان الاتصالات والحواسيب من حيث كمية المعلومات المنقولة، وسرعة [illegible]، قد شجع المنشآت والدول على ممارسة الأعمال الإلكترونية.

وتجدر الإشارة إلى أن انتشار التعليم الخاص بتصميم الشبكات، ونظم المعلومات، وتصميم صفحات المواقع، كل هذا أدى إلى تشجيع التعامل، وبناء المواقع من قبل البائعين، ولو تأملنا حقل تكنولوجيا المعلومات لوجدنا أن إنتاج التجهيزات، وفرص العمل، وإنتاجية العاملين فيه، هي موضوع بحث وتحليل ودراسات مطولة في كثير من بلدان العالم، خصوصًا المتقدمة منها، وكذلك لابد من الإشارة إلى أن الكلفة عالية جدًا لتلك الشركات التي لا تدخل هذا الميدان، فقدرتها على المنافسة ستكون قليلة، ولن تصمد في السوق طويلاً.

إن الحديث عن مستقبل التجارة الإلكترونية أصبح



بداية الاستفادة من شبكة الإنترنت في قاعات الدراسة

واحدة من القضايا الإستراتيجية لحكومات دول العالم. إذ تعد الحكومات استراتيجياتها المستقبلية التي يكون من أهمها موضوع تكنولوجيا المعلومات، وتنمية التجارة الإلكترونية. وأوضح مثال هنا هو الحكومة الأمريكية التي تعد رائدة في مجال رسم سياسة واضحة وطموح لممارسة التجارة الإلكترونية. وقد صاغت في عام ١٩٩٧م (وفي وقت مبكر مقارنة بالدول الأخرى) سياسة. كانت مبادؤها الأساسية كما في الآتي (نذكرها هنا كمثال حي على الاهتمام بهذا الموضوع):

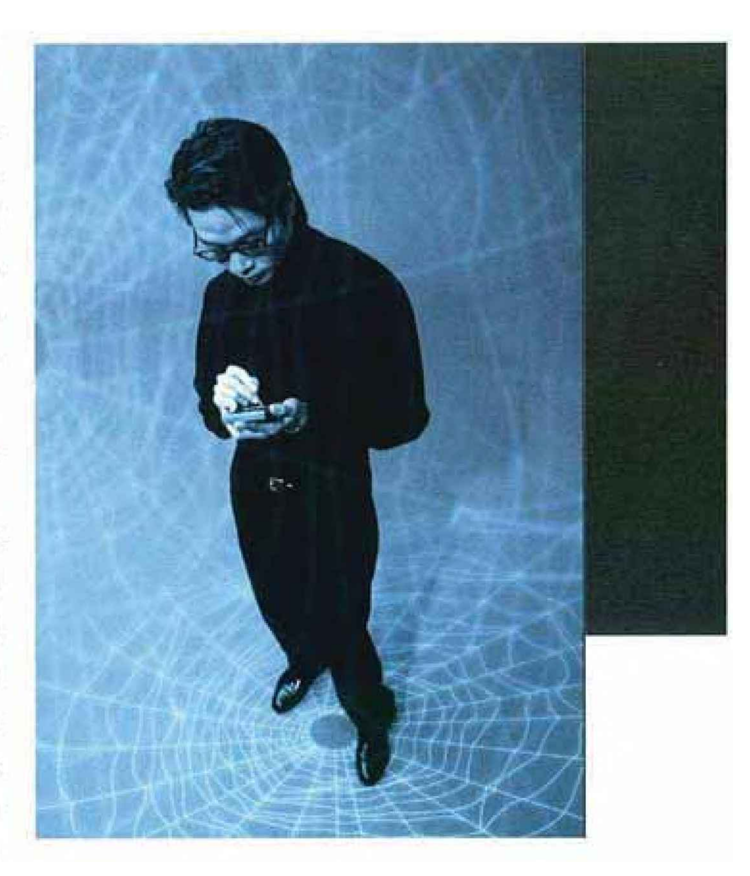
- إن الإنترنت والأعمال التجارية فيها يجب أن تتطور وفقًا لآليات السوق، ومن دون تدخل الحكومة. حتى إذا كان هناك حاجة جماعية إلى التدخل فإنه يكون بأقل الحدود. ويجب أن يشجع الضبط الذاتي لهذه الصناعة الجديدة، وأن تشجع قيادة القطاع الخاص فيها.
- أن تتجنب الحكومات القيود غير الضرورية المفروضة على التجارة الإلكترونية، وأن تسهل عمليات تبادل السلع والخدمات من دون تدخل حكومي، وأن تتجنب فرض ضرائب ورسوم تعقد من عمليات التبادل التجاري.
- إذا كان لابد من تدخل الحكومة، فإنه يجب أن يكون بطريقة

تؤدي إلى دعم البيئة القانونية لهذا النمط من التجارة وتقويتها، مشجعة بذلك المنافسة، وحماية الملكية الفكرية، والخصوصية، وكذلك تجنب الغش والاحتيال مع زيادة في الشفافية.

- يجب على الحكومات أن تدرك الخصائص الفريدة للإنترنت، التي يمكن أن تدعم اقتصادات الدول، وتسهم في ازدهارها، وتساعدها على الاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى.

إن العمليات التجارية على الإنترنت يجب أن تدعم، وتسهل على أساس عالمي، فالإنترنت هي سوق عالمية، ويجب أن تكون قوانينها وضوابطها معروفة للبائع والمشتري.

إن هذه المراجعة السريعة لهذه المبادئ توضح الاهتمام الكبير الذي توليه الإدارة والحكومة في دولة كبيرة ومتقدمة. ويشير بعض الخبراء إلى أن حجم تجارتها الإلكترونية في سنة ٢٠٠٢م قد تجاوز ٤٠٠ مليار دولار. وكذلك لا ننسى الإشارة إلى أن المنشآت الصغيرة، والفردية، أو العائلية سيكون لها دور كبير في الحياة الاقتصادية، فمصادر المعلومات لها، وإمكانية الإعلان، وكلفة عقد الصفقات، كلها منخفضة بشكل كبير جداً، فضلاً عن أن السوق مفتوحة لها في كل دول العالم، وبهذا فهي تستطيع إعداد نماذج (كتالوجات) كبيرة متضمنة كل المعلومات عن منتجها سواء كانت سلعاً أو خدمات، وبهذا فالوفورات في التكاليف كبيرة مع إمكانية الوصول إلى أعداد كبيرة من المستهلكين.

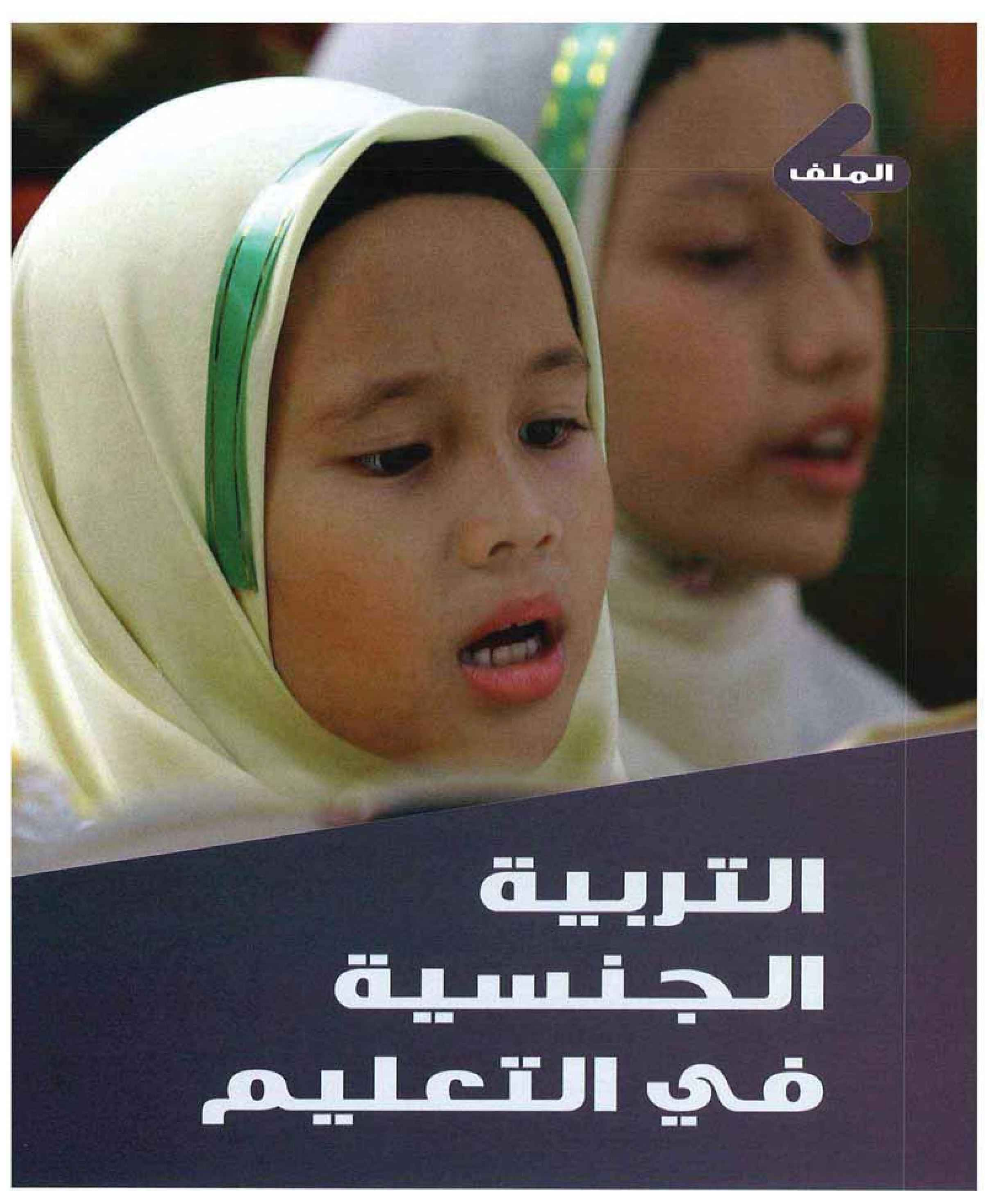


الدول العربية متخلفة بشكل واضح في مجال الاستفادة من شبكة الإنترنت بشكل عام، ومن تطبيق آلياتها في مجال التجارة الإلكترونية بشكل خاص

خاتمة

إن الاستعراض السريع لكثير من الأفكار التي سقناها آنفاً، يدفعنا إلى التفكير في إيجاد وسائل، والبحث عن حلول للحاق بركب الأمم المتقدمة؛ بهدف الاستفادة من هذا المجال الحيوي، فدولنا العربية متخلفة بشكل واضح في مجال الاستفادة من شبكة الإنترنت بشكل عام، ومن تطبيق آلياتها في مجال التجارة الإلكترونية بشكل خاص، وأعتقد أن البداية يجب أن تكون في قاعات الدرس، فمن واجب المسؤولين عن التعليم التركيز في تعليم الطلاب - على اختلاف مستوياتهم - كيفية الاستخدام الأمثل للشبكة، وعدم التركيز في الاستخدام البسيط للمراسلة، أو المحادثة، وتصفح البرامج، فكل المعاهد والجامعات (ومنها الجامعات العربية) ضمنت مناهجها الدراسية مواد تتعلق بالتجارة الإلكترونية، والتسويق الإلكتروني، والأعمال الإلكترونية، ولكن يجب أن نتأكد من أن هذه المواد تدرّس بشكل يساعد الطالب على تعلم بناء المواقع، وخصوصاً للشركات الفردية، وصغيرة الحجم.

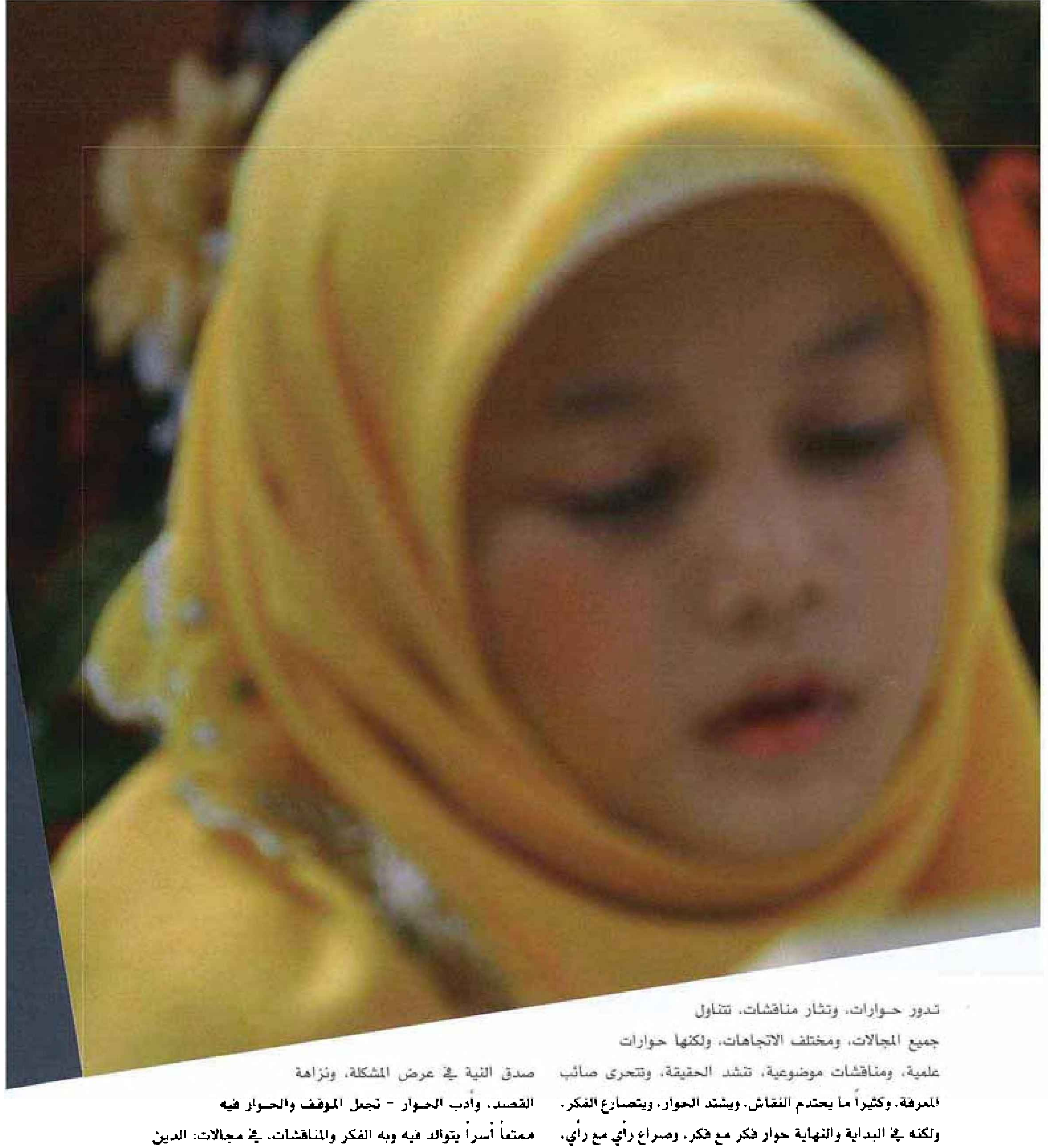
وأخيراً لابد من مواكبة التطور، وأعتقد أن الإمكانات المتاحة في الدول العربية يمكن أن تحدث نقلة نوعية في هذا المجال.



التربية الجنسية في التعليم

محمد محمود العطار

كفر الشيخ - مصر



تدور حـوارات، وتثار مناقشات، تتناول جميع المجالات، ومختلف الاتجاهات، ولكنها حوارات علمية، ومناقشات موضوعية، تنشد الحقيقة، وتتحرى صائب المعرفة. وكثيراً ما يحتدم النقاش. ويشتد الحوار، ويتصارع الفكر. ولكنه في البداية والنهاية حوار فكر مع فكر، وصراع رأي مع رأي، وفوق هذا فهو ينمي ثقافة، ويثري فكراً، ويوضح «مفاهيم»، ويأتي بالجديد المفيد. ولا يخلو أحياناً من إثارة تستفز، وعرض لقضايا تتحدى المشاعر، وتمس ما ألف الإنسان وعرف، بل اعتقد. ولكن صدق النية في عرض المشكلة، ونزاهة القصد، وأدب الحـوار - تجعل الموقف والحـوار فيه ممتعاً أسراً يتوالد فيه وبه الفكر والمناقشات، في مجالات: الدين والعلم، والتربية، والنفس، والأدب، والأخلاق.

وهناك موضوع حيوي يهتم به كل فرد، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وهو موضوع الجنس، فلا يوجد فرد في هذا الوجود لم يهتم يوماً



التربية الجنسية لا تعني إثارة الغرائز

بالتفكير في موضوع الجنس من جميع جوانبه، ويؤدي الجنس دوراً مهماً في حياة الإنسان؛ فالتوالد والتكاثر من أهم ظواهر الطبيعة، وهو طاقة من أكثر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم.

وحين نتحدث عن التربية الجنسية، للطفل أو المراهق أو البالغ، يخطر على بال معظمنا الممارسة أو الفعل. وقد يتصور الشخص أن المعنى هو إثارة الغرائز.

إن التربية الجنسية للطفل يجب ألا تترك للمصادفة، بل يجب أن تكون أولاً في المنزل، وتستمر في المدرسة بطريقة علمية هادئة.

والتربية الجنسية ليس المقصود بها المعاشرة الجنسية، كما يظن كثير من الناس من وجهة النظر الطبيعية، بل إن التربية الجنسية - من وجهة النظر المستنيرة - هي كل ما يتعلق بسلوك الذكر أو الأنثى كل منهما نحو الآخر. إن اهتمامات الذكر والأنثى كل منهما بالآخر تدخل تحت علم التربية الجنسية، هذا بجانب كل ما يتعلق بتطورات جسم الإنسان للذكر والأنثى وشكله وتركيباته وتشريحه الفسيولوجي؛ فإنه يدخل تحت نطاق علم التربية الجنسية، كذلك التغيرات المورفولوجية والسلوكية والوظيفية لكل من الجنسين؛ لذلك يجب على الآباء والأبناء أن يكونوا مسلمين بكل

هذا؛ حتى لا ينتابهم الذعر حين تحدث أي متغيرات في شكل الأبناء ووظائفهم في أثناء مراحل حياتهم"[١].

وقد تميز الإسلام بشموليته في الطرح لكل جوانب حياة المسلم، حتى قبل أن يولد، حين اهتم بالزواج والتناسل، ولم يتحرج في التطرق إلى كل ما يشغل تفكير المسلم في أمور حياته الخاصة.

إنه أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين علّم الصحابة والصحابيات - رضوان الله عليهم أجمعين - بلغة راقية، وبأسلوب بسيط لا إفراط فيه ولا تفريط، كل ما يتعلق بالأمور الخاصة جداً؛ لأن الجنس جزء من الحياة، اعترف به الإسلام، ووضع له الإطار الصحيح للتعامل معه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع».

لقد سعى ديننا الإسلامي الحنيف إلى الحفاظ على النشء، وإبعادهم عن المثيرات الجنسية؛ حتى لا يقعوا في دائرة الرذيلة، وأوصى المجتمع الإسلامي بالحفاظ عليهم؛ حتى لا يقعوا في شراك أولئك الملعونين من تجار الحرام.

إن الانفتاح المعلوماتي الذي أسقط كل جدران الرقابة الرسمية، ورقابة الأسرة على أبنائها ليدعونا إلى المزيد من اليقظة؛ حتى لا نفقد فلذات أكبادنا، وبناة أوطاننا، فلنهب جميعاً إلى نشر ثقافة العفة في مجتمعاتنا، ولنضرب بيد من حديد على أولئك الذين يريدون أن يحولوا مجتمعاتنا إلى أسواق مفتوحة للمتعة المحرمة، ولنقف جميعاً مع أطفالنا، حتى يستمروا سواعد للخير والعطاء[١].

المقصود بالتربية الجنسية

يقصد بالتربية الجنسية إعطاء الطفل خبرة سليمة ومناسبة تؤهله وتعينه على حسن التوافق مع المواقف الجنسية في مستقبل أيامه، ويكتسب الفرد - نتيجة لهذه الخبرة - اتجاهات عقلية سليمة إزاء مسائل الجنس[٢].

سعى ديننا الإسلامي الحنيف إلى الحفاظ على النشء، وإبعادهم عن المثيرات الجنسية؛ حتى لا يقعوا في دائرة الرذيلة

التربية الجنسية هي الإسهام في بناء الشخصية السوية؛ القادرة على القيام بواجبات الخلافة في الأرض؛ بإعمارها، وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهج الله

ويقصد بها أيضاً تلك التربية التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية، والخبرات الصحيحة، والاتجاهات السليمة، إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به النمو الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية، والمعايير الاجتماعية، والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤدي إلى حسن توافقه في المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية[٣].

أهداف التربية الجنسية

لا شك في أن الهدف الأساسي للتربية الجنسية هو الإسهام في بناء الشخصية السوية: خلقياً واجتماعياً وعقلياً وجسمياً وشعورياً، والشخصية القادرة على القيام بواجبات الخلافة في الأرض؛ بإعمارها، وترقية الحياة على ظهرها، وفق منهج الله.

وهذا إنما يتأتى من خلال تحقيق مجموعة من الأهداف المباشرة، وأهمها ما يأتي[٤]:

- أن يدرك الآباء والأبناء والمربون مفهوم التربية الجنسية، وأهميتها، ودورها في توجيه السلوك الإنساني وتفسيره، من دون مبالغة أو تفريط.
- أن يدركوا خطورة الأفكار الغريبة على مجتمعنا، والتي تفسر السلوك الإنساني كله على أساس الجنس والغريزة الجنسية، والجري وراء الشهوات.
- أن يفهموا، ويستوعبوا الحقائق والمعلومات الصحيحة عن الختان، والطهارة، والوظيفة الفطرية للجهاز التناسلي للذكر والأنثى.
- إدراك الحقائق والمعلومات المتصلة بالتمايز بين الجنسين، وأهمية هذا التمايز في الحياة الأسرية والاجتماعية، نظرياً وعملياً.

- القدرة على تهيئة جو الحوار والمناقشة مع الأبناء، وتشجيعهم على طرح الأسئلة، ومصارحتهم من خلال الإجابة عنها، ومساعدتهم على حل مشكلاتهم، وإعدادهم لاستقبال حياة البلوغ والشباب.
- استيعاب الحقائق والمعلومات المتصلة بالجنس في مرحلة الصبا، كالبلوغ والاحتلام، والحيض.. إلخ، ومساعدة الأبناء على حل مشكلات هذه الفترة، والمرور بها بطريقة يسيرة من دون تعقيدات أو انحرافات.
- تحديد مسؤوليات الآباء والمربين والمناهج الدراسية - عموماً- تجاه الحياة الجنسية للأبناء وما يترتب عليها من نتائج ومشكلات.
- توعية الآباء والأبناء والمربين بمشكلات الشباب الجنسية، كالاستمناء، والزنا، واللواط والسحاق، وبأسبابها، والنتائج المترتبة عليها على مستوى الفرد والجماعة.

لماذا التربية الجنسية؟

إن رب العالمين قد ذكر في كتابه العزيز في أكثر من موضع آيات كثيرة تتحدث عن الجنس، وعن خلق الإنسان، وعن الفاحشة..

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ (البقرة: ١٨٧) وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة: ٦)، وقوله: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، وقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢)، وقوله: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣)، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)

فهل نريد أن يمر أطفالنا على هذه الآيات وغيرها من دون فهم، وتصبح سور القرآن نصوصاً يحفظونها من دون فهم أو إدراك لمعانيها؟.

وعلينا أن نفكر في مصادر المعلومات البديلة، التي سيستقي منها أبناؤنا معارفهم عن التطورات المصاحبة لنموهم، وعن مظاهر البلوغ التي تظهر على أجسامهم، وعن الاختلافات بين الجنسين، والتي لا يغفل عنها حتى الطفل الذي لايزال يحبو إذا لم تقم المدرسة ببحث هذا الأمر بأسلوب تربوي متميز، وإذا لم يتولَّ الوالدان الرد على التساؤلات، التي لم يجرؤ الأبناء على طرحها في الصف على المعلم، فإن قرناء السوء سيبرزون بإجاباتهم عن المسائل الجنسية، ويجعلونها جنساً صرفاً، بل بصورة خاطئة، وهذا ما سيفعله أيضاً أقرانهم من الزملاء ذوي النيات الحسنة، الذين لا تتوافر لديهم الرؤية العلمية والدينية الصحيحة للأمر.

ثم إن هناك كارثة تتمثل في القنوات الفضائية، وبعض عناوين الإنترنت التي لا رقيب عليها، ولا تتورع عن عرض الأفلام الإباحية، والتي لا تعرف حلالاً ولا حراماً، ولا تقف عند حد الممارسات الجنسية الطبيعية، بل تتعداها إلى الشذوذ بجميع أنواعه، والتي ستصيب كل مراهق يراها بفوضى المشاعر والمفاهيم، وتزرع فيه صورة مشوهة للجنس لا يسهل قلعها.

وقبل هذا وذاك، فإنه من الطبيعي أن يسعى الطفل - منذ نعومة أظفاره - إلى تفحص جسمه، والتعرف إلى أعضائه، ولا معنى للصراخ فيه عند لمس جزء من جسمه، وتكوين عقدة ذنب داخله، من دون أن يدري ما ارتكبه من إثم، والتسبب بهذه الطريقة في زيادة اهتمامه بهذه الأعضاء، وهذا رد فعل طبيعي على الهالة التي نحيطها بالحديث عن هذا الأمر الذي يسميه كثيرون «قلة أدب».

وما دام القرآن يعرضها، والضرورة تحتمها، فلا معنى للتعامي عنها، وإنكار وجودها، وتركها حقلاً ترتع فيه الخيالات المشوهة، والمعلومات المبتورة، ثم إذا ما فكرنا في طرحها عليهم حين يكبرون، يكون أوان التحذيرات قد فات[1].

إن التربية بجميع مجالاتها -دينية، واجتماعية، ووطنية، وجنسية.- هي حصن الدفاع الأول والأخير، ولا بد للمجتمعات الإسلامية المحافظة - وعلى وجه التحديد في عصر الفضاء



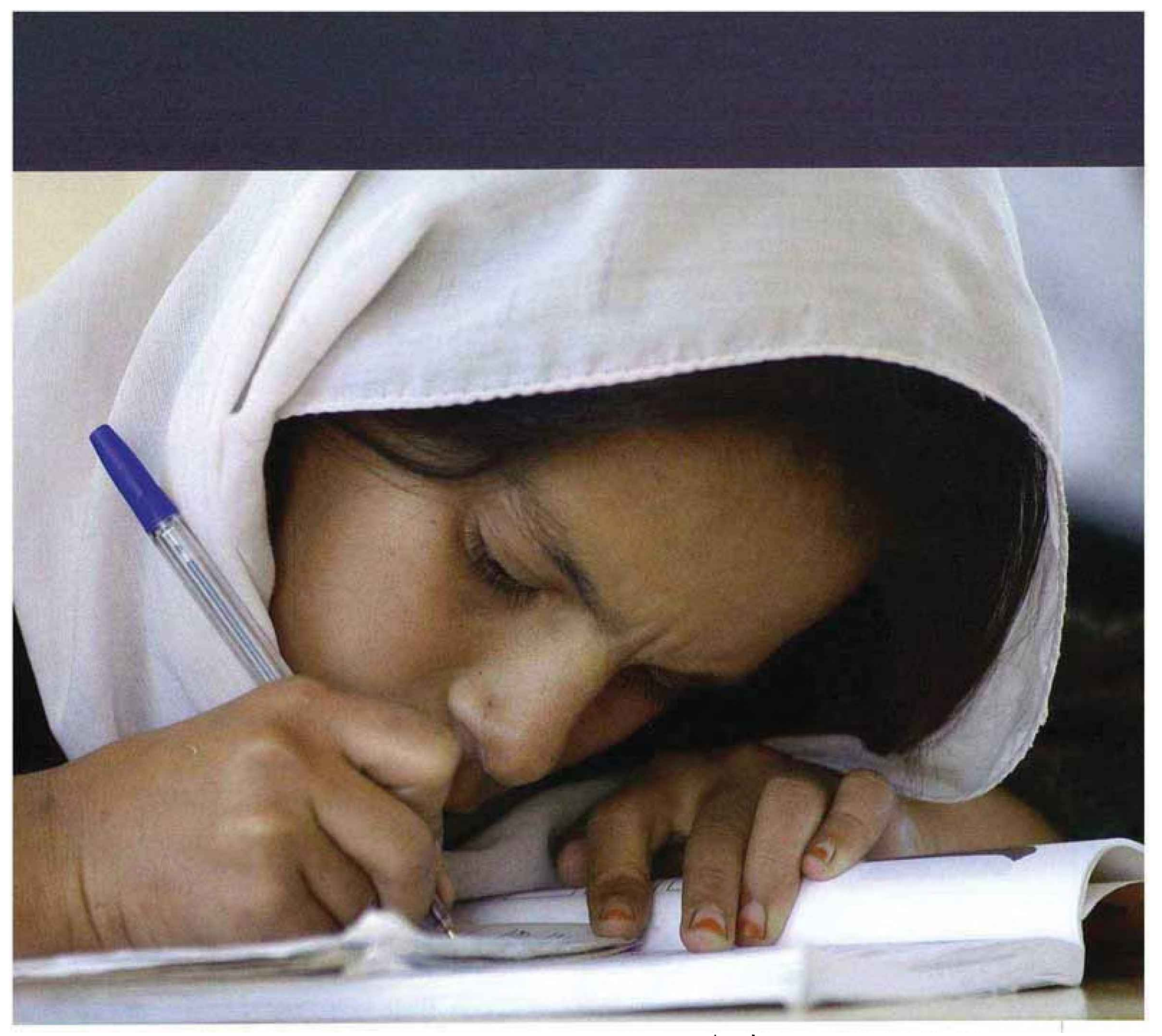
التربية الجنسية ليس المقصود بها المعاشرة الجنسية، بل هي كل ما يتعلق بسلوك الذكر أو الأنثى كل منهما نحو الآخر

المفتوح، والعالم الرقمي غير المحدود - من تربية إسلامية تستوعب الجنس بوصفه جانباً جوهرياً من الحياة الإنسانية، وتوجّه هذه الغريزة والحاجة البشرية وجهة ربانية سليمة، تكفل السعادة للزوجين، والحياة الأسرية للأبناء، وحفظ النوع الإنساني للمجتمع جميعه.. في وقت واحد.

ومن ناحية أخرى قد يترتب على نقص التربية الجنسية في إطار التربية الإسلامية ارتكاب محرمات، أو تجاوز حدود شرعية، أو تجاوز آداب وأحكام إسلامية، كالأحكام المتعلقة بالطهارة، والجنابة، والحيض، والوضوء، ومحظورات الحج، والاعتكاف في المساجد، وغيرها[٧].

وسائل التربية الجنسية السليمة

- إشباع حب الاستطلاع الجنسي عند الطفل بطريقة تتناسب مع قدراته العقلية، وعدم الهرب من الإجابة عن استفساراته. ويمكن الاستعانة بملاحظة الحيوانات الأليفة في تعرف الطفل إلى حقائق الجنس.
- عدم ردع الطفل بقسوة، أو إظهار التقزز والاشمئزاز إذا لجأ إلى العبث بأعضائه التناسلية، وعلى الآباء أن يحولوا



التربية الجنسية تتطلب لقاءات مباشرة وحواراً متصلاً

انتباههم إلى أمر آخر بلباقة وذكاء.

- ينبغي أن يعمل الوالدان على تحرير الأبناء من سيطرتهما تدريجياً، وأن يحولا دون تعلقهم بهما تعلقاً عاطفياً عنيفاً؛ حتى يتاح لهم الاستقلال العاطفي في الوقت المناسب.
- أن تكون العلاقة طيبة بين الوالدين؛ حتى لا يشبّ الطفل مثقلاً بمرارة ما رآه من شقاق بينهما؛ فتتشوه نظرته إلى الحياة الزوجية.
- عدم التحيز إلى الذكور على حساب الإناث داخل الأسرة؛ فإن هذا قد يغرس في نفوس الإناث كراهية الجنس الآخر(١).

دور الأسرة في التربية الجنسية

إن أسلوب الأبوين في التربية واتجاهاتهما نحو الطفل خلال الطفولة المبكرة تؤدي دوراً مهماً في فكرة الطفل عن ذاته، وفي اتجاهاته نحو جنسه ونحو الجنس الآخر.

وقد يؤدي أسلوب التعامل بين الأب والأم دوراً مهماً في

من الضروري تدريس مادة التربية الجنسية في مناهج التعليم، ولكن ليس قبل توافر المناهج المناسبة لثقافة البلد، وعاداته، وتقاليده، وتأهيل المعلمين والمعلمات

تكوين الاتجاهات الجنسية الإيجابية أو السلبية.

ولكي تحقق الأسرة دورها كاملاً في التربية الجنسية لأبنائها يجب مراعاة الآتي[١١]:

- البدء في تربية الطفل تربية جنسية منذ طفولته، والأم تستطيع أن تقوم بدور مهم في هذه الناحية، عن طريق عملية الرضاعة؛ إذ إن هذه العملية تتصل بحاجة ملحة كبرى لدى الطفل في شهوره الأولى.
- أن يتسم مسلك الآباء واستجاباتهما نحو عملية الإخراج لدى الطفل في شهوره الأولى بالإباحية والموضوعية، إذ تؤدي الاتجاهات الوالدية نحو عملية الإخراج دوراً مهماً في تربية الأطفال الجنسية.
- حسن مواجهة الآباء لمسلك الأبناء جنسياً في الطفولة المبكرة، إذ إن الطفل يعتمد على حاسة اللمس في استكشاف العالم المحيط به.
- ضرورة تفادي أي عمل من شأنه استثارة الدافع الجنسي قبل الأوان.
- ضرورة تحرّي الصدق والأمانة في الإجابة عن تساؤلات الأطفال فيما يتعلق بالميلاد والتناسل، مع تحلي الآباء بسعة الصدر.
- ضرورة تقديم إجابات فورية لما يبديه الطفل أو يصدر عنه من تساؤلات. فتساؤلات الطفل - مهما كانت - تعدّ أموراً طبيعية، وهو على حق في توجيهها.



دور المدرسة في التربية الجنسية

يعد دور المدرسة مكملاً لدور الأسرة، ولا بد للمدرسة من دور في التربية الجنسية يكون امتداداً طبيعياً للتربية الجنسية التي يقوم بها الآباء، وتكملة لها.

لكن الذي ينبغي تأكيده هو أن التربية الجنسية في المدرسة لا تشكل - بحال من الأحوال - بديلاً من التربية الجنسية داخل الأسرة، ولا ينبغي أن تتخذ ذريعة لأن ينفض الآباء أيديهم من مسؤولياتها[١٢].

ففي مرحلة الحضانة تستطيع المدرسة أن تساعد الأطفال على التعرف إلى عملية التوالد عند القطط والأرانب مثلاً، أو على عمليات التفريخ عند الدجاج والطيور، كما تستطيع أن تدرب الأطفال على الأدوار والعادات السلوكية التي تختص بالجنس الذي ينتمي إليه الطفل.

أما خلال المرحلة الابتدائية، فتستطيع المدرسة أن تنمي مدارك التلاميذ فيما يتعلق بمعنى الذكورة والأنوثة عن طريق الطير والحيوان والإنسان.

كما تستطيع أن تشجع الاتجاهات الإيجابية لدى كل من الجنسين نحو الآخر عن طريق الأنشطة الثقافية والاجتماعية المختلفة.

أما دور المدرسة خلال المرحلتين المتوسطة والثانوية اللتين يكون فيهما التلاميذ في مرحلة المراهقة، فهو متعدد الجوانب، ويمكن إيجازه فيما يأتي:

- الجانب البيولوجي

وهو النضج الجنسي، وهرمونات الذكورة والأنوثة، والخصائص الجنسية الأولية والثانوية، والتغيرات الجسمية.

ويمكن أن تقوم مادة التاريخ الطبيعي بدور كبير بهذا الصدد، كما يمكن الاستعانة بالأفلام الخاصة بمرحلة الحمل وعملية الولادة؛ لتوضيح الوظائف الجنسية، وما يترتب على الاتصال الجنسي من مسؤوليات وتضحيات وما قد يسببه الزواج غير الناضج من متاعب، أو مشكلات، أو إعاقات عقلية، أو تشوهات جسمية للأطفال، أو ما قد يسببه الانحراف الجنسي من أمراض سرية جسمية، أو أمراض نفسية، ونحو ذلك.

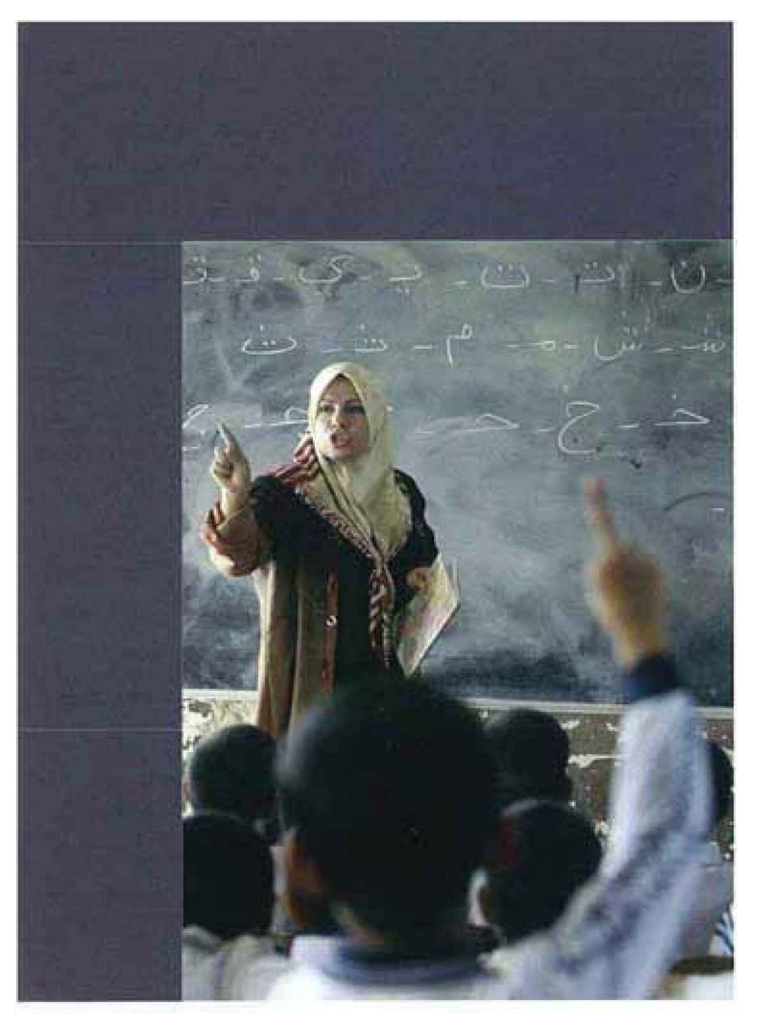
- الجانب النفسي

ويتناول الصراعات النفسية المتعلقة بالجنس، وبالإشباع الجنسي، وتكوين الاتجاهات الإيجابية لدى كل من الجنسين نحو الآخر، وتحقيق الفطام النفسي، والاستقلال الانفعالي، والنضج العاطفي، للمراهقين والمراهقات، وتستطيع المدرسة أن تنظم الجماعات من الأقران، التي يكون أفرادها من الجنسين؛ للقيام بمختلف الأنشطة - العلمية، والثقافية، والاجتماعية - المشتركة، كما تستطيع أن تقدم المواد والمهارات العلمية التي تساعد على تحقيق الاستقلال للمراهقين.

- الجانب الثقافي

يتناول القيم الاجتماعية، وتعارضها مع الحاجات الجنسية، وضرورة التزام قوانين المجتمع وتقاليده بهذا الصدد؛ حرصاً على البناء الاجتماعي، وحمايته من التفكك والانهيار، كما يتناول دور الأسرة وتكوينها، ومسؤولياتها، وعوامل نجاح الزواج واستمراره.

وتستطيع المدرسة - عن طريق المواد الثقافية والاجتماعية والدينية - أن تعالج مشكلة التعارض بين إشباع الدوافع والقيم، كما تستطيع - عن طريق مواد الاقتصاد المنزلي - أن تعلم المراهقين والمراهقات كثيراً من الحقائق المختصة بإدارة المنزل، وتنظيم



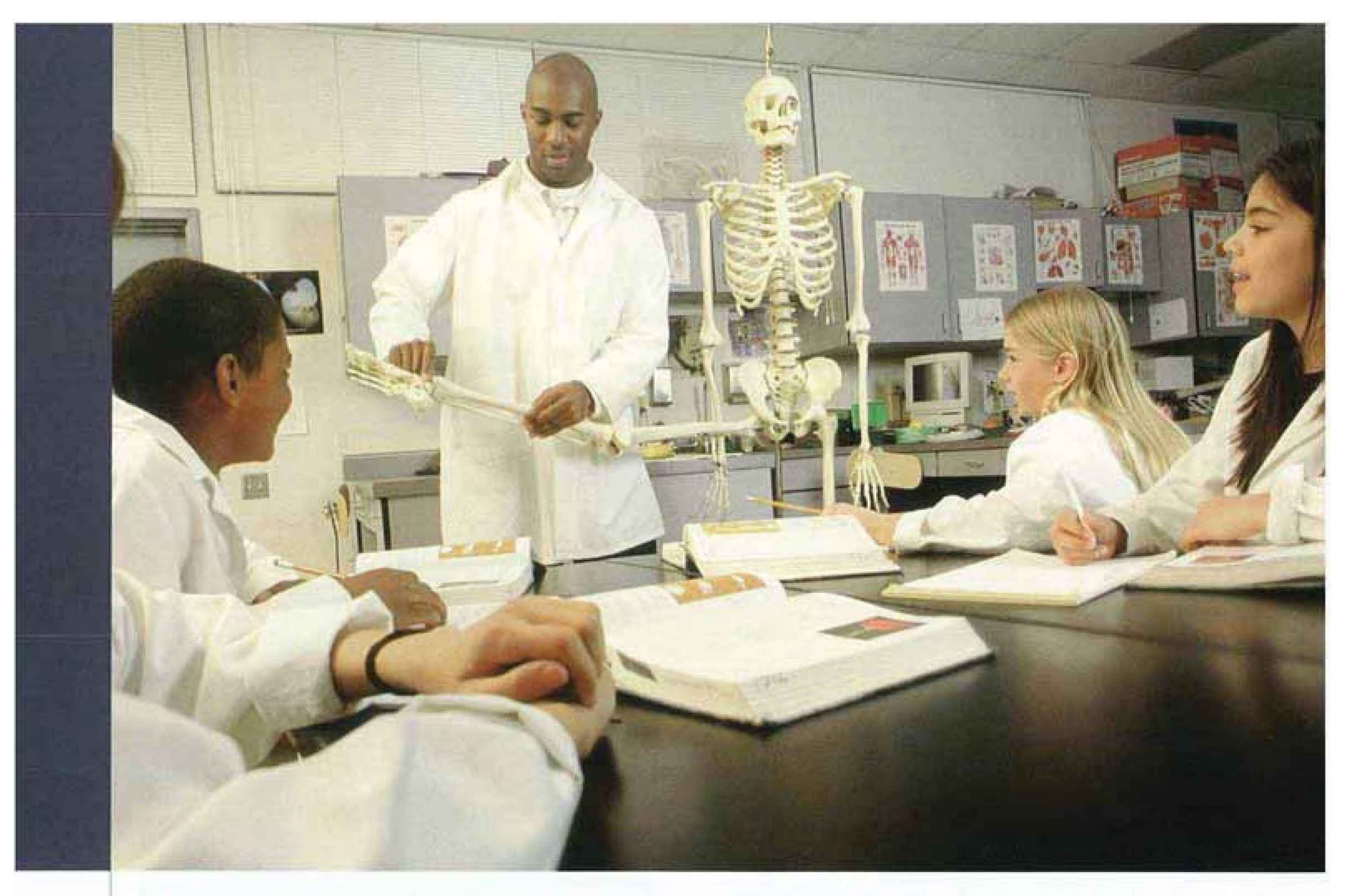
للمدرسة دورها في التربية الجنسية السليمة

ميزانيته، وفهم أساليب التغذية الصحية، ونحو ذلك.

أما المواد التربوية، فيمكن أن تعلم المراهق كيف يكون أباً، وأن تعلم المراهقة كيف تكون أماً، وأن تقدم كثيرًا من الحقائق عن الطفولة، وعن تربية الأطفال.

والتربية الجنسية في المدرسة يمكن أن تتم في صورة محاضرات أو ندوات، تطرح فيها الأسئلة المتصلة بالتربية الجنسية ويجيب عنها المختصون، ويتحاور حولها التلاميذ تحت إشراف المرشدين المتخصصين، وقد يدعى الآباء إلى حضور هذه الندوات والمحاضرات والمشاركة فيها؛ وبذلك يكونون أقدر على الإجابة عن تساؤلات الأبناء في البيت.

وقد تتم التربية الجنسية - أيضاً - عن طريق التعرض للقضايا الخاصة بها، من خلال علوم الشريعة أو التربية الدينية، إذ لا بد من أن تناقش من خلالها القضايا والأحكام والتشريعات الخاصة بالختان، والاستئذان، والحيض، والنفاس، والحمل والولادة، والزواج والطلاق.. إلخ[11].



التربية الجنسية جزء مهم من تدريس العلوم

تدريس التربية الجنسية

تعد التربية الجنسية بالمدارس ذات أهمية بالغة في دعم المعارف واتجاهات الشباب وسلوكهم. فهناك اتفاق على أن مناهج التعليم الرسمي ينبغي أن تتضمن التربية الجنسية، وقد تحقق ذلك بالفعل في بعض الدول. وتشير الدلائل إلى أن مناهج التربية الجنسية ينبغي أن تكون فيها العناصر الآتية[١٠]:

- التقليل من المخاطر السلوكية الخاصة.
- أساس نظري يفسر ويشرح المؤثرات المختلفة في سلوك الناس الذي يتعلق بالجنس الآخر.

تستطيع المدرسة - عن طريق المواد الثقافية والاجتماعية والدينية - أن تعالج مشكلة التعارض بين إشباع الدوافع والقيم

- محتوى يختص بمخاطر النشاط الجنسي وعواقبه، يحتوي على معلومات تتعلق بتحديد النسل، وتنظيم الأسرة، وطرائق تجنب المخاطر المصاحبة لذلك.
- محتوى يختص بالضغوط التي يمارسها الأقران والمجتمع على الشباب، التي توفر الفرصة لهم لممارسة الاتصال والتفاوض ومهارات تأكيد الذات.
- المداخل والاتجاهات المختلفة والمتنوعة للتعليم والتعلم التي تعمل على إشراك الشباب، وترتبط باحتياجاتهم.
- يجب أن يقوم على البرنامج أناس يؤمنون بأهميته، مع تزويدهم بالتدريب الخاص، والاستشارة المفيدة.

ولو وضعنا خطوطاً عريضة على الأفكار الأساسية في التربية الجنسية لوجدناها كالآتي[١١]:

- أهمية نظافة الأعضاء وطهارتها.

التغير الهرموني وما ينتجه من تغيرات في حجم الأعضاء وشكلها.

- تسليط الضوء على الأمراض الناتجة من العبث بالأعضاء.

أو تعاطي أي طريقة لممارسة الجنس الخاطئ.

- توعية الطفل كيف يواجه محاولة استغلاله، أو التحرش به.
- مواجهة المشكلة لو حدثت حالة تحرش فعلاً أو اغتصاب.

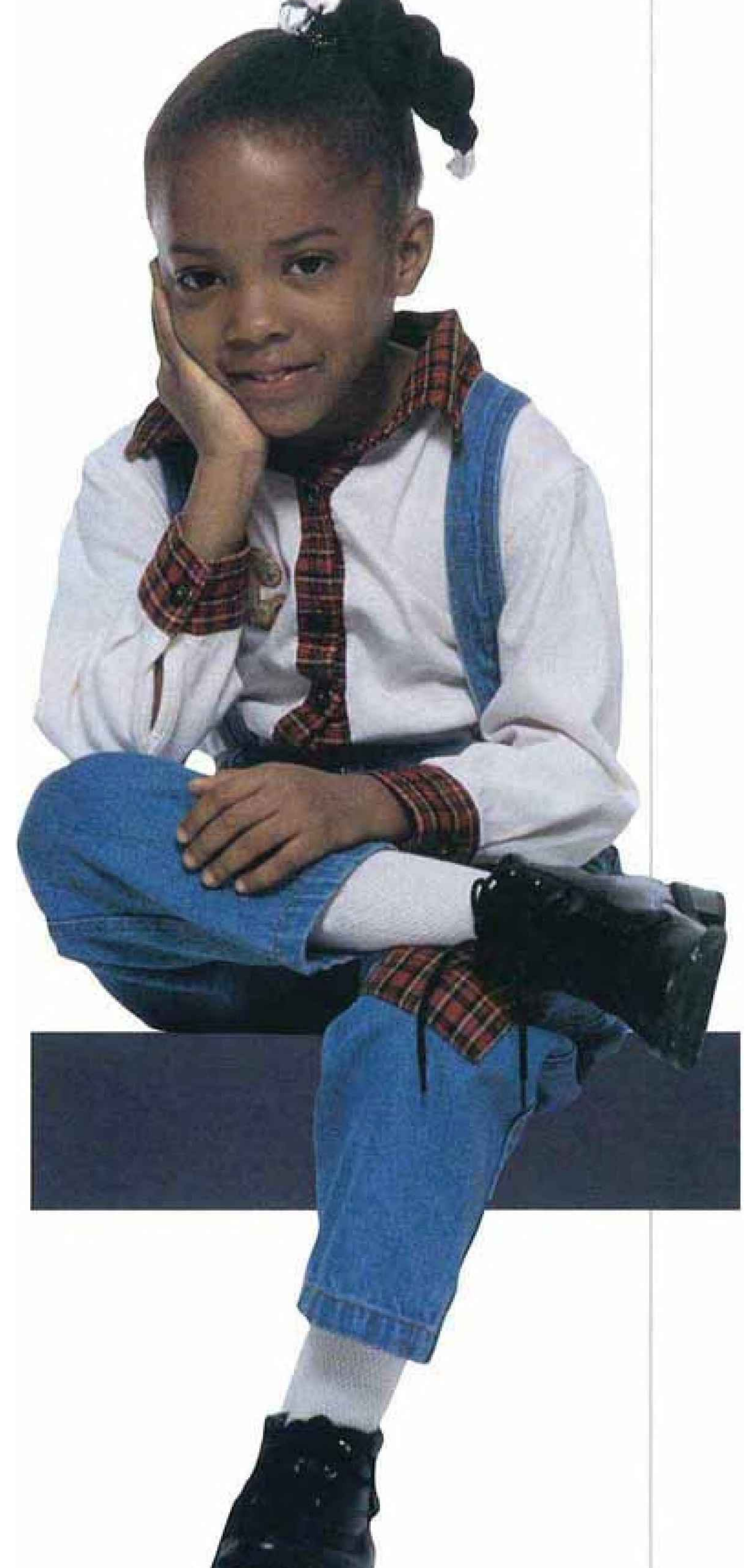
إن معظم الناس يعتقدون أنه يجب أن نعطي اهتماماً بالموضوعات المتصلة بالجنس في المدارس. ورجال التربية يقولون إن دور المدرسة غير ملحوظ في هذا المجال. ويرون من واجبات المدارس تناول النواحي المهمة لتدريس الجنس. وهذه هي الأسباب التي يراها المؤيدون لفكرة تدريس الجنس[١٤]:

- التكاثر وظيفة أساسية للحياة: ذلك أن عمليات التكاثر في النبات والحيوان موضوع أساسي في علم الأحياء. وتدريس الأحياء بغير الاهتمام بموضوع التكاثر هو إلغاء أحد المبادئ المهمة في مجال العلم.
- الخصائص الطبيعية الأساسية ووظائف الكائنات الحية تتصل اتصالاً وثيقاً بالطريقة التي يتم بها التكاثر. ويرتبط ذلك بفهم الطلاب كيفية تكاثر الكائنات؛ فيكون بمقدورهم معرفة الخصائص المهمة للأنواع.
- كثير من المشكلات الاجتماعية اليوم تتصل بالقدرة التكاثرية للكائنات الحية. فكثير من مشكلات العالم - قبل نقص الطعام، والازدحام، والحروب، والأمراض - تعتمد على قدرة كل أشكال الحياة على التكاثر والبقاء.
- زيادة معدل حالات الحمل في فترة المراهقة هو موضوع قومي.

إدخال الموضوعات المتصلة بالجنس في مناهج التعليم[١٥]

معظم المدرسين يدرّسون الجنس، سواء عن وعي أو غير وعي. فمثلاً: مدرسة التاريخ الحامل التي تشرك الفصل في شعورها عن المولود الذي تتوقعه. وكذلك مدرس اللغة الذي يقرأ بصوت مرتفع قصيدة عن الحب. كل هؤلاء يعبرون عن اتجاهات تتصل على الأقل بشكل غير مباشر بتعليم الجنس.

وتعليم الجنس لا يشتمل فقط على بيولوجيا التكاثر، ولكن يشتمل أيضاً على موضوعات واتجاهات وقيم مختلفة. وكثير من المتخصصين في تدريس الجنس يرون أن المعرفة ليست هي الشيء المهم في تعليم الجنس، ولكن المهم هو الاتجاهات والقيم التي يتعلمها الشخص من والديه ومدرسيه وأقرانه. وعند تدريس الجنس من



المهم خلق مناخ إيجابي عاطفي في الفصل، فعلى المدرس أن يشجع الطلاب على الكلام، والتعبير عما في أذهانهم، وفي هذا الإطار فإن موضوعات الجنس لا تختلف عن غيرها من الموضوعات.

وأحد أسباب القلق إزاء الجنس بين الشباب هو أن الكبار يعالجون الموضوع بشكل مختلف: فالأطفال يتمتعون بمهارة عالية في ملاحظة الفروق الفردية بين والديهم والمدرس الذي يستطيع خلق الجو المناسب في الفصل. وغالباً ما ينجح في معالجة الموضوعات المتصلة بالجنس.

ويجب على مدرسي العلوم والبيولوجيا أن يحددوا أي موضوعات الجنس يتبادلونها في مناهجهم. فبعض الموضوعات من الأهمية في دراسة البيولوجيا بحيث إن تطبيقها في منهج العلوم لا يدور حولها جدل. وهذه الموضوعات تشمل المقارنة بين التكاثر الجنسي وغير الجنسي، ووصف وظيفة الجهاز التناسلي في الحيوان والنبات وتركيبه، ومناقشة الأمراض الجنسية. وينطبق ذلك على كثير من الموضوعات الأخرى، مثل: هرمونات الجنس، والتغيرات الجسمية في حالة المراهقة، والاخصاب، وتطور الجنين، والولادة، والطمث. فمدرسا العلوم والبيولوجيا في المدارس المتوسطة يستطيعان أن يتناولا مثل هذه الموضوعات بلا حرج، وبعض الموضوعات في الكتب المقررة. وهذه الموضوعات مثل: طرائق منع الحمل، والإجهاض، والجنس، والزواج، والإخصاب الصناعي، والسلوك الجنسي لدى الإنسان. وكثير من رجال التربية يعتقدون أن هذه الموضوعات يجب أن تعالج في المناهج.

إن التربية الجنسية جزء لا يتجزأ من التربية العامة، فالتربية العامة هي عملية إعداد الفرد للحياة. إذ إنه لن تتحقق النتائج التربوية المرجوة إذا لم يكن هناك فهم ومعرفة واسعة للمبادئ العامة: التربوية، والنفسية، والأخلاقية، والثقافية.

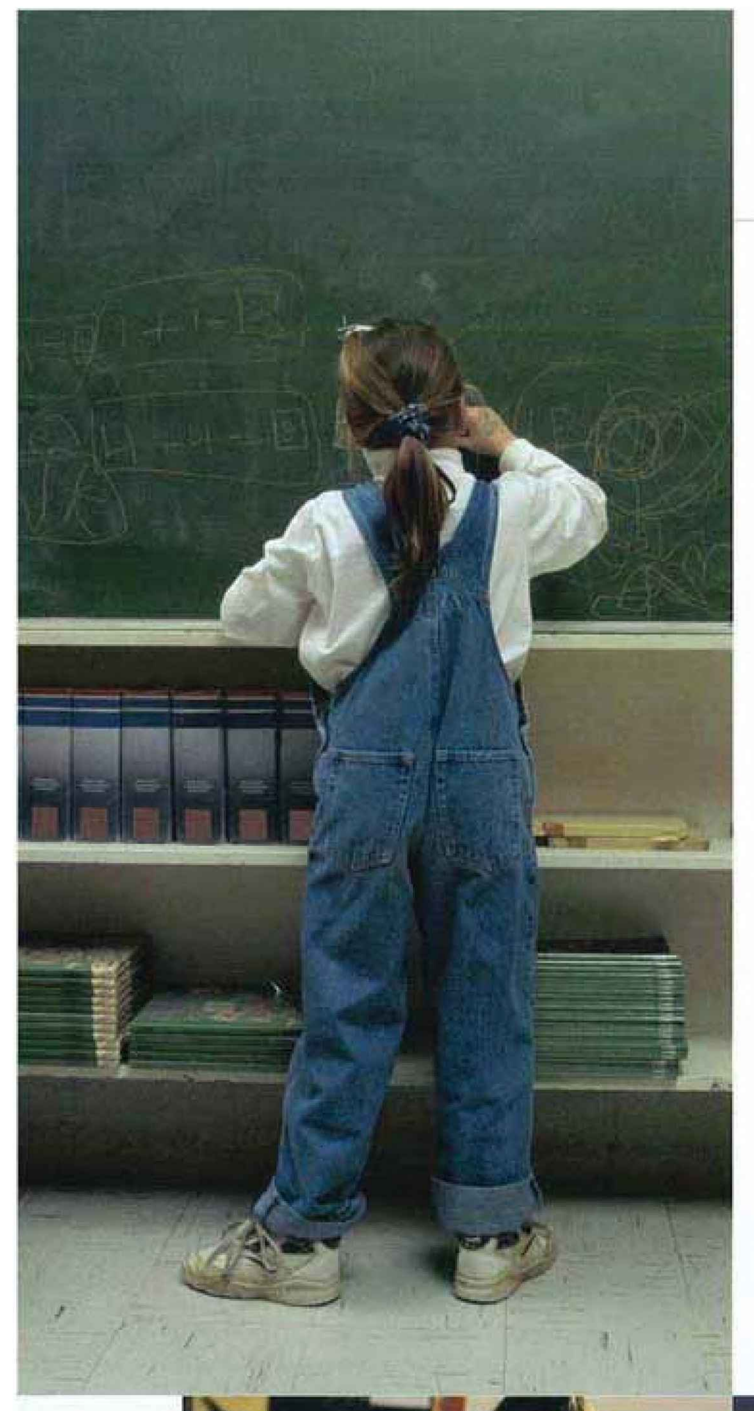
والتربية الجنسية - بوصفها أحد جوانب التربية العامة - تعد مسؤولية المنزل، كما أنها مسؤولية المدرسة أيضاً. ولكن بالنسبة إلى مجتمعنا الشرقي والعربي نجد أن المنزل لم يُؤهل بعد للقيام بهذه المهمة، مما يلقي العبء الأكبر منها على المدرسة. ولكن ليس معنى ذلك أن المعلمين وحدهم هم الذين يحتكرون هذه المهمة، بل إن الأطباء، ورجال الدين، والمتخصصين النفسيين، والمتخصصين الاجتماعيين - يساهمون أيضاً في أداء هذه الوظيفة، مع مشاركة ولي الأمر المستنير. المهم أن يكون الشخص المشارك على قدر كاف من الثقافة في العلوم المرتبطة بالتربية الجنسية، مثل: العلوم البيولوجية، والعلوم الدينية، والعلوم الاجتماعية.. وأن يكون متمتعاً أيضاً بدرجة كافية من الاتزان الانفعالي، والصفات الخلقية الطيبة[١٢].

وينبغي أن يكون محتوى منهج التربية الجنسية في إطار التربية الإسلامية يتناول كل ما يتعلق بحياة الذكر والأنثى من بني آدم، بدءاً من الولادة، فالحمل، فالإرضاع، فالفطام، فستر عورة الصبي والفتاة، والتفريق بينهم في المضاجع، وتحجب النساء عن الطفل الذين اطلعوا على عورات النساء، واستئذان الذين لم يبلغوا الحلم من الأولاد إذا دخلوا على من هو أكبر منهم في الأوقات الثلاثة «من قبل صلاة الفجر، وحين يضعون ثيابهم من الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء»، وكل الأحكام والسنن التي شرعها الخالق - عز وجل - والأسئلة التي وجهها الصحابة والصحابيات (المتعلقة بالزواج، وحفظ الفرج) إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مثل: الاحتلام، والغسل، والحيض، والترغيب في الزواج الشرعي، وكل ما يدفع إليه، والباءة، وآداب الفراش، والأخوة من الرضاعة، والمحارم، وغض البصر، والتحذير من إشاعة ما يحصل بين الزوجين، والتحذير من فاحشة الزنا، واللواط، والشذوذ الجنسي.. وغيرها[١٣].

وأخيراً وليس آخراً.. يمكن القول: إنه من الضروري تدريس



التربية الجنسية إعداد للفرد ليتكيف مع الحياة



مادة التربية الجنسية في مناهج التعليم، ولكن ليس قبل توافر المناهج المناسبة لثقافة البلد، وعاداته، وتقاليده، وتأهيل المعلمين والمعلمات على أيدي اختصاصيين في هذا المجال الشائك، وعندها لا بد من وضع تعليمات واضحة للمعلمين حول كيفية التعامل مع هذه المادة، بحيث يمكن تحقيق الهدف الأكبر من تدريسها، وهو القضاء على أكبر قدر من العقد النفسية الناجمة عن النقص المعرفي، وانعدام الشعور بالمسؤولية عن عواقب إطاعة الهوى، وإخراج الحديث عن الجنس من الظلام إلى النور؛ فيتحول التعامل بين الجنسين من المناورة المستمرة حول الجنس إلى التعاون المشترك بين إنسان وإنسان من أجل إنشاء مجتمع سليم نفسياً وسلوكياً، ومن أجل رفعة وطن يحتاج إلى التعاون بين الجنسين[١٨].

فما أحوج أهل الفكر والتربية والإصلاح إلى أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التربية، وأن يسيروا على هدى القرآن في الانضباط الغريزي؛ عسى أن نجد أبناء الإسلام اكتملت شخصيتهم، وصلحت سريرتهم، وتقوّمت أخلاقهم، وتحررت من الآفات النفسية، والمفاسد الاجتماعية نفوسهم وقلوبهم؛ وعندئذ يستطيعون أن ينهضوا برسالته، ويقوموا بمسؤوليته، ويرفعوا في سماء الوجود الإنساني راية التوحيد، وشعار الإسلام.

خاتمة

في الوقت الذي يتحتم علينا مواكبة عصرنا وملاحقة

لكل مرحلة ما يناسبها من التربية الجنسية





الركب المتقدم - يتعين علينا أن نحافظ على ذاتيتنا وشخصيتنا المميزة لنا من غيرنا؛ لأنها المحصنة لنا من الذوبان في غيرنا، ومن الشعور بالاستقلال لهويتنا التي منها نحيا ونعتز ونتنافس ونجاهد. ومن ثم نوصي بما يأتي:

- تربية الأبناء على أسس الدين الإسلامي عقيدة وعبادة، أخلاقاً وآداباً.
- توعية الأبناء بأهمية الوقت في حياة الأفراد والأمم، وتعليمهم كيف يحسنون الاستفادة منه؛ لأن وقتهم يعني حياتهم.
- تربية الأبناء على أساس أن القدوة الحسنة تفعل في النفس ما لا تفعله الكلمات وحدها.
- وجود علاقة تمتاز بالدفء العاطفي والرعاية والحنان والمودة والرحمة، بين الطفل ووالديه.
- تسخير الإعلام (الصحافة والتلفاز) للتركيز في برامج التربية الجنسية.
- تنشئة أطفالنا تنشئة شاملة متكاملة لا تقف عند حدود المعرفة فحسب، ولا تقف أيضاً عند حدود التربية فحسب، وإنما تحققهما معاً لتنشئة جيل عربي مسلم يعيش - قلباً وقالباً - إنسانية الإنسان.
- تمكين الطفل من تشرّب مفاهيم أخلاقية واجتماعية سامية وتمثّلها، فيتكيف مع مضامينها وأهدافها تدريجياً إلى أن تستحيل سلوكاً ينشأ عليه نشأة عقلية روحية متوازنة؛ فيغدو قادراً على التمييز بين الخير والشر، وبين الحق والباطل؛ فيتبع الخير والحق، ويتجنب كل ما هو شر وباطل؛ وبذلك يسلك طريق الفضيلة مستنيراً بالقدوة الصالحة، قدوة المربي الصالح النافع لنشئه ولبلده ولأمته.
- أن يكون منهج التربية الجنسية بعيداً من إثارة الغرائز، وأن يهتم المنهج ببناء فكر الإنسان «الطفل - المراهق - البالغ» بشكل علمي مدروس؛ وذلك لكي نحافظ على سلامة عقول أولادنا ونفوسهم.
- أن نعطي لكل مرحلة من مراحل السن ما يناسبها من التربية الجنسية: فبعد الميلاد نهيئه للتربية الجنسية بالأذان والإقامة في أذنه، وحسن تسميته. وفي مرحلة الطفولة نهيئ له جو الحوار والمناقشة، ونشجعه على طرح الأسئلة ونهتم بالإجابة عنها. وفي سن المراهقة نعلمه آداب الاستئذان، وفهم السلوك الراقي. وفي مرحلة الشباب نعلمه آداب الاستعفاف، وآداب التعامل مع الآخرين.

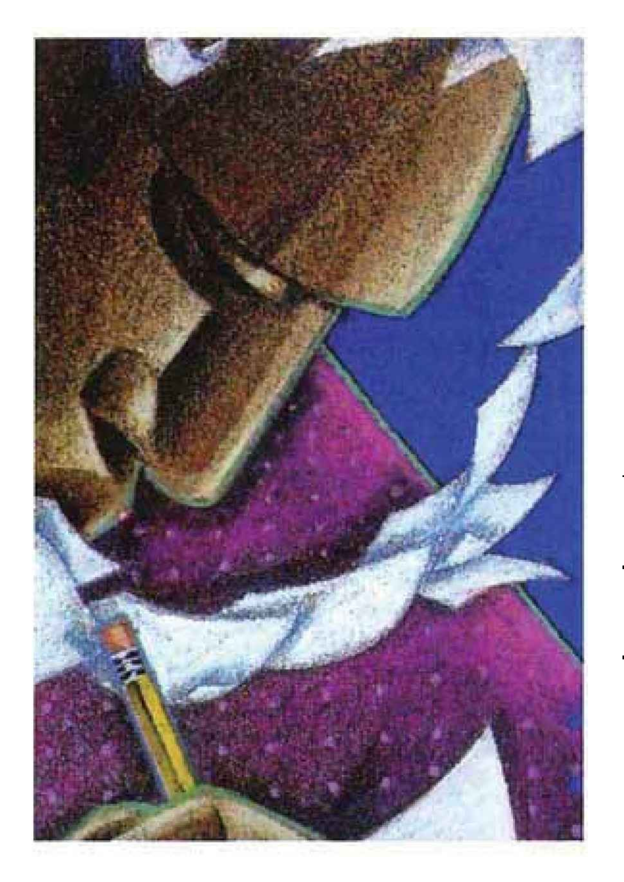
المراجع

١- عريان، نظمي صبحي، ١٩٩٢م: التربية الجنسية عند الأطفال والمراهقين، سلسلة الأسرة والتربية الجنسية، ج٢، مكتبة المحبة، القاهرة، ص ٢-٣.
٢- العجلة، علي محمد، ١٤٢٣هـ: تحفظات أخلاقية على قمة الطفولة، مجلة المنار الإسلام، السنة ٢٨، العدد ٤، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارات العربية المتحدة، ص ٩.
٣- ذكري، طلعت، ١٩٨٩م: مشكلات الأبناء النفسية والتربوية: أسبابها وطرق علاجها، مكتبة المحبة، القاهرة، ص ١٤١.
٤- المخزنجي، السيد أحمد، ١٩٩٩م، التأصيل التربوي للأبناء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٢٣.
٥- مدكور، علي، ١٩٩٥م، التربية الجنسية للأبناء، سلسلة سفير التربوية ١٣، شركة سفير، القاهرة، ص ١٢٣.
٦- أمين، أسامة، ١٤٢٦هـ، التثقيف الصحي للمراهقين، مجلة المعرفة، العدد ١١٨، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ص ٢٨.
٧- مجلة المعرفة، ٢٠٠٥م، العدد ١١٨، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ص ٥٩.
٨- عكاشة، محمود فتحي وإسماعيل، علي فهمي، ١٩٩٣م، مدخل للصحة النفسية المكتب العربي للطباعة، الإسكندرية، ص ٢٧٣.
٩- مدكور، علي، ١٩٩٥م، مرجع سابق، ص ٥٨ -٥٩.
١٠- ذكري، طلعت، ١٩٨٩م، مرجع سابق، ص ١٥٠ - ١٥١.
١١- مدكور، علي، ١٩٩٥م، مرجع سابق، ص ٥٨.
١٢- جاهين، جمال، ٢٠٠٥م، ما التربية الجنسية ومن المسؤول عنها؟، مجلة المعرفة، مرجع سابق، ص ١٩.
١٣- الثميري، سلطانة، ٢٠٠٥م، ما الذي يهمنا في تعليم أولادنا الثقافة الجنسية؟، مجلة المعرفة، العدد ١١٨، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ص ١٨.
١٤- د. سمبسون، رونالد ود. أندرسون، ونورمان، ١٩٨٩م، العلم والطلاب والمدارس - ترجمة: عبدالنعم محمد حسين، سلسلة الألف كتاب «الثاني»، ٦٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٣١٧ - ٣١٨.
١٥- المرجع السابق، ص ٣١٨.
١٦- يوسف، سليمان عبدالواحد، ٢٠٠٥م، التربية الجنسية للفتية والفتيات وإعدادهم للحياة، مجلة النفس المطمئنة، السنة ٢٠، العدد ٨١، الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، القاهرة، ص ١٥ -١٦.
١٧- مجلة المعرفة، ٢٠٠٥م، مرجع سابق، ص ٥٩.
١٨- شابدت، أندريا تيستر، ٢٠٠٥م: التربية الجنسية في المناهج الغربية، مجلة المعرفة، العدد ١١٨، وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية، ص ٥٤.



كانت لنا ذكريات

موسى بن عبدالله بن موسى البوكري
مكة المكرمة - السعودية



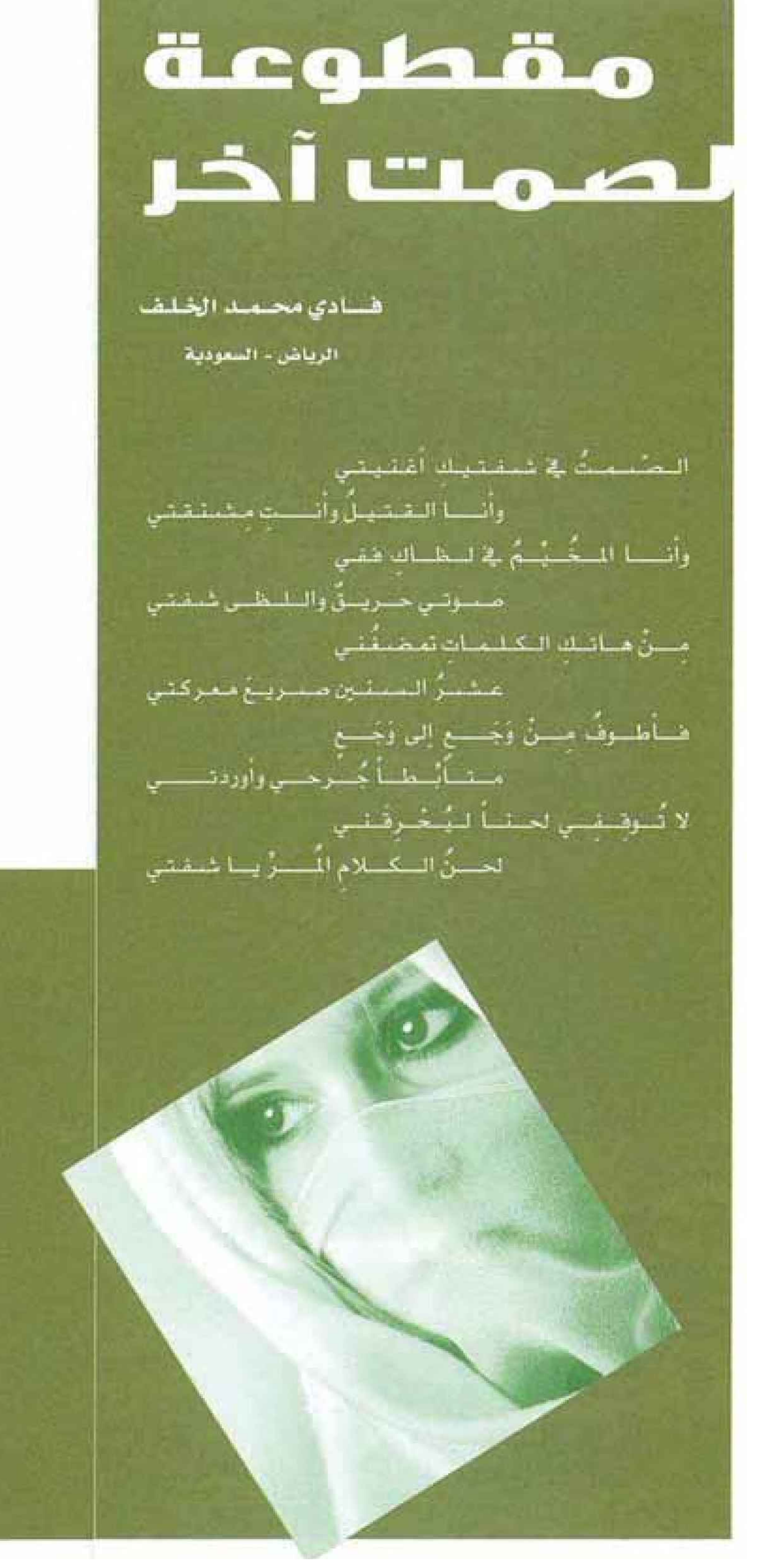
هـا هُـنـا كـانـت لـنـا ذكـريـاتُ
يـومَ كـانَ الحُـزْنُ تـغـريـه الـمـنـاتُ
يـومَ كـان الـوصـلُ أيـنـعَ يـربـو
والـهـوى لا تـضْـطَـلـبـه الـهـنـاتُ
يـومَ كـنـتُ الـبـحـرَ يـعـذبُ عـنـدي
وصـفـاتـي كُـلُّـهـا حـسـنـاتٌ
يـومَ قـلـتُ: الآن طـابـتْ حـيـاتي
مـا مـضـى مـا كـان عـنـدي حـيـاةٌ
أحـيـاةٌ أن أعـيـشَ وحـيـداً
وسـواءٌ يـقـظـتـي والـسُّـبـاتُ؟!

مقطوعة لصمت آخر

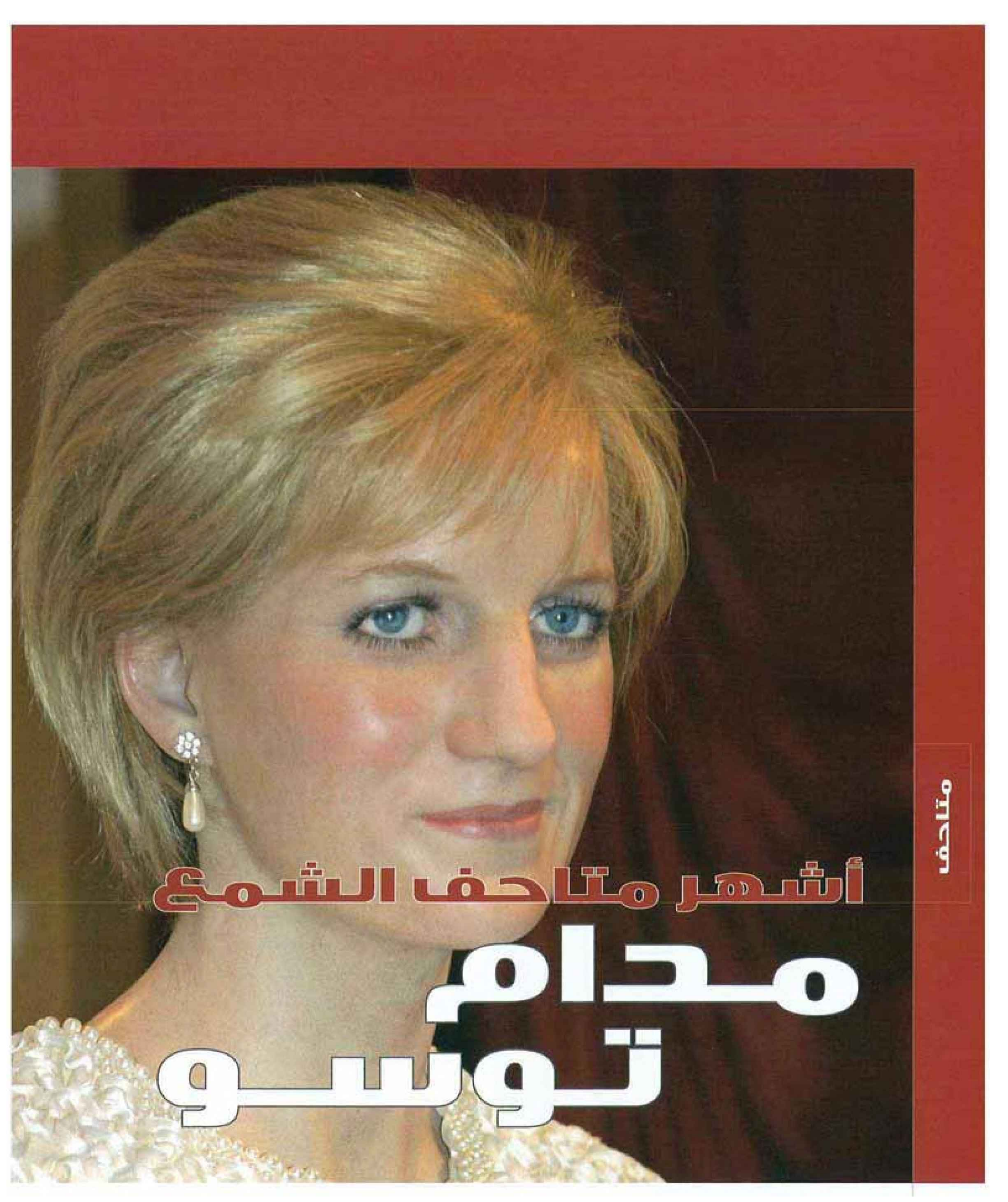
فادي محمد الخلف

الرياض - السعودية

الصمتُ في شفتيك أغنيتي
وأنا القتيلُ وأنتِ مشنقتي
وأنا المخيِّمُ في لظاكِ ففي
صوتي حريقٌ واللظى شفتي
مِنْ هاتكِ الكلماتِ تمضغُني
عشرُ السنين صريعَ معركتي
فأطوفُ مِنْ وَجَعٍ إلى وَجَعٍ
متأبِّطاً جُرحي وأوردتي
لا تُوقفي لحناً ليُغرِقَني
لحنُ الكلامِ المُرِّ يا شفتي



وسواءٌ ضحكي وبُكائي
أتعيثُ الأعظمُ النخراتُ؟!
أكيانٌ: جسدٌ دونَ روحٍ
أيجيبُ الشوقَ يوماً رفاتُ؟!
ها هو اليومُ يسيرُ ببطءٍ
وكئيباً والمنى نادماتُ
نادماتٌ: أنها عرفتني
أنها في واقعي كائناتُ
هي لا تعرفُ كرهي ولكنْ
من أجيجِ الحزنِ مكتئباتُ
من قدومِ الموتِ نحو سروري
فقفي في الدربِ يا لحظاتُ
وامنحيني نظرةً لحبيبي
ولقاءً يستقيه الشتاتُ
أعرفُ الموتَ في وقفاتي
لكنِ الحبُّ لهُ وقفاتُ
أعلمُ: الوقتَ يسيرُ حثيثاً
إن يقفْ فهْوَ الردى والمماتُ
ها أنا أمضي إلى البحرِ أشكُو
رُبما زُرقتُه لي أمسياتُ
ها أنا ألقمُه كلَّ حُزني
فتعي فتكتَهُ النسماتُ
وأناجي الموجَ يلطمُ ثوبي
ويقولُ الموجُ: في الأساةُ
فتقدَّمْ! لا تخفْ ! وتقدَّمْ!
حانَ منكَ الآنَ نحوي التفاتُ
إنْ يضعْ حُبُّكَ فالحبُّ عندي
وغواني البحرِ والعاشقاتُ
كلُّ شيءٍ تبتغيه قريبٌ
فتقدَّمْ واقتربْ: لك ذاتُ
قلتُ: يا بحرُ خطابكَ يُغري
فإليكَ الذاتَ مني هباتُ!



أشهر متاحف الشمع

مدام توسو

وفيق صفوت مختار

سوهاج - مصر

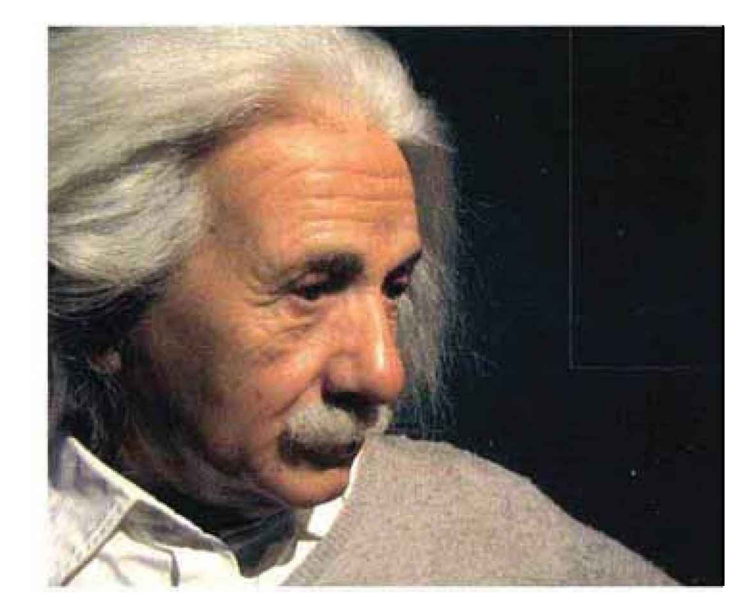
تأخذنا السيدة «ماري كروشولتز» من أول خطوة في هذا المتحف المهيب إلى حوار مفاجئ للحديث عمّا نعرفه عن طُغاة التاريخ، والمبدعين الأفذاذ، وصانعي الأحداث الكبرى في حياة الشعوب، وكيف يتهيأ لنا أن نراهم؟ وما الأسئلة التي قد يتسنى لنا أن نطرحها حين نمر بهم في متحفهم الذي أُعدّ بعناية فائقة، ومرت عليه أجيال متلاحقة طوال مئتي سنة من عُمْر الزمان؟ ثم سرعان ما تدعونا هذه السيدة الفرنسية الأنيقة إلى أن نلقي جانباً كل ما نعرفه عن أولئك المشاهير؛ إذ سيظهرون لنا على هيئات أخرى ليست مألوفة.. يتحدثون بهمس، بلغة موحية تشي بدواخلهم ومكنون أسرارهم، بينما الشمع يتدثر بالألوان والأسمال والإنارة الموحية؛ ليكشف عن براعة الأنامل المحترقة في تخليد معاني التاريخ، إعجاباً أو ازدراءً، حبّاً أو مقتاً، بوصفها أفعالاً إنسانية حتى في بشاعة بعضها.

«ماري كروشولتز» هي نفسها «مدام توسو» مبدعة المبادرة الأولى للمتحف العالمي الدائم للمنحوتات الشمعية الذي سُمّي باسمها، ويحتل مكانه التاريخي المرموق في منطقة «بيكر ستريت» في قلب العاصمة البريطانية لندن.

قصة حياة مدام توسو:

ولدت «ماري كروشولتز» في باريس العاصمة الفرنسية مع أوائل عام ١٧٦٠م لأب جندي قتل بعد عام واحد من ولادتها في حرب السنوات السبع الأوربية، فانتقلت مع أمّها إلى

أينشتاين



إذا كانت تنتابك رغبة جارفة في التقاط صورة تذكارية مع أحد المشاهير، فلك أن تحققها في هذا المتحف، إذ من الصعب التمييز فوتوغرافياً بين الحقيقة والتمثال

«ستراسبورج» لتعمل مديرة لمنزل الدكتور «فيليب كرتيوس»، الذي كان بارعاً وموهوباً في صنع تماثيل الشمع للإفادة منها في التدريس والتشريح في كليات الطب، لكنه اتجه بعد ذلك، حين ولع بفن النحت الشمعي، إلى تجسيد الشخصيات الاجتماعية والمشاهير، حتى ترك مهنة الطب ليتفرغ لموهبته التي أملت عليه الانتقال إلى باريس عام ١٧٦٧م؛ ليقيم أول معرض للمنحوتات الشمعية أثار اهتماماً واسعاً؛ لروعة بناء الملامح الإنسانية وعمقه.

وقد قال عنه أحد مؤرخي الفن: «إن فيليب كرتيوس نفخ روحاً بالشمع، وعلينا تمثُّل مبادرته بالمعايير الفنية الكلاسيكية».

في حين سخر آخرون من معرضه، ومنهم فنانو نحت على الحجر، وأحالوا فنه - أو صنعته (إذا جاز التعبير) - إلى جنس الفنون الشعبية «غير المؤدبة»!!

وكان لا بد للصبيّة «ماري» من أن تكون إلى جانب الدكتور «فيليب كرتيوس» ووالدتها في باريس، وأن تتعلّم في مشغله مهارة النحت على الشمع الخام، وتطويع الشمع لأفكارها المرهفة والغريبة أيضاً، وتشاء المصادفة أن تكون لدى الصبية موهبة متدفقة في إعادة خلق الأشياء، وتمثُّل الأشكال، وإنطاق الملامح، بل تلفت نظر معلّمها ومربّيها الدكتور «كرتيوس» الذي كلفها نحت شخصيات معروفة، مثل: «فولتير»، و«بنجامين فرانكلين»؛ لتعرض مع المنحوتات التي يقدمها هو شخصياً إلى الجمهور الفرنسي الأرستقراطي، فكانت أعمالها مثار اهتمام مبكر: لدقتها في التصنيع ولمهارتها في إضفاء معانٍ خفية على ملامح تلك الشخصيات، كالقسوة، والصرامة، والتسامح، والتطلع، والغضب، والحزن، والفرح..إلخ، وقد كان هذا طابع أعمالها حتى نهاية العُمر.

كان المشاهدون يرتادون معرض الدكتور «كرتيوس»

للمنحوتات الشمعية ليشاهدوا تلك الشخصيات كما لو أنهم يلتقونها للتحدث إليها، أو يتمثلونها تتحرّك وتتحاور. وبهذا تحوّل هذا المعرض إلى ما يشبه العرض السينمائي.

مدام توسو في قصر الملك لويس السادس عشر:

ذات يوم التقت مدام «إليزابيث» - أخت الملك لويس السادس عشر - مصادفة «ماري كروشولتز»، وطلبت منها الانتقال للعيش معهم في قصر فخم، ومن ثَم صنع تماثيل للعائلة المالكة. وبقيت «ماري» أكثر من تسع سنوات في قصر «لويس السادس عشر»، نحتت خلالها تماثيل لكل أفراد العائلة، وكان عليها في عام ١٧٨٩م أن تترك القصر حسب طلب الدكتور «كرتيوس»، لتنحت مرّة ثانية تماثيل للملك « لويس السادس عشر » وزوجته «ماري إنطوانيت»، ولكن هذه المرّة بعد أن لقيا حتفهما في إثر قيام الثورة الفرنسية. ثوار الثورة لم ينصفوا هذه الفنانة، إذ زجوا بها في السجن عام ١٧٩٤م، ووضعت في الزنزانة نفسها التي سجنت فيها «جاكلين دي بيهورنية»، والتي ستصبح فيما بعد زوجة «نابليون بونابرت». وعاشت «ماري» أصعب ظروف حياتها في السجن، حيث حلقوا شعرها تمهيداً لوضع رأسها على المقصلة، ولسبب لم يُعرف حتى اليوم أُعلن العفو عنها، وإطلاق سراحها. كان على «ماري» أن تذهب - كلما عرفت بنبأ إعدام شخصية معروفة - إلى عتبة المقصلة لتأخذ الرأس، وتصنع له قناعاً سريعاً قبل أن تحوله إلى منحوتة شمعية. في تلك الفترة نحتت تمثال الثائر الفرنسي المشهور «روبسبير».

الرحيل إلى بريطانيا:

بعد وفاة الدكتور «فيلب كرتيوس» - الأب الروحي «لماري كروشولتز»، وأستاذها العظيم في النحت على الشمع الخام - تولت بنفسها إدارة معرض المنحوتات الشخصية، وتعرّفت عام ١٧٩٤م إلى المهندس «فرانكو توسو»، لتعرف بعد ذلك بمدام «توسو». وفي نهاية عام ١٨٠٠م كانت قد رزقت منه ثلاثة أولاد: جوزيف، وفرانسز، وابنة ماتت صغيرة.

وبسبب الكساد الذي أصاب فرنسا في إثر الثورة الفرنسية قرّرت مدام «توسو» عام ١٨٠٢م الرحيل إلى بريطانيا وحدها مع تماثيلها، فقد قدمت عروضاً متجولة بين ٢٢ جزيرة بريطانية، وكان الناس يتجمهرون في انتظارها لمشاهدة ما تبقى من المنحوتات التي غرق معظمها عندما كانت تعبر بواسطة السفن إلى أيرلندا عام ١٨٢٢م.

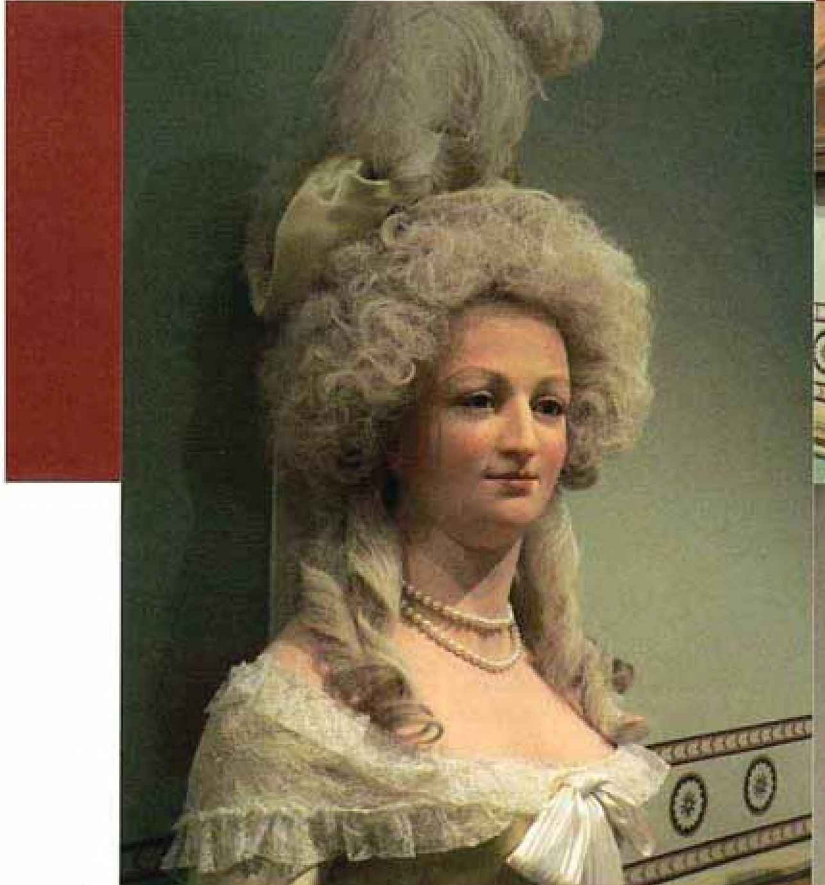
شعرت مدام « توسو» بالإعياء نتيجة تلك الجولات بين المدن والجزر البريطانية، التي حققت لها شهرة واسعة آنذاك، فقررت عندما تجاوزت السبعين من عمرها أن تقيم معرضاً ثابتاً لمنحوتاتها الشخصية في سوق «بيكرستريت» وهو ليس بعيداً من الموقع الحالي للمتحف، وذلك عام ١٨٣٥م، ولحق بها ابناها لمساعدتها والعمل معها.

متحف مدام توسو يواجه الكوارث:

قبل رحيل مدام توسو بتسع سنوات نحتت لنفسها تمثالاً يصورها وهي تصنع أحد التماثيل، وكان هذا آخر عمل أنجزته في حياتها حيث ماتت عام ١٨٥٠م عن عُمُر يناهز ٨٩ عاماً. وراح ولداها وأحفادها يواصلون العمل في المعرض الذي حمل اسم مدام توسو وأولادها. وفي عام ١٨٨٤م قرر أحد أحفادها نقل المعرض إلى الموقع الحالي للمتحف، وفي غضون السنوات اللاحقة لم ينجُ المعرض من الأحداث الطارئة التي كادت تقضي على معظم المنحوتات الشخصية، إذ تعرض للحريق نتيجة شرارة كهربائية عام ١٩٢٥م، كما تحطم أكثر من ٣٥٢ تمثالاً عام ١٩٤٠م؛ نتيجة القصف في الحرب العالمية الثانية، والمفارقة أن ينجو تمثال الزعيم النازي «أدولف هتلر»، الذي أمر بقصف مدينة لندن، من الدمار.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ضمت أراض أخرى إلى المعرض، وتم توسيعه وتسميته بـ «متحف مدام توسو»، ليتحوّل معرض هذه السيدة الفرنسية إلى أحد أبرز المعالم في العاصمة البريطانية.

«ماري كروشولتز» هي نفسها «مدام توسو» مبدعة المبادرة الأولى للمتحف العالمي الدائم للمنحوتات الشمعية الذي سُمّي باسمها





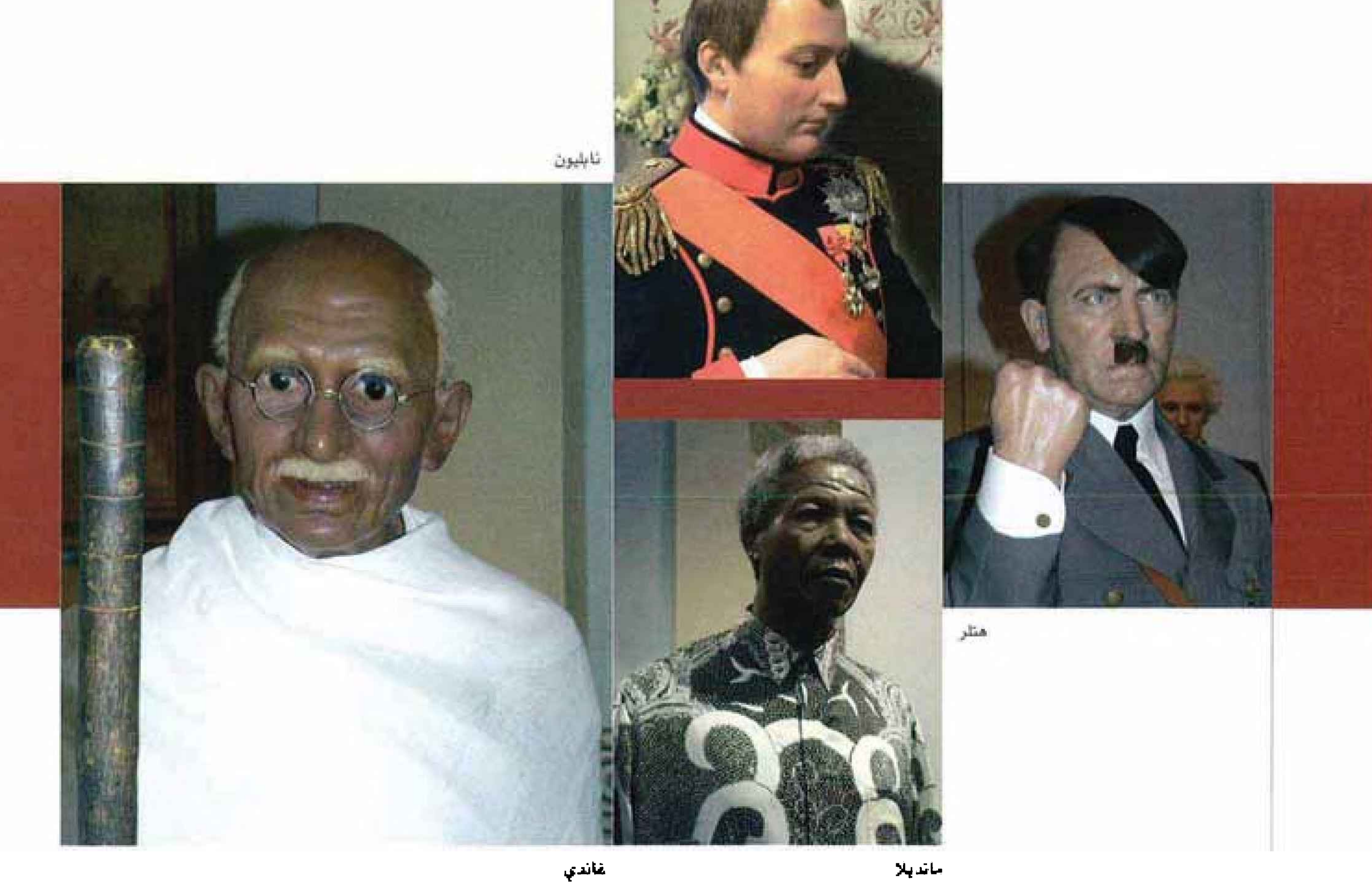
عالم مثير من الشمع لشخصيات قد تتمنى أن تراها:

ربما ستقع في الوهم ذاته الذي يتكرر مع معظم زائري متحف مدام «توسو»: فتتخيَّل أن بعض شخوص المتحف حقيقيون، وقد تصطدم بأحد التماثيل فتقول له: «آسف»، ولكنك ستفاجأ بأن المقابل هو مُجرَّد منحوتة صيغت بمهارة من الشمع الخام.

وإذا كانت تنتابك رغبة جارفة في التقاط صورة تذكارية مع أحد المشاهير - وبخاصة نجوم السينما الأمريكية أو البريطانية - فلك أن تحققها في هذا المتحف، إذ من الصعب التمييز فوتوغرافياً بين الحقيقة والتمثال؛ لهذا يعمد أغلبية الزوار إلى الوقوف إلى جانب النجم السينمائي «شين كونرى» أو «شارلي شابلن»، أو عارضة الأزياء «نعومي كامبل» لالتقاط صورة تذكارية، وهناك من يريد الوقوف إلى جانب شخصيات سياسية أمثال: «المهاتما غاندي» أو «نيلسون مانديلا».

أما «صدام حسين» فقد كفَّ عن إثارة الانتباه، واقتصر زواره والراغبون في التصوير معه على عدد قليل من بعض الأفراد.

«حفلة في الحديقة»، هذا هو عنوان القاعة الأولى، وعلى الرغم من اتساع مساحة هذه القاعة، فإنه من الصعب التحرُّك خلال هذا الحشد الكبير من الزائرين، هنا نجد مشاهير نجوم السينما، والتلفاز، والرياضة، كأنهم دُعوا فعلاً إلى حفلة كوكتيل، فتلتقي هؤلاء:



نابليون

هتلر

مانديلا

غاندي

«ديفيد كوبرفيلد»، و«شين كونري»، و«نعومي كامبل»، و«ميل جيبسون»، و«إليزابيث تايلور». وقد تم نحت تماثيل هؤلاء - ومشاهير غيرهم - مباشرة؛ أي: أنهم وقفوا ساعات أمام النحّات؛ إذ يستغرق صنع أي تمثال شخصي أكثر من ستة أشهر، وغالباً ما يرتدي الممثل زيّاً اشتُهر به في دور مُعيّن في فلم ما، وهذا ما سنتأكد منه عندما نشاهد تمثال النجمة الأمريكية «مارلين مونرو» بفستانها الأبيض الضيق عند الصدر، والواسع عند الساقين، بابتسامتها الساحرة ذاتها.

تاريخ من الأحداث:

من صالة لرقصات الفالس والأعراس إلى زنازين الإعدام، يتكوّر الشمع.. ينبسط، يتمدد، يستحيل حيوانات برية، ثم يتوحش في تماثيل لطغاة، أو أشكال لمخلوقات كريهة.. وفي دهاليز معتمة يتبدى الشمع كأنه يوشوش، أو ينتحب، أو يبكي.. وفي أكثر من صالة يستوقفك محذراً.. فثمة حروب قادمة !!

وفي إحدى صالات الشخصيات التاريخية والسياسية حوارات أدارتها مدام توسو بين الملكة إليزابيث، والملك هنري الثامن، ونابليون بونابرت، هذه قاعة صُناع التاريخ وأحداثه، بسلبياتها وإيجابياتها؛ لهذا فلا غرابة أن نرى في القاعة ذاتها تمثالي «غاندي» و«نيلسون مانديلا»، ومن الجانب الآخر يتبادل الملك حسين، والرئيس السادات، وشاه إيران، وصدام حسين، وياسر عرفات، ومعمر القذافي نظرات مملوءة بالألغاز والمعاني، ولا ندري إذا كان ثمة سبب جعل إدارة المتحف تدع مسافة محسوبة بين تمثال «صدام حسين» وتماثيل القادة العرب!! ولكن ثمة ما يُفسّر سبب وضع «صدام حسين» وهو يتبختر ممسكاً مسدسه على لوحة دعاية للمتحف.

وإذ دخلت شخصيات دولية دوامة الحروب، وتوعد بعضها بعضاً بالقصاص والموت، فإن قبة متحف مدام توسو جمعتهم كلُّهم، ووضعتهم وجهاً لوجه أمام المارة الذين كانوا قد وقفوا منذ الصباح الباكر في صف طويل بانتظار فرصة الدخول: اليابانيون والصينيون إلى «هيروهيتو» و«ماوتسي تونج»، والأمريكيون اللاتينيون إلى «تشي

قبل رحيل مدام توسو بتسع سنوات نحتت لنفسها تمثالاً يصورها وهي تصنع أحد التماثيل، وكان هذا آخر عمل أنجزته في حياتها

جيفارا» و«كارلوس منعم». والأمريكيون إلى «جون كيندي» حتى «بيل كلينتون». والروس إلى «لينين» حتى «يلتسن». والإنجليز إلى «تشرشل» حتى «مارجريت تاتشر». ومن بعيد توزع الأميرة «ديانا سبنسر» فاكهة ابتسامتها التي تحظى بأكبر عدد من زوّار المتحف. ولوحظ أن العرب يهجرون زعماءهم ليأخذوا صوراً مع أميرة ويلز الراحلة !!

مبنى متحف مدام توسو من الخارج

صالة الرعب:

في صالة أولئك الذين صنعوا الأحداث لا يجد الزائر إلاّ مسرات قليلة. فثمة كثير من تلك الأحداث. ومنها الحروب الكونية وانتصاراتها التي لم تعد تثير الفخر. وربما لهذا السبب سرعان ما يتحوّل الزائر إلى صالة مجاورة، حيث يقف «وليم شكسبير» و«فولتير» و«جان جاك روسو» في هالة من الضوء، تبوح بالسر الذي يجعل الشعر أكثر اعتداداً بالنفس. فبينما يتولى الشمع تحويل المشهد إلى حياة ناطقة، نجد مخرج أفلام الرّعب «ألفريد هتشكوك» يستقوي بالشمع على زوّاره ليثير فيهم الفضول عمّا يصدرمن صوت بعيد هو صوت الطيور الجارحة، التي أطلقها يوماً، وراح يُسجل شراستها.

وفي زاوية مُحاطة بالزجاج يقف تمثال الزعيم النازي «أدولف هتلر». هذا هو التمثال الذي نجا من قصف الطائرات الألمانية في الحرب العالمية الثانية. وضع بالضبط قبل دخول ما أُطلق عليه بـ «العصر المظلم»، حيث أدوات التعذيب والشنق والحرق مع تماثيل أشهر مجرمي بريطانيا.

وتصور هذه القاعة الأزقة الخلفية للفنون، حيث الفقر والجوع والتشرُّد آنذاك. وليس من الممتع البقاء طويلاً في تلك القاعة التي تفوح منها رائحة الدم، وينتشر بين أرجائها صراخ المعذبين وأنين المحتضرين.

روح لندن:

لكن متحف مدام - توسو، يُهيّئ لزواره مفاجأة تمت إضافتها في السنوات الأخيرة. تلك هي جولة مجانية بواسطة «تاكسي لندن». أو سيارات أجرة لندن الشهيرة بلونها الأسود: لتتجوّل وسط بانوراما تحكي تاريخ العاصمة البريطانية، مروراً بالحرب العالمية الثانية، وحرق لندن الشهير، وإعادة بناء لندن، ثم الثورة الصناعية، لتصل بنا في نهاية المطاف إلى يومنا هذا في جو مشحون بالمعلومات التاريخية السريعة، والمتعة، والموسيقا.

المراجع

١- استطلاع فني: معرض الشمع الشهير والأول في العالم يجدد نفسه سنوياً، مجلة الكويت، الكويت: وزارة الإعلام، ديسمبر ١٩٩٤م، العدد: ١٣٤.

٢- أشرف غربال: الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة: دار القلم، ١٩٦٥م.

٣- جمال الكاشف: عالم المعرفة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٤- عبد المنعم الأعسم: مدام توسو طغاة ومبدعون من الشمع، مجلة العربي، الكويت: وزارة الإعلام، يناير ٢٠٠٠م، العدد ٤٩٤.

٥- وفيق صفوت مختار: بستان المعرفة، ط ١، القاهرة: موناليزا للكتاب، ٢٠٠٧م.



القلب الفاضح

إدغار آلان بو
ترجمة: فؤاد عبدالمطلب
حمص - سورية

كنت حقيقة متوتراً جداً، وبشكل فظيع، ولا أزال كذلك؛ ولكن لماذا ستقولون عني: إنني مجنون؟ ولم يجعل المرض حواسي خائرة أو فاترة، بالعكس فقد أصبحت حادة، وقبل كل شيء غدت حاسة السمع شديدة؛ إذ كنت أسمع كل الأشياء في السماء وفوق الأرض.. وسمعت أشياء كثيرة في الجحيم.. فكيف أكون مجنوناً؟ أصغوا! ولاحظوا صحتي وهدوئي في سرد قصتي كاملة عليكم.

إنه لمن المستحيل القول: كيف دخلت الفكرة إلى ذهني أول مرة، لكنها منذ أن خطرت في بالي، أخذت تؤرقني في النهار والليل. لم يكن لديّ أي هدف، كما لم تكن هناك عاطفة. أحببت الرجل العجوز. لم يخطئ في حقي قط، ولم يوجه إليّ أي إهانة. ولم يكن لديّ رغبة في السطو على ذهبه. أعتقد أن عينه كانت هي السبب! نعم كانت هي! كانت لديه عين نسر، عين زرقاء فاتحة اللون عليها غشاوة. فكلما وقعت عيناه عليّ سرت البرودة في دمي، وبالتدريج عزمت على أن أزهق حياة ذلك العجوز؛ وبهذا أخلص نفسي من عينيه إلى الأبد.

الآن إليكم القصة. أنتم تتخيلون أني مجنون. فالمجانين لا يعرفون شيئاً، ولكن لا بدّ أنكم كنتم قد رأيتموني. لا بد أنكم رأيتموني كيف أواظب باتزان – مع ذلك الحذر وبعد النظر والذكاء – على القيام بذلك العمل! كنت طيباً جداً مع الرجل العجوز طوال أسبوع كامل قبل أن أقتله. إذ كنت أذهب في منتصف كل ليلة فأدير قفل بابه وأفتحه بلطف بالغ. فتحته فقط فتحة تكفي لإدخال رأسي. أوه، كان يمكن أن تضحكوا كيف أدخلته بدهاء! حركته ببطء شديد جداً حتى لا أوقظ الرجل العجوز من نومه. استغرق الأمر مني ساعة كاملة كي أولج رأسي من خلال فتحة الباب، حتى أمكنني أن أراه مستلقياً على سريره. ها، كيف لمجنون أن يكون ذكياً جداً هكذا؟ وعندما أصبح رأسي داخل الحجرة تماماً فككت الفانوس المعلق من مكانه بحذر شديد – شديد جداً – لأن مفاصل الباب أحدثت صريراً – فسقط شعاع رفيع على عين النسر. وهذا ما ظللت أفعله لمدة سبع ليالٍ طوال – كل ليلة وفي منتصفها تماماً – لكنني كنت أجد عينيه دائماً مغلقتين؛ ولذلك كان من المستحيل إنجاز العمل؛ لأنه لم يكن العجوز هو الذي يضايقني، بل عيناه الشريرتان. وفي صبيحة كل يوم، عندما يطلع النهار، كنت أذهب إليه بجرأة في الحجرة، وأتكلم معه بشجاعة، وأناديه باسمه بلهجة ودية، وأسأله كيف قضى ليلته. وسترون كم كان هذا العجوز حصيفاً، إذ إنه لم يشك فيما كان يجري في كل ليلة، حينما كنت أنظر إليه وهو نائم.

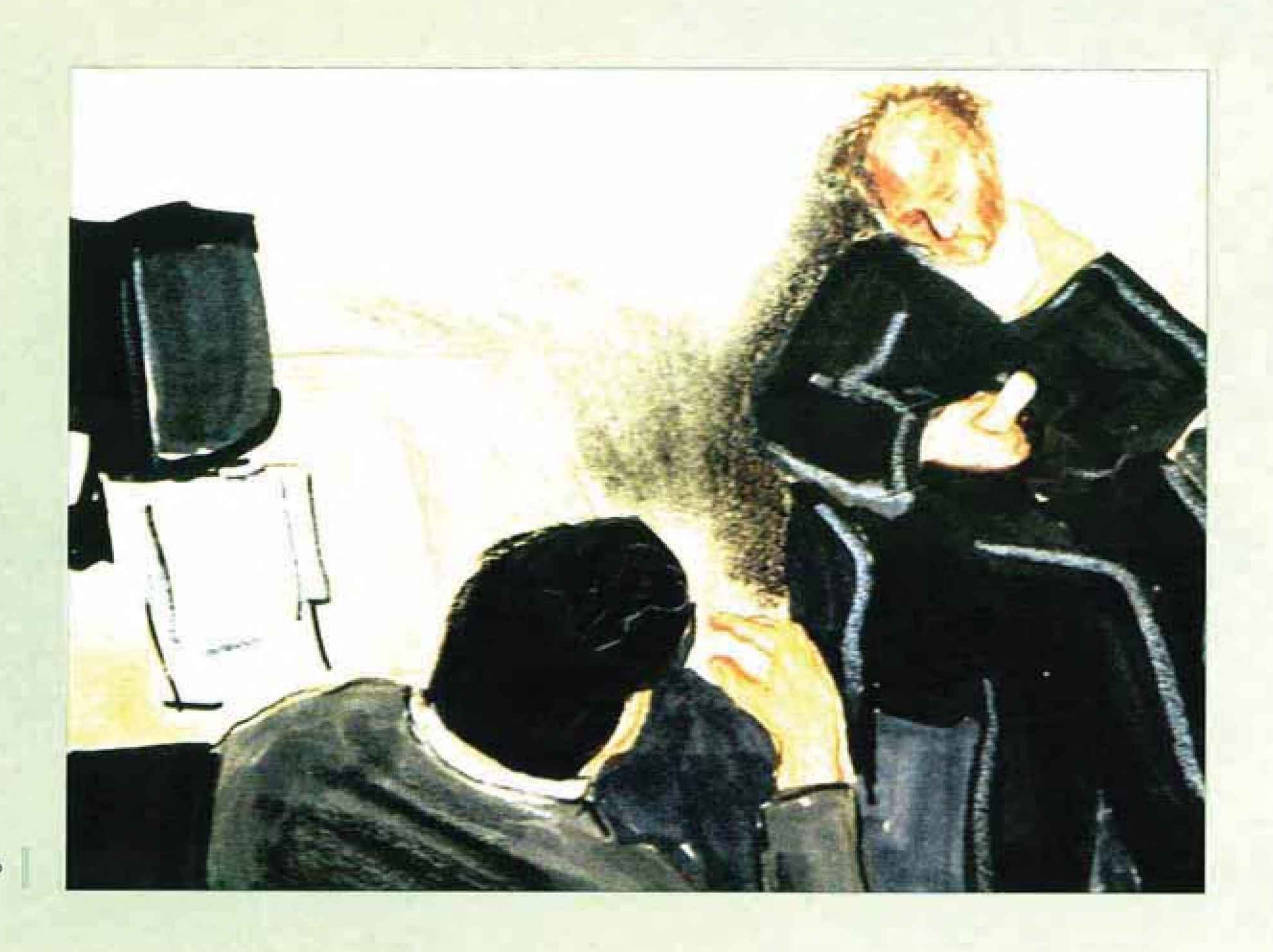
وفي الليلة الثامنة كنت أكثر حذراً في فتح الباب، وقد بدا لي في تلك الليلة أن عقرب دقائق الساعة يتحرك بسرعة أكبر مما هو معهود. ولم أكن قبل تلك الليلة أعرف مدى قوة أعصابي وذكائي. وكنت بصعوبة أضبط مشاعر الانتصار في نفسي، ولم يكن ليتخيل حتى أعمالي وأفكاري السرية، وأنني كنت موجوداً هناك، أفتح الباب شيئاً فشيئاً، وضحكت بصوت خافت على هذه الفكرة، ولعله سمعني؛ لأنه تحرك فجأة في السرير كما لو أنه فزع. الآن ربما تعتقدون أنني تراجعت، لكن لا، لقد كانت حجرته سوداء يخيم عليها ظلام دامس (لأن سدائل النوافذ كانت محكمة الإغلاق، بسبب الخوف من اللصوص)؛ لذا كنت أعرف أنه ليس من الممكن أن يرى فتحة الباب، ورحت أدفعه بثبات قليلاً قليلاً.

أدخلت رأسي، وأوشكت أن أشعل الفانوس، وعندما انزلق إبهامي على غلق الباب المعدني، قفز العجوز في سريره صارخاً؛

من هناك؟ التزمت الهدوء، ولم أنبس ببنت شفة، ولم أقم بأي حركة لمدة ساعة كاملة، وفي أثناء ذلك لم أسمعه يستلقي ثانية، فقد ظل جالساً على السرير يصغي - تماماً كما كنت أصغي، الليلة تلو الليلة - إلى دقات ساعة الموت على الجدار.

في الحال سمعت أنيناً خافتاً، وعرفت أنه كان أنين رعب مميت، لم يكن أنين ألم أو حزن، كان أنين صوت مخنوق منخفض ينطلق من أعماق الروح. كنت أعرف الصوت جيداً؛ لأنه خرج من داخل صدري، معمقاً بصداه المخيف الرعب الذي كان يتملكني، أقول: كنت أعرفه جيداً، كنت أعلم بما كان يشعر به العجوز، وأشفقت عليه، على الرغم من أنني ضحكت من كل قلبي. عرفت أنه ظل مستلقياً في سريره يقظاً منذ أن حدثت الجلبة الخفيفة في بادئ الأمر عندما كان يتقلب في سريره، كانت مخاوفه تزداد منذ ذلك الحين، وكان يحاول أن يتخيلها أموراً عادية، لكنه لم يستطع. كان يخاطب نفسه: «إنها لا شيء سوى صوت ريح في المدخنة - أو إنها فأر تسلل في أرض الحجرة». نعم، كان يحاول أن يريح نفسه بهذه الافتراضات، لكنه وجدها جميعاً غير مجدية، كل شيء كان دون جدوى؛ فقد كان الموت يتربص به وراء خيال أسود شاخص أمامه، ويلف الضحية. كما كان التأثير الكئيب لذلك الخيال الغامض هو الذي جعله - مع أنه لم ير أو يسمع أي شيء - يشعر بوجود رأسي داخل الغرفة.

وبعد أن انتظرت طويلاً، قررت بصبر شديد، من دون أن أسمعه يستلقي في السرير، أن أضيء الفانوس إضاءة خفيفة، قمت بذلك، ولا يمكنكم أن تتخيلوا كيف انسل شعاع ضوء خافت، مثل خيط العنكبوت، فسقط مباشرة على عين النسر.



كانت العين مفتوحة - مفتوحة بشكل واسع - وازداد غضبي عندما حدقت بها، رأيتها بوضوح كبير، عليها كلها غشاء أزرق باهت كريه أصابني بقشعريرة سرت في جسمي حتى وصلت مخ عظامي. لكنني لم أستطع رؤية شيء آخر في وجه العجوز؛ لأنني وجهت الشعاع، كما لو أنه توجه بالغريزة، تحديداً نحو تلك البقعة اللعينة.

ألم أقل لكم إن ما تعدونه جنوناً بالخطأ ليس إلا حدة شديدة في الأحاسيس؟ والآن، أقول لكم: إنه بلغ سمعي صوت خافت وممل، وسريع مثل الصوت الذي تصدره ساعة ملفوفة بقطن. عرفت ذلك الصوت جيداً، أيضاً. فقد كان صوت ضربات قلب العجوز. وزاد هذا من غضبي مثلما يزيد قرع الطبول من شجاعة الجندي. وحملت الفانوس بثبات، وحاولت قدر استطاعتي أن أبقي الشعاع على عينيه. وفي أثناء ذلك ازدادت ضربات القلب اللعينة، وأصبحت أسرع فأسرع وأعلى فأعلى في كل لحظة. هل تصغون إلى ما أقوله؟ أخبرتكم أنني عصبي، وإنني لكذلك. والآن في الوقت الميت من الليل، وسط الصمت المخيف الذي يلف ذلك البيت القديم، أحسست بضوضاء غريبة مثل تلك الضربات فأرهبتني إلى حدّ فظيع، ومع ذلك وقفت وظللت ساكناً بضع دقائق أخرى. لكن الضربات ارتفعت أعلى فأعلى! وحسبت أن القلب سوف ينفجر. والآن استولى عليَّ قلق جديد - سيسمع الجار الصوت! قلت في نفسي: حانت ساعة الرجل العجوز. أضأت الفانوس مع صرخة عالية، وقفزت إلى داخل الحجرة. وصرخ صرخة واحدة، واحدة فقط. وفي لحظة جررته على الأرض، وجررت السرير الثقيل فوقه، ثم ابتسمت بابتهاج؛ لإدراكي أن الأمر قد تم. لكن القلب عاد يدق بصوت مخنوق لدقائق عديدة. لكن هذا لم يعد يقلقني البتة، طالما أنه لا يسمع عبر الجدار. أخيراً توقفت دقات القلب. لقد مات الرجل العجوز. أبعدت السرير وتفحصت الجثة. نعم لقد مات تماماً، ووضعت يدي على قلبه وتركته فوقه عدة دقائق؛ فلم يكن هناك أي نبضات. لقد مات فعلياً، ولن تقلقني عينه بعد الآن.

إن كنتم ما زلتم تعتقدون أنني مجنون، فإنكم ستعلمون أن ذلك غير صحيح عندما أصف لكم الاحتياطات الذكية التي قمت بها لإخفاء الجثة. مضى الليل، وأخذت أعمل بسرعة، لكن بصمت. أول شيء قمت به كان تقطيع الجثة. قطعت الرأس ثم الذراعين والأرجل. ثم نزعت ثلاثة ألواح خشبية من أرضية الغرفة، وأودعت كل شيء بين أبعاد خشب البناء وحجارته. وبعدها أعدت الألواح بمهارة فائقة، وبمكر شديد، بحيث لا يمكن لعين بشرية، ولا حتى عينه هو، أن تكتشف أي شيء خطأ؛ إذ لم يكن هناك أي شيء بحاجة إلى مسح من بقع الدم أو لطخ من أي نوع كان. فقد كنت حذراً جداً لذلك: غسلت يديّ مما علق بهما تماماً... ها! ها!.

عندما أنهيت كل هذه الأعمال، كانت الساعة تقارب الرابعة، والظلام لا يزال مخيماً كما لو أن الوقت منتصف الليل. وما إن دقت عقارب الساعة، حتى سمعت طرقاً على الباب الخارجي. ونزلت كي أفتح الباب بقلب واثق؛ إذ لم يكن هناك ما يدعو إلى الخوف! دخل ثلاثة رجال قدموا أنفسهم بلطف جم على أنهم ضبّاط شرطة، وأفادوا بأن الجوار قد سمعوا صرخة خلال الليل؛ وقد أثار ذلك شكوكاً في حدوث أمر سيئ؛ وثمة معلومات بخصوص ذلك قدّمت إلى مركز الشرطة، وها هم الضباط قد أرسلوا لتفتيش المبنى.

ابتسمت، فليس هناك ما أخاف منه؟! ورحبت بهؤلاء السادة، وأوضحت لهم أن الصرخة صدرت مني في حلم في أثناء نومي، وذكرت لهم أن الرجل العجوز سافر إلى الريف. ثم أخذت



الزوار في جولة لتفقد أرجاء المنزل، ودعوتهم إلى تفتيش المنزل تفتيشاً جيداً، وأخذتهم في النهاية إلى حجرته، وأريتهم أن مدخراته المالية في أمان لم يمسها أحد. وفي حماس وثقة أحضرت لهم كراسي إلى الحجرة، وطلبت منهم أن يجلسوا ليرتاحوا بعد تعبهم، بينما قمت - من فرط جرأتي ونجاحي الرائع - بوضع كرسي كي أجلس عليه تماماً فوق المكان الذي أخفيت تحته جثة الضحية.

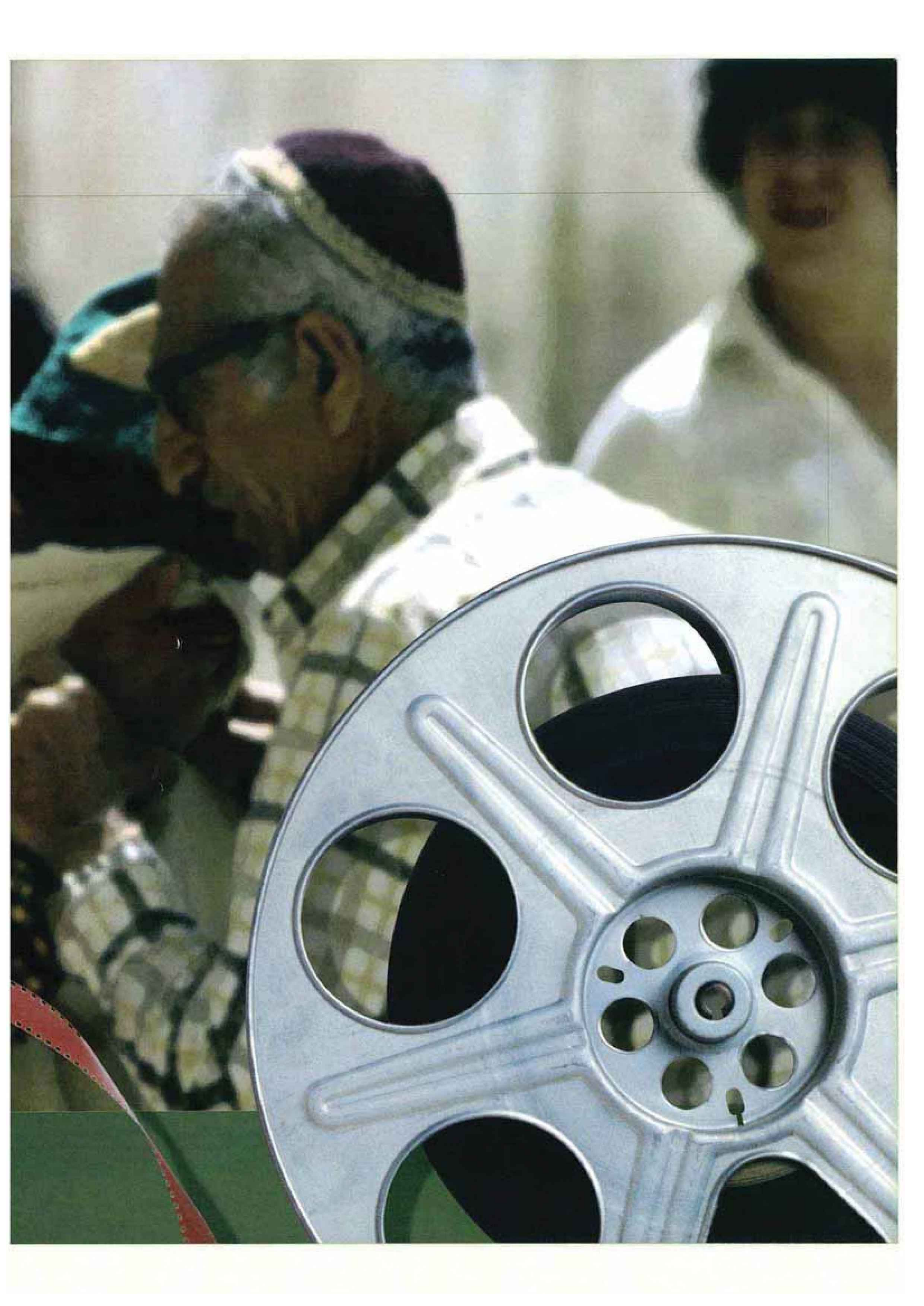
كان الضباط راضين عن كل شيء، فقد أقنعهم سلوكي بذلك، وكنت مطمئناً جداً فجلسوا، وبينما كنت أجيب عن أسئلتهم بمرح، راحوا يتحدثون في أمور عادية، لكن بعد مضي بعض الوقت، أصبت بشيء من الوهن، وتمنيت لو أنهم يذهبون، وآلمني رأسي، وشعرت كما لو أن ثمة طنيناً في أذني؛ ومع ذلك ظلوا جالسين يتابعون حديثهم، وأصبح الطنين في أذني أكثر وضوحاً، واستمر هكذا وازداد تأثيره؛ ورحت أتحدث أكثر كي أتخلص من هذا الشعور؛ لكنه استمر حتى سرى في رأسي كله، ثم أدركت في النهاية أن ذلك ليس في أذني.

لم يكن لديّ شك الآن في أنني واهن جداً، لكنني رحت أتحدث بطلاقة أكثر وبصوت مرتفع، بيد أن الصوت أخذ يزداد! كان صوتاً منخفضاً، ومملاً وسريعاً، يشبه إلى حد بعيد صوت ساعة ملفوفة بالقطن، ولهثت كي آخذ نفساً، ولكن الضباط لم يلحظوا ذلك، ورحت أتكلم بسرعة أكبر، وبشدة أكبر، لكن الضوضاء كانت تزداد باستمرار، نهضت وأخذت أجادل في أمور تافهة في نبرة عالية وإيماءات عنيفة، لكن الضوضاء كانت تزداد على نحو منتظم! لماذا لا يذهبون؟ وجبت الحجرة بخطا ثقيلة ذهاباً وإياباً، كما لو أنني مثار إلى حد الغضب بسبب مراقبة هؤلاء الرجال إياي، واستمرت الضوضاء في الازدياد بانتظام. يا إلهي، ماذا بوسعي أن أفعل الآن؟ أخذت أرغي، وأزبد، وأهتاج، وأشتم! وأخذت أهز الكرسي الذي كنت أجلس عليه وأحكه بشدة على لوح الأرضية، غير أن تلك الضوضاء غطت كل ما قمت به، وازدادت باستمرار، وتصاعدت أعلى فأعلى! أما الرجال الثلاثة فظلوا يتحادثون بلطف وابتسام أيضاً، فهل من الممكن أنهم يسمعون شيئاً؟ يا إلهي القدير!.. لا، لا! لقد سمعوا! لقد اشتبهوا! لقد كانوا يسخرون من رعبي! هذا ما فكرت فيه، وما أفكر فيه الآن.

ولكن أي شيء يحدث لي كان أفضل من هذا الألم! وتحمل أي شيء يحدث لي كان أفضل من هذا الألم! ويمكن تحمل أي شيء أكثر من هذا الاستهزاء! فأنا لم أعد أستطيع بعد الآن تحمل تلك الابتسامات الكاذبة! وشعرت بأن عليّ أن أصرخ أو أموت! والآن - ثانية - أصغوا، عاد الصوت أعلى فأعلى! «أيها الأوغاد» صرخت فيهم، «انتهى خداعكم! فأنا أعترف بما فعلت، ارفعوا الألواح! من هنا ومن هنا! تنبعث ضربات قلبه البشع!».

ـ ليس بالعلم وحده نستطيع التوصل إلى فهم العقل البشري على نحو أفضل، فعبر العصور تمكن كتاب النثر الروائي والقصص أيضاً من الولوج إلى داخل ذلك العقل، وقد كان الكاتب الأمريكي إدغار آلان بو واحداً من أولئك الأدباء الذين حاولوا سبر أغوار النفس الإنسانية على نحو دقيق ومثير.

ولد هذا الكاتب الشهير في مدينة بوسطن في ماساشوستس عام ١٨٠٩م، وتوفي بعدذلك بأربعين سنة ملأى بالأحداث العاصفة من معاقرة الخمر، والمقامرة، وإقامة علاقات غرامية كثيرة، لكن سني شبابه كانت حافلة بالأعمال الأدبية، وغزيرة بالكتابات الصحفية الجادة، ولاتزال أعماله القصصية والروائية تتمتع بشعبية واسعة في أيامنا هذه، وقد استخدم كثير منها أساساً لمسرحيات وأفلام حديثة، وقد اشتهر إدغار آلان بو في الأوسط الأدبية والفنية بسبب براعته في كتابة قصص الرّعب، مثل قصة «القلب الفاضح»، وتمتاز هذه القصة في أنها كتبت من خلال وجهة نظر إنسان مجنون يرتكب جريمة فظيعة، ويحاول بمكر أن يخفي ملامحها، وقد وصف كثير من علماء النفس والمتخصصين بعلم الجريمة الدقة البالغة التي يتناول بها إدغار آلان بو العمليات الداخلية العميقة التي تجري في عقل مصاب بالجنون على نحو حاد، ومن المفيد والمثير أن نلاحظ هنا - بوصفنا قرّاء - سمات تفكير شخص مصاب كشخصية الشاب في هذه القصة ونلاحظ فهمه وحديثه وردة فعله.



فنون

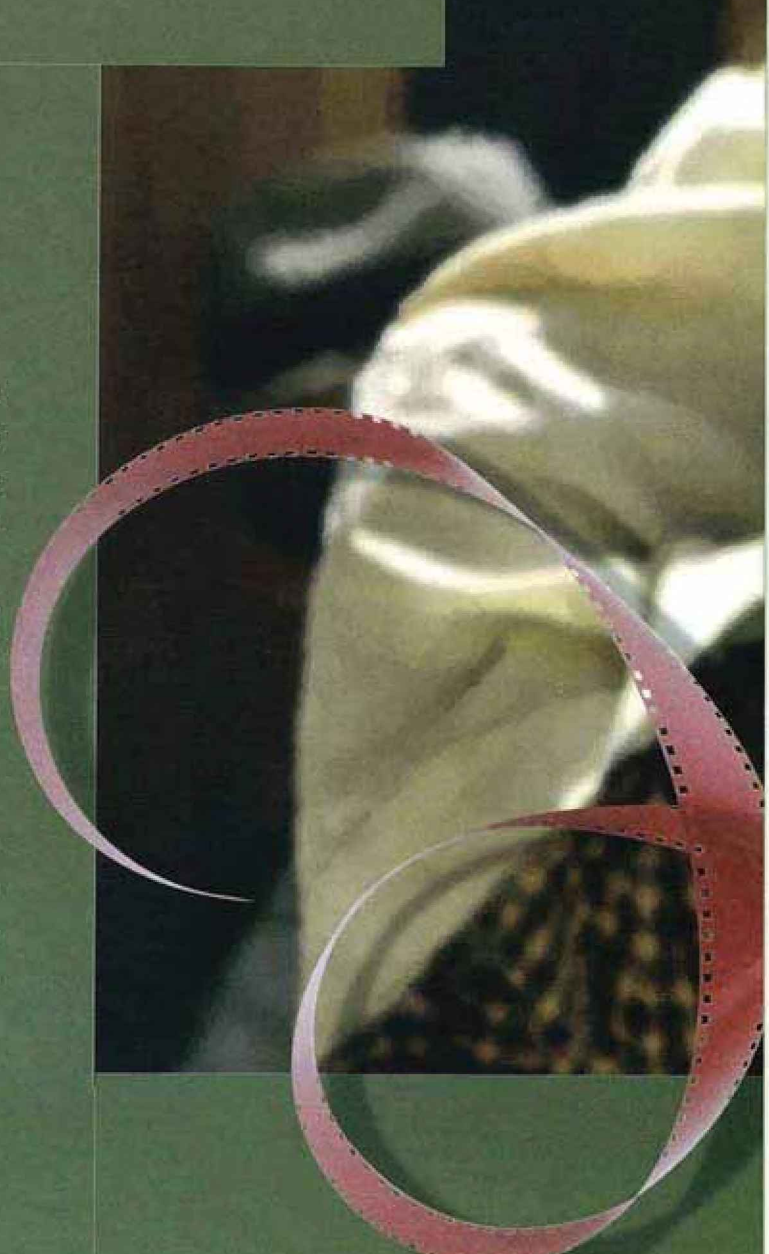
السينما الصهيونية
وصورة العربي

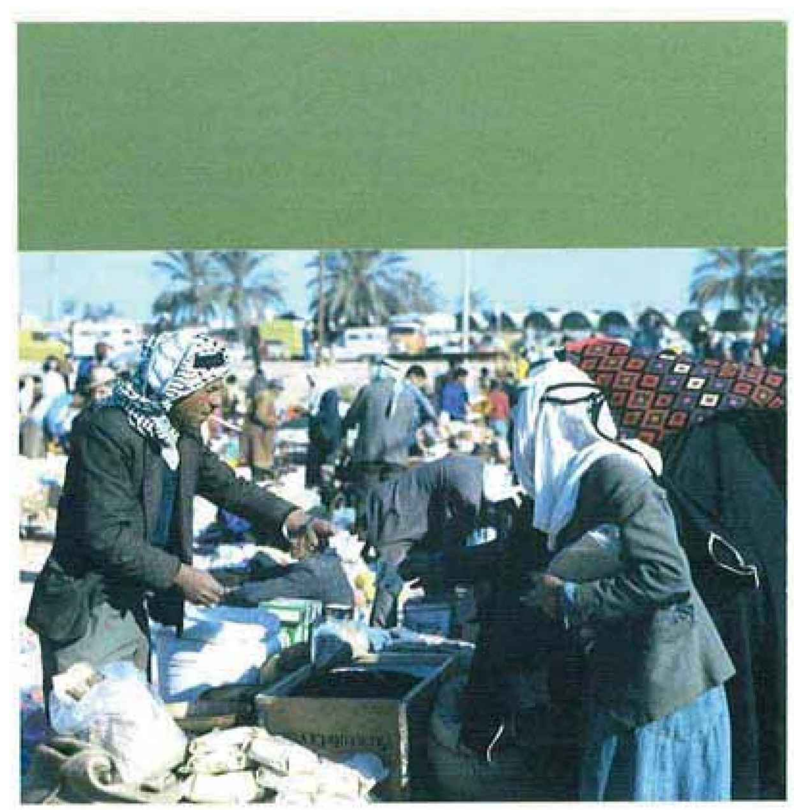
محمد مرسي محمد
كفر الشيخ - مصر

تعد السينما الآن أهم الفنون وأخطرها؛ لكونها تحظى بجماهير واسعة، سواء عبر صالات العرض، أو عبر التلفاز وأجهزة الفيديو والكمبيوتر، خصوصاً في ظل التقدم التقني الحديث في هذا المجال، وقد تنبهت الأجهزة الصهيونية - على مختلف أشكالها وأنواعها - لفن السينما؛ لخطورته وتأثيره الكبير في خدمة أهدافها غير الإنسانية.

ومنذ أن اكتشفت «بروتوكولات حكماء صهيون» وظهرت إلى الوجود، رأينا أنها اهتمت بهذا الفن، وسعت إلى تسخيره لأهدافها العنصرية، وكذلك أكد المؤتمر الصهيوني الأول أهمية السينما في خدمة أهداف الحركة الصهيونية.

إزاء هذا الاهتمام المبكر بالسينما جاء الفلم الصهيوني الأول عام ١٨٩٩م، في حين جاء الفلم العربي الأول عام ١٩٢٧م، ثم تتالت الأفلام الصهيونية، فجاء فلم عن «حياة اليهود»، وفلم آخر يتحدث عن المقاومة الصهيونية للعرب، على أساس أنهم مستعمرون واليهود هم أصحاب الأرض، وكان هذا الفلم بعنوان «ابن الأرض»، وفي عام ١٩٣٨م عرض الفلم الصهيوني « هذه أرضك » الذي يدعو اليهود إلى الهجرة إلى أرضهم الطبيعية، وابتدأت بعد ذلك الصهيونية في دخول عالم هوليوود للسيطرة عليه.





نشاط عالمي

والسينما الصهيونية ببساطة هي السينما التي تخدم بشكل مباشر، أو غير مباشر، المفاهيم والأهداف الصهيونية المنبثقة من بروتوكولات حكماء صهيون. أو هي السينما التي تساهم - جزئيا أو كليا - في حملات الدعاية الصهيونية المناهضة للقيم الانسانية، والساعية الى تثبيت مزاعم الحركة الصهيونية، وليس بالضرورة ان تكون هذه السينما مقتصرة في وجودها على النشاط السينمائي الصهيوني، وإنما تتعداه إلى النشاط السينمائي العالمي بأجمعه.

ولقد هدفت السينما الصهيونية في خطواتها الأولى إلى نقل الفكر الصهيوني إلى اليهود أنفسهم، وإلى الشعوب الأخرى: لترسيخ مفاهيم في دعم فكرة الوطن القومي اليهودي، ثم تباكت السينما الصهيونية على اضطهاد اليهود في كل مكان: لاستدرار عطف العالم عليهم ماديا ومعنويا.

والآن يتكالب صناع السينما الصهيونية على وصف إسرائيل بالجنة الشابعة وسط الدول المتخلفة حضاريا، وأن العرب إرهابيون قتلة ...!

هذا وقد ركزت الحركة الصهيونية منهجها في عالم السينما منذ عام ١٨٩٧م في أسس هي:

- العمل للسيطرة على تقاليد السينما إنتاجا وتوزيعا.
- تسريب مجموعة كبيرة من الفنانين الصهاينة بمختلف الاختصاصات - للدخول إلى صناعة السينما.
- تأمين مجموعة من الكتاب السينمائيين المروجين للمفهوم الصهيوني.
- استغلال أحدث ما توصل إليه العلم في صناعة السينما: لإنجاح الأفلام الصهيونية.
- استغلال أفلام الجنس والأفلام البوليسية لبلوغ مآربها.

ويمكن إجمال أهداف السينما الصهيونية في الآتي:

- السعي إلى الربح التجاري: لاستغلاله في السياسة الصهيونية الاستعمارية.
- أداء دورها، لتثبيت ركائز الاستعمار الاستيطاني بمختلف أشكاله وأنواعه.
- تشويه صورة الإنسان العربي، والمسلم عموما، والفلسطيني خصوصا، أمام الرأي العام العالمي.

الخماسين

وعندما نتأمل الأفلام السينمائية التي تشوه صورة العربي عموما، والفلسطيني خصوصا، نجد أن أول فلم تناول بشكل مباشر الشخصية العربية الفلسطينية بوصفها طرفا رئيسا في الصراع، هو فلم (الخماسين) إنتاج عام ١٩٨٢م، وإخراج دانييل فاكسمان، ثم تبعته أفلام أخرى مثل: (رفاق السفر) و(وراء القضبان) و(في يوم صحو تستطيع أن ترى دمشق) و(جسر ضيق جداً) و(وافانتي بوبلو) و(أرض غير مستقرة) و(نهائي الكأس).

فنجد في فلم (الخماسين) أن عنوانه يشير إلى الرياح الصحراوية الحارة، التي تهب على منطقة الشرق الأوسط في فصل الصيف، حيث تضطرب المشاعر، وتتعكر الأجواء .. ويروي (الخماسين- khamsin) قصة العلاقة بين جيداليا اليهودي الذي يمتلك مزرعة في إحدى قرى الجليل، وخالد العامل الفلسطيني، الذي يعمل في المزرعة، ويقوم بكل الأعمال القذرة فيها، ويتعامل جيداليا مع خالد معاملة ودية جداً، فهو يدافع عنه إزاء هجوم بعض الشباب اليهود المتطرفين في التربية، ويشاركه في القيام بالعمل بنفسه - أحيانا - في رعاية الماشية، ويشترك الاثنان أيضا في الاستحمام.

ويرغب جيداليا في شراء قطعة الأرض المجاورة التي تملكها أسرة فلسطينية عاشت - دائما - في وئام مع أسرة جيداليا.



للسينما الصهيونية محاولاتها في تشويه صورة الفلسطيني وتحسين صورة إسرائيل

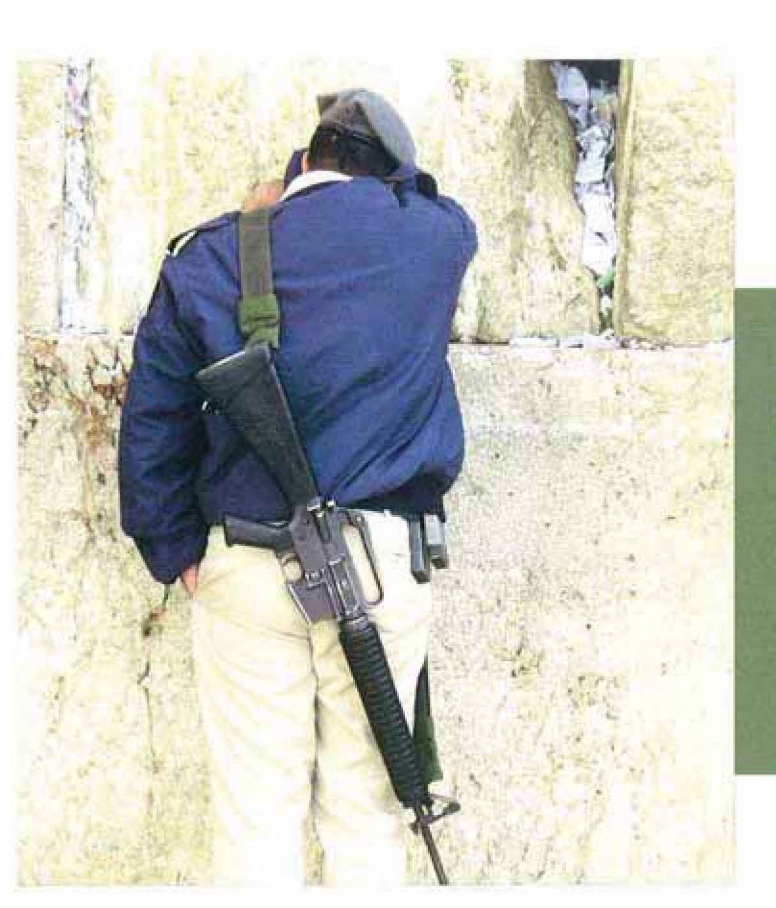
إذ يرغب في استعادة أيام - الرواد - الصهاينة، وتحقيق حلم والده الراحل. ويندفع جيداليا في رغبته. على الرغم من تحذيرات أمه العجوز. لكن عائل الأسرة العربية يتراجع عن بيع الأرض تحت ضغوط ابنه الشاب، ومجموعة الشباب الفلسطينيين في القرية. ويلوّح جيداليا إلى صاحب الأرض بما تعتزمه الحكومة من مصادرة قطعة الأرض، وأن من الأفضل له أن يبيعها الآن بدلاً من أن يفقدها من دون مقابل. لكن الرجل يتمسك بموقفه، ثم يقع المحظور عندما تقيم (خافا) - شقيقة جيداليا - علاقة غرامية مع خالد، ويتردد الأخير على حجرتها كل ليلة. ويتسرب الخبر إلى جيداليا، فيخطط للانتقام من خالد، ويقتله في النهاية في مشهد وحشي عندما يطلق عليه ثوراً هائجاً من الحظيرة. وينتهي الفلم بموجة من الأمطار تسقط على القرية، تغسل الدماء، إيذاناً بنهاية موسم الخماسين.

نموذج خالد في الفلم هو أنموذج سوف يبرز فيما بعد هذا النوع من الأفلام. فهو ضحية ظروف أقوى منه، يضطر أمامها إلى الخضوع، وقبول العمل في مهنة شاقة، وهو شاب وسيم بدرجة تكفي لكي تجعله هدفاً حسياً لليهودية الشابة، التي درست الموسيقا في مجتمع تل أبيب العصري، وعادت بمفاهيم ليبرالية إلى القرية، وهو أيضاً واقع بين حجري الرحى. فهو من ناحية، يقابل باللوم والتقريع العنيف من جانب أقرانه من الشباب الفلسطينيين في القرية، الذين ينظرون إليه بازدراء بسبب قبوله العمل في مزرعة جيداليا اليهودي. وهو من ناحية أخرى يعاني الإحساس بالذنب؛ بسبب تمتعه بحماية جيداليا له، على عكس زملائه الذين يتعرضون لاعتداءات اليهود المتطرفين. ويشعر خالد بضآلة وضعه بالنسبة إلى الفتاة التي أرادته أداة للمتعة الحسية، ويخشى في الوقت نفسه من عواقب علاقته بها.

ولكن أخطر ما يميز شخصية خالد هو تقديمه نموذجاً خالياً من الهوية، كل ما يشغله هو أن يعيش ويعمل في ظل الوضع السائد. وبذلك تم استخدامه نموذجاً للفلسطيني (المعتدل) المطلوب لتقديم قرابين التعاطف معه من جانب المشاهدين.

أما جيداليا فهو يمثل اليهودي المعتدل الذي لا يستطيع أن يظل على اعتداله أمام خرق الآخر (الأدنى) التقاليد، التي تحكم العلاقة بين السيد والتابع، ويكمن الموقف الأساسي للفلم في إلقاء اللوم على عاتق المتطرفين (الأفراد من كلا الطرفين) في استمرار ذلك الحاجز من سوء التفاهم، وانعدام الثقة المتبادلة.

فلم (نهائي الكأس) هو أول فلم إسرائيلي يستخدم اللغة العربية في حواره، ويتيح إظهار الجوانب الإنسانية في الشخصية الفلسطينية



هدفت السينما الصهيونية في خطواتها الأولى إلى نقل الفكر الصهيوني إلى اليهود أنفسهم، وإلى الشعوب الأخرى؛ لترسيخ مفاهيم في دعم فكرة الوطن القومي اليهودي

وفي هذا الإطار ليس هناك ما يمنع من الإشارة في مشاهد عابرة إلى التطرف اليهودي، كما في مشهد اعتداء الشباب اليهود بالضرب على مجموعة من الفلسطينيين المسالمين، الذين يبيعون البطيخ في جبمة على قارعة الطريق، أو قيام المشرفين على دار السينما في القرية بمنع الشباب الفلسطينيين من ارتيادها.

ومن ناحية أخرى، يدين الفلم ما يدعيه من مظاهر التطرف على الجانب الفلسطيني، كما يتمثل في رفض التعاون والعمل مع الصهاينة، والتمسك بالأرض، وعدم التفريط فيها بالبيع تحت اغراء المال أو التهديد بالمصادرة.

ويمتلئ الفلم بمقارنات ظروف الحياة داخل إسرائيل: فيظهر العرب في صورة متخلفة بدائية في حياتهم اليومية، في حين تبدو الحياة داخل المزرعة الإسرائيلية في صورة نموذجية، وفي سياق الفلم، يبدو ذلك عائداً إلى الفارق الحضاري المزعوم، وليس نتيجة للاحتلال الذي يفرضه طرف على آخر.

الصراع - كما يصوره الفلم - يدور أساسا على خلفية سيكولوجية من التعصب القردي، والخضوع للقيم القديمة من جانب جيداليا؛ ولذا فإن الطرفين يدفعان الثمن على القدر نفسه من التساوي، خصوصا أننا نشاهد ما يحدث طوال الفلم من وجهة نظر جيداليا، وطبقا لمنطقه، بما في ذلك المشهد الأخير، مشهد القتل، فالفلم لا يدين سلوك جيداليا، بقدر ما يبحث عن تقديم مسوغات لها (سيكولوجية في معظمها)، ولا يدعو المشاهدين إلى كراهيته، بقدر ما يجعلهم يتعاطفون مع كلا الطرفين (جيداليا وخالد) بالدرجة نفسها: فالأول ليبرالي أخفق في قهر أحاسيس الذاتية (السيكولوجية) والثاني ضحية لظروف أكبر من إرادته المنعدمة على أي حال، لكنه أيضا يدفع ثمن خطيئته.

وفي هذا السياق، يمكن فهم الإقبال الكبير - من جانب الجمهور اليهودي والعربي داخل إسرائيل - على مشاهدة الفلم، والترحيب الذي لاقاه من كلا الطرفين: من الطرف اليهودي؛ لأنه يختزل الصراع في منظور أخلاقي ونفسي محدود القيمة والأثر، ومن الطرف العربي: لأن التفوق الذكوري العربي على الضعف الأنثوي، يخلق لدى المشاهدين من جمهور الشباب في الأرض المحتلة إحساساً وهميا زائفا بالتفوق، تعويضاً عن القهر المادي المباشر الواقع عليهم!

وراء القضبان

كما يعد فلم - وراء القضبان - Beyond the Walls، الذي أخرجه أوري باراباش عام ١٩٨٤م، من أكثر أفلام - الموجة الجديدة - في السينما الإسرائيلية شهرة واحتراما في الأوساط العالمية، بل وجد هذا الفلم - أيضاً - ترحيباً كبيراً من جانب بعض

النقاد العرب، الذين عدوه من أكثر الأفلام التي ظهرت في إسرائيل تعاطفاً مع الفلسطينيين. وقد حصل الفلم على أربع جوائز رئيسة، منها جائزة أحسن فلم، في المسابقة السنوية التي يقيمها المركز الإسرائيلي للسينما، كما رشح رسمياً لجائزة الأوسكار لأحسن فلم أجنبي، ولقي عروضاً تجارية في الغرب بعد حصوله على جائزة الاتحاد للنقاد والصحافة السينمائية، في مهرجان فينسيا السينمائي الدولي عام ١٩٨٤م.

وعندما عرض فلم «وراء القضبان» في إسرائيل، في أوائل عام ١٩٨٥م، أثار ضجة كبرى، وبلغ عدد الذين شاهدوه من العرب واليهود نحو ٦٣٠ ألف شخص؛ أي ما يعادل ثلث مجموع السكان في إسرائيل في ذلك الوقت. وأثار الفلم نقاشاً سياسياً صاخباً بعد أن شاهده أعضاء الكنيست الإسرائيلي في عرض خاص، واتهم بأنه «يجعل من القتلة أبطالاً». وحاول بعض أعضاء منظمة «كاخ» العنصرية - وكان يتزعمها الحاخام الفاشي الراحل مائير كاهانا - وقف عرضه بالقوة.

وفلم «وراء القضبان» هو الفلم الروائي الطويل الثاني لمخرجه أوري بارباش، الذي ولد في فلسطين عام ١٩٤٧م، وهو ينتمي مع شقيقه بني إلى حركة «السلام الآن». والأخير هو الذي كتب سيناريو الفلم، وقام بالأدوار الرئيسة فيه عرنون زادوك، ومحمد بكري، وعساف ديان.

ويطرح الفلم الصراع داخل إسرائيل بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة، واليهود الغربيين (الإشكينازيين) واليهود الشرقيين (السفارديين) من جهة أخرى، ويستخدم السيناريو دراما السجن المعروفة إطاراً لطرح موضوعه. فالأحداث كلها تدور داخل سجن النزلاء المجرمين؛ بسبب نشاطهم السياسي، ويصور الفلم أجواء التشكك والكراهية، وانعدام الثقة بين الطرفين، والصراع بينهم وبين إدارة السجن.

ويتركز الصراع الدرامي في الفلم حول شخصيتين من المسجونين، أولاهما: أوري مزراحي (عرنون زادوك) الذي يقضي اثني عشر عاماً بسبب قيامه بالسطو المسلح على أحد المحال التجارية بغرض السرقة، والثانية: عصام (محمد بكري) عضو منظمة التحرير الذي يقضي في السجن عقوبة تصل إلى خمسين عاماً - بسبب اشتراكه في أعمال «إرهابية»، والمقصود أعمال نضال مسلح ضد الأهداف الإسرائيلية، وبتزعم مجموعة تفويت الفرصة التي تتحينها للتنكيل بهم.

يبدأ الفلم باستقبال سجين جديد هو أوري، الذي نعرف أنه قضى مدداً مختلفة في السجون، وأنه اضطر إلى الانحراف إلى الجريمة تحت وطأة ظروفه الاجتماعية القاسية، وترك ابنته المراهقة وحدها في الخارج، تعيش حالة من التشرد والفقر والضياع، وهذا ما اضطرها إلى احتراف الدعارة أخيراً.

وسرعان ما يصل سجين جديد هو عساف، وهو ضابط سابق في الجيش الإسرائيلي (أشكينازي من جيل الصابرا) محكوم عليه بخمس سنوات سجن؛ بسبب اتصالات أجراها مع منظمة التحرير الفلسطينية من أجل بحث وسائل تحقيق السلام، وعقب وصوله مباشرة يبرز الاستقطاب الحاد بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني. فالصهاينة يستقبلون القادم الجديد استقبال الخائن الذي وضع يديه في أيدي «الإرهابيين» أعداء الدولة العبرية. أما السجناء الفلسطينيون فإنهم يرفضون توجيهات عصام بضرورة مد يد المساعدة إليه، ويذكرونه باشتراكه في ثلاث حروب ضد العرب، تشمل أعمال الاضطهاد، والضرب، والإيذاء، وتعذيب جميع السجناء من العرب واليهود.

وتشن إدارة السجن حرباً نفسية على بعضهم؛ لدفعهم إلى العمل مرشدين للإدارة. ونرى الأجواء المألوفة في السجون مثل التوتر الدائم بين الإدارة والسجناء، الذين يقيمون حفلاً يغني فيه بعضهم، وينقله التلفاز الإسرائيلي على الهواء مباشرة. بعدها ينقل التلفاز تفاصيل عملية يقصد بها تشويه النضال الفلسطيني، حيث يصورون قيام أعضاء في منظمة التحرير بتفجير حافلة كانت تقل عدداً من النساء والأطفال، وهذا ما أدى إلى هياج شديد بين السجناء اليهود، وقيامهم بالاعتداء على السجناء الفلسطينيين

يتميز فلم (نهائي الكأس) بكونه من الأفلام الإسرائيلية التي تحتل فيها الشخصيات الفلسطينية مساحة كبيرة نسبياً، ويدور الحديث فيما بينهم بالعربية

بغرض الفتك بهم، لولا تدخل الإدارة وحراس السجن.

ويصور الفلم الإدارة بوصفها سلطة تستغل التناقضات بين الطرفين، وتلعب عليه على طريقة «فرّق تسد» حتى تحافظ على العداء القائم بين الطرفين على الدوام. ويدمر مدير السجن مقتل سجين يهودي، كان يعمل مرشداً للإدارة، ثم استنفد الغرض منه. بحيث تلقى شبهة القتل على الفلسطينيين. ويستغل غضب السجناء اليهود ضد زملائهم الفلسطينيين. ويكاد الحادث يؤدي إلى مذبحة. لكن الإدارة تتدخل مرة أخرى. وتسيطر على الموقف. وتنزل عقابها بالطرفين.

بعد هذا يمارس مدير السجن الضغط النفسي على السجين اليهودي الضعيف «دورون» الذي سبق أن تعرض للاعتداءات الجنسية من جانب زملائه. ويهدده بإعادته إلى الزنزانة مع الذين سبق أن اعتدوا عليه اذا لم يوافق على تقديم الشهادة ضد عصام وزملائه. فالمدير يريد اتهامهم بقتل السجين اليهودي. لكن «دورون» يرفض الخضوع للتهديد. ويفضل الانتحار في زنزانته الفردية. وعندما يعثر السجناء اليهود على جثته وفيها رسالة بخط يده تشرح حقيقة ما حدث. يبدأ الحاجز الكثيف بين



العرب واليهود في الذوبان. ثم ينظم الطرفان إضرابا مشتركا عن الطعام، بتزعمه «عصام وأموري» من أجل تغيير الإدارة. ويصبح أعداء الأمس حلفاء اليوم، بعد أن أدركا أن قضيتهما مشتركة. وهكذا يدعو الفلم إلى ضرورة التعايش في ظل النظام نفسه. على أمل أن تغير اللافتة ربما من اليمين إلى اليسار.

إن التوازن المصنوع بين الضحيتين، أو بين الآخر من ناحية والذات التي تسعى إلى أن تجد شبيها لها في الآخر من ناحية أخرى، يُطرح - أحياناً - بشكل رومانسي فاضح، كما في العلاقة العاطفية بين الفلسطينية والإسرائيلي في فلم «جسر ضيق جداً»، أو علاقة الحب والكراهية بين الطبيب اليهودي والفلسطيني كما في فلم «ابتسامة الجدي».

يدور الموضوع في «جسر ضيق جداً Very Narrow Bridge» عام ١٩٨٥م، إخراج نسيم ديان - حول علاقة حب تربط بين امرأة مسيحية فلسطينية تعمل موظفة في مكتبة مدينة رام الله في الضفة الغربية، والمدعي العسكري الإسرائيلي في المدينة. وما تثيره العلاقة من متاعب بالنسبة إلى كل منهما من جانب الأهل والأصدقاء، وتؤدي إلى اندلاع أعمال عنف يتدخل على أثرها الجيش لتهدئة الوضع. ويصور الفلم ما يحدث من وجهة نظر الإسرائيلي الذي يبدي تعاطفاً مع قضية المرأة الإنسانية والسياسية، يجعله يصل إلى تحدي زملائه السابقين في الجيش من أجلها. بينما تصل المرأة من الناحية الأخرى إلى مرحلة القطيعة مع أسرتها؛ بسبب علاقتها غير المقبولة - سياسياً واجتماعياً - مع أحد رموز الاحتلال. وينتهي الفلم بترحيلها إلى الأردن من أجل إيقاف الشغب الذي اندلع في المدينة.

وعن رواية «ابتسامة الجدي Smile of the Lamb» للكاتب الإسرائيلي دافيد جروسمان، أخرج شيمون دوتان فلماً يحمل العنوان نفسه عام ١٩٨٦م. وفيه يصور العلاقة المعقدة التي تنشأ في ظروف معينة بين الفلسطيني «الضحية» والإسرائيلي، الذي يمثل المؤسسة العسكرية (أي سلطة الاحتلال).

تدور الأحداث في إحدى قرى الضفة الغربية، حيث يتوصل الحاكم العسكري الإسرائيلي إلى حيلة مبتكرة لاعتقال المناضلين الفلسطينيين، الذي يشك في أنهم يختبئون في القرية. فيأمر بوضع جثة حمار متعفنة في الميدان الرئيس في القرية، على أمل أن تتكفل رائحة العفن الكريهة بإقناع الأهالي بتسليم المناضلين.

وفي الوقت نفسه يتحدث الفلم عن فلسطيني من جيل النكبة يدعى «حلمي»، يعيش في كهف بأحد الجبال القريبة من القرية، وهو شخصية غريبة الأطوار حقاً، فهو بدوي صارم الوجه، متطرف في عواطفه، متقشف إلى أقصى درجة، ارتضى لنفسه حياة العزلة، ويصوره الفلم رجلاً يعيش طوال الوقت مع أحقاده الخاصة على الإسرائيليين، وإن كان يضفي عليه أيضاً ملامح أسطورية، فهو يتذكر أيام شبابه عندما كان يصطاد الأسود في الجبل، وهذا هو «الجدي» المقصود في العنوان، لكن «الجدي» الذي يميل إلى التطرف ومعاقبة الذات يتحول إلى وحش كاسر عندما يقتل الجيش الإسرائيلي ابنه في أثناء الإغارة على القرية للقبض على «الإرهابيين» المختبئين فيها. ويقوم الرجل بعملية مضادة حين يختطف «أوري لانيادو»، وهو يهودي شرقي يعمل طبيباً في الجيش الإسرائيلي، يحتفظ به حلمي رهينة في مكمنه، ويهدد بقتله إذا لم يفرج الإسرائيليون عن المعتقلين، ويرحلوا عن الضفة الغربية.

يجن جنون الحاكم العسكري «الكولونيل كاتزمان»، لكن كل محاولاته لإنقاذ الرهينة لم تنجح، ومن ناحية أخرى يحاول الرهينة «لانيادو» التودد إلى الفلسطيني حلمي بمختلف الطرائق، فيبدي تعاطفه مع قضيته، ويناقشه مناقشة موضوعية تستند إلى الواقع، ويحدثه عن العذاب الذي ذاقه اليهود في «الهولوكوست»، وهو يؤمن بضرورة تحقيق السلام، وإنهاء الصراع على أساس التعايش، ولكنه متردد في قبول فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة.

السينما الصهيونية ببساطة هي السينما التي تخدم بشكل مباشر، أو غير مباشر، المفاهيم والأهداف الصهيونية المنبثقة من بروتوكولات حكماء صهيون

بدعوى أنها سوف تهدد سلامة الدولة اليهودية.

الفلم في معظمه مصور من وجهة نظر هذه الشخصية الإسرائيلية الإيجابية. وبطريقة تضفي عليها ملامح إنسانية. لا يملك المتفرج سوى التعاطف معها. على العكس من «حلمي» الجاف. الصلب. المتزمت. الذي يرفض الاستماع إلى دعوة السلام. والذي نعذب راضيا. ويعذب رهينته معه.

وينتقل الفلم في مشاهد العودة إلى الماضي (أو الفلاش باك) طوال الوقت؛ لإضفاء بعض الملامح الإنسانية على الشخصيتين. فنرى «حلمي» يتذكر النساء وهن يرسلن إليه فتيات القرية اللاتي حملن سفاحاً؛ للإقامة عنده في مخبئه إلى أن يضعن مواليدهن؛ حتى يمكن التستر على الفضيحة. وتدريجيا تنمو علاقة صداقة بين الرجلين من دون أن يتنازل «حلمي» عن خطته. لكن الفلم ينتهي بكارثة. فالحاكم العسكري يصعد بنفسه مجرداً من السلاح لإقناع «حلمي» بإطلاق رهينته. ويحاول «لانيادو» الإنسان المخلص الدفاع عنه في مواجهة الحاكم. لكن الأخير يحاول خداع حلمي. والاستيلاء على بندقيته. فتنشب مشاجرة بينهما تنتهي بانطلاق رصاصة تصيب «لانيادو» في مقتل. وهكذا يسقط الإسرائيلي الداعي إلى السلام ضحية للصراع بين القطبين المتطرفين.

مرة أخرى هنالك قدر كبير من الرومانسية المفتعلة والمصطنعة. في تصوير التضحية التي يقوم بها داعية السلام الإسرائيلي. من أجل مناصرة الفلسطيني. ومرة أخرى هنالك نوع من الاعتذار عن «الهوية». أو بالأحرى تسويغ الوقوف في الجانب الآخر - جانب الاحتلال - عن طريق تحقيق التوازن التقليدي بين الجلاد والضحية. فالكولونيل كاتزمان عاش في طفولته مأساة «الهولوكوست». وتعود الذكرى إليه وهو يحاول إنقاذ «لانيادو» من بين يدي حلمي.

وتكشف الطريقة التي يلجأ الحاكم العسكري إليها لإخراج الفدائيين (استخدام جثة الحمار) أيضاً عن النظرة المتدنية إلى «الآخر». ويظهر الآخر هنا - كما يجسده «حلمي» - أقرب إلى إنسان العصور الوسطى. فهو بدائي يسكن الكهوف. ويمارس الصيد البري. ولا يثق بالآخرين. ومندفع ينطلق كأنه مارد خارج من القمقم. ويستخدم المخرج أسلوباً خاصاً في تصوير المشاهد التي يظهر فيها. بحيث يضفي عليه ملامح أسطورية خرافية. تناقض تماماً الصورة العصرية الإنسانية لشخصية الطبيب اليهودي. ويستخدم أسلوب الراوي المحايد الذي يروي القصة على طريقة «ألف ليلة وليلة». والغرض ليس - بالطبع - تأكيد عمق تغلغل التراث العربي في المنطقة. ولكن ترويج الصورة النمطية الاستشراقية المترسبة في الذهن الصهيوني والغربي عن «الآخر».

من الناحية الفنية يعد «ابتسامة الجدي» من أكثر أفلام السينما الإسرائيلية براعة في التقنية. واستخدام مفردات الصورة. ومزجها مع شريط الصوت. الذي يمتلئ بالأغاني والموسيقا العربية.

السينما الصهيونية تصور الواقع الفلسطيني على طريقتها الخاصة



ويصل التصوير في بعض المشاهد إلى درجة عالية من الجودة والإبهار.

وفي سبتمبر عام ١٩٩١م، عرض فلم «نهائي الكأس» Final Cup في مهرجان فينسيا السينمائي الدولي. بعد شهرين من عرضه في مهرجان القدس، وكان الفلم قد أدرج للعرض في مسابقة مهرجان موسكو السينمائي، ممثلاً لإسرائيل أول مرة في تاريخ هذا المهرجان، لكن الطرف الإسرائيلي سحب الفلم من موسكو مفضلاً عرضه في فينسيا، وإن كان خارج المسابقة، وبعد فينسيا تنقل الفلم بين عدة مهرجانات، إذ حصل على الجائزة الفضية في مهرجان فينسيا لسينما البحر المتوسط في إسبانيا.

وأحدث ظهور الفلم ضجة كبيرة، وكتب عنه كثيرون: لأنه أول فلم إسرائيلي يستخدم اللغة العربية في حواره، ويتيح إظهار الجوانب الإنسانية في الشخصية الفلسطينية.

يقول مخرج الفلم عيران ريكليس: «إن الفلم يعتمد على قصة حقيقية وقعت عام ١٩٨٢م، عندما وقع جندي إسرائيلي أسيراً في أيدي مجموعة فلسطينية مكونة من ١٥٠ رجلاً، عاملوه معاملة جيدة. ونشأت بينه وبين أحدهم صداقة، وبعد أن أطلقوا سراحه، ذهب إلى الجيش الإسرائيلي وطلب تسريحه، ثم ذهب إلى لبنان، ولكنه لم يستطع الإقامة هناك بسبب تشكك الآخرين في كونه جاسوساً، فعاد إلى إسرائيل، واتخذ لنفسه هوية جديدة ربما كانت فلسطينية».

وتدور أحداث الفلم في أثناء الغزو الإسرائيلي للبنان في يونيو عام ١٩٨٢م، في الوقت الذي تُلعب فيه مباريات كأس العالم

السينما الصهيونية تدعم دعاوى إسرائيل في احتلال الأرض الفلسطينية



فلم «وراء القضبان»، الذي أخرجه أوري بارباش عام ١٩٨٤م، من أكثر أفلام «الموجة الجديدة» في السينما الإسرائيلية شهرة واحتراماً

لكرة القدم في إسبانيا. ويصور الفلم قيام وحدة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية بالهجوم على قاعدة عسكرية في جنوب لبنان، ووقوع جنديين إسرائيليين في أسرها. وفي أثناء أحد الاشتباكات بين المجموعة وإحدى فصائل الجيش الإسرائيلي، يحاول أحد الأسيرين الهرب، فيقتل، ويظل الثاني «ويدي كوهين» أسيراً في أيدي الفلسطينيين الثمانية الذين يقودهم زياد «محمد بكري». ويختلف أفراد المجموعة حول تحديد مصير كوهين. وخلال رحلة المجموعة يستعرض الفلم التباين في مواقف أفراد المجموعة، مشيراً إلى الخلفية الاجتماعية والشخصية لكل منهم. فنعرف – مثلاً – أن «زياد» كان يدرس الصيدلة في إيطاليا، لكنه قطع دراسته وعاد إلى لبنان للاشتراك في المقاومة. كذلك عمر – الطبيب الذي نفقده بالموت مبكراً – درس كذلك في إيطاليا، وفيها تعرف إلى «زياد». وشكري ينتمي إلى أسرة فقيرة، وقد التحق مبكراً بالمقاومة بعد أن قتل الإسرائيليون أسرته كلها؛ ولذلك فإنه يريد قتل كوهين انتقاماً لمأساته الشخصية. أما موسى فلا همّ له سوى العبث والسخرية من الأسير. ولكن زياداً المثقف الذي يمثل العقل الناضج للمجموعة، يصر على ضرورة الاحتفاظ بالأسير من أجل مبادلة الأسرى الفلسطينيين به فيما بعد، ويقنع زملاءه بالحفاظ على سلامته إلى حين الوصول إلى بيروت.

ويصور الفلم بداية علاقة إنسانية تنمو بين الأسير وأفراد المجموعة، فالجميع يتفقون على تشجيع الفريق الإيطالي في مباريات كأس العالم، التي تجري في إسبانيا. ونعرف أن كوهين – وهو صاحب متجر ثري في الحياة المدنية – كان قد خطط للسفر إلى إسبانيا لحضور المباريات، واشترى بالفعل بطاقة السفر، وبطاقة حضور المباريات، ولايزال كوهين يحتفظ ببطاقات حضور المباريات وبطاقة السفر إلى إسبانيا.

المناقشات بين الأسير وآسريه تتنقل طوال الوقت من كأس

العالم إلى السياسة. لكن كوهين يقول: إنه لا شأن له بالسياسة، ويصوره الفلم مغلوباً على أمره، ولا يد له فيما يحدث في لبنان، بل بوصفه فرداً يخضع للعبة تتجاوز حدود قدراته وإدراكه. وتأكيداً لعقلية التاجر لدى كوهين، نراه في أحد المشاهد يقول لزياد: «هل تعتقد أن في إسرائيل أحداً يهتم حقاًبالسياسة ؟ الشيء الوحيد الذي يشغل بال كل شخص في إسرائيل من الرجل العادي إلى رئيس الوزراء هو المال».

وعلى الرغم من كونه يهودياً شرقياً، فإن الفلم يشير الى موقفه السياسي «اليساري». فهو يهمس في المشهد الأول بعد أن شاهد زميلاً له يصاب عند الهجوم على القاعدة: «قلت لك: لا تصوت لمصلحة الليكود».

يزور أفراد المجموعة الفلسطينية منزل زميل لهم يدعى «أبو عياش» يقطن مع أسرته في إحدى القرى، وتفاجأ الزوجة بوجود الأسير بينهم، وتقدم إلى الجميع القهوة. وفي المساء يحتفل الرجل بتزويج ابنته، على الرغم من اعتراض المجموعة على سلوكه هذا في ظروف الحرب. ولكن «أبو عياش» لا شأن له بما يحدث، فهو يريد فقط أن يعيش حياة عادية. ويشارك زياد ورفاقه في الحفل بعد استبدال ملابس عربية بملابس الأسير. وعندما يحضر الجنود الإسرائيليون لتفتيش المنزل بحثاً عن كوهين، يدفعه الفلسطينيون وسطهم: كي يشاركهم رقص الدبكة، حيث يندمج الإسرائيلي بينهم، ويخفق جنود الاحتلال في التعرف إليه. في مشهد يذكرنا - على نحو ما - بمشهد المجندة الإسرائيلية التي خلعت عنها النساء الفلسطينيات الملابس الغربية وألبسنها الزي الفلسطيني في فلم «عرس الجليل» الفلسطيني لميشيل خليفي.

وتدريجياً تتطور العلاقة بين كوهين وآسريه، ويبدأ الجميع بالإحساس بوطأة الوضع الصعب الذي يواجهونه، وتبدو مسيرة المجموعة وسط المخاطر الكامنة في كل مكان حولهم مسيرة عبثية لا يبدو أن لها نهاية: فالجميع يتشككون في إمكان الوصول سالمين الى بيروت.

وعندما يصاب أحد الفلسطينيين بغيبوبة من جراء اشتداد مرض السكر، الذي يعانيه بسبب نقص الدواء، يذهب اثنان منهم إلى قاعدة إسرائيلية، وينجحان في التسلل إليها، والعودة بصندوق من مادة الأنسولين. لكن على الرغم من التبسيط الشديد في المعالجة، ومحاولة تقديم ملامح إنسانية لشخصياتهم: فهناك المتجهم القاسي القلب شكري، الذي نراه في مشهد يستفز مشاعر كل المشاهدين، وهو يقوم بتعذيب كوهين بوحشية ويريد الفتك به، لو لا تدخل زياد، مع ملاحظة الفارق في التكوين الجسماني بين الرجل والأسير: فالأول ضخم الجثة، فظ الملامح، والثاني ضعيف البنية، بريء السمات.

ويحتج كوهين على طريقة معاملته لكونه أسير حرب، قائلاً لزياد: إنكم تحاربون كالحيوانات، بينما نقاتل نحن كبشر، وهذا هو الفرق بيننا وبينكم. ويرد عليه زياد بقوله: وهل هذه الحرب التي بدأتموها أنتم حرب إنسانية؟ فيكون جواب كوهين: لكنها حرب، وليست عمليات قذرة لقتل الأطفال والنساء في الحافلات العامة. ويجيء الرد الأخير لزياد مزيلاً يدعو إلى الرثاء: إنها إذن الحرب!

وفي مشهد آخر تذهب المجموعة للاحتماء، وقضاء الليلة في قصر فخم هجره صاحبه الذي كان - فيما يبدو - أحد زعماء الميليشيات المارونية في لبنان، ويدور أفراد المجموعة في أرجاء القصر يشاهدون ويتحسسون التحف الثمينة، ويتفقدون مظاهر الثراء البادية في الحمام وقاعة الجلوس في انبهار. إذ يبالغ الفلم كثيراً في تصوير تكالب المجموعة الفلسطينية على الطعام والخمر، ومشاهدة الشرائط الجنسية: دلالة على همجيتهم وتخلفهم. ويؤدي انشغالهم بالمتع البدائية إلى قيام الأسير كوهين بمحاولة الهرب.

ومقارنة بسلوك الفلسطينيين نرى كوهين يتصرف بدراية ووقار وبساطة، بل يعلمهم كيف يستخدمون جهاز الفيديو، ثم جهاز التلفاز لمشاهدة مباريات كأس العالم. وفي مشهد آخر يجبره الفلسطينيون على التبرز في مكان عام، بينما يصر هو على ضرورة الحصول على «ورق التواليت» أولاً. وعندما يسخر منه الفلسطينيون يضطر في النهاية إلى استخدام بطاقات المباريات.

وبدلاً من تركيز اهتمام المشاهدين في طبيعة الصراع الدائر في لبنان، يتجاهل الفلم أي إشارة إلى الدور الإسرائيلي في

أول فلم تناول بشكل مباشر الشخصية العربية الفلسطينية بوصفها طرفاً رئيساً في الصراع، هو فلم «الخماسين» إنتاج عام ١٩٨٢م

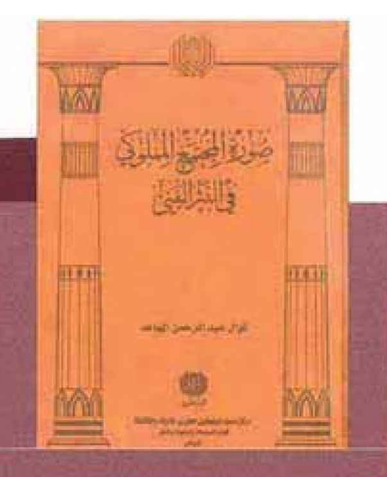
لبنان، ولا يقدم أي مشهد للعمليات الإسرائيلية، ثم يقلب القضية عندما يجعل كوهين الضحية المسكينة في أيدي أغلبية شديدة البأس ومسلحة، مستخدماً ضعف بنية الممثل الكوميدي؛ لإثارة تعاطف المشاهدين معه، خصوصاً أن الدور مكتوب من البداية له.

في النهاية يقرر زياد عبور الطريق المحفوف بالمخاطر، على الرغم من تحذير كوهين له من احتمال الاصطدام بالجيش الإسرائيلي، ويحدث ما كان متوقعاً. ويقتل الجيش الإسرائيلي جميع أفراد المجموعة ما عدا زياداً الذي يصاب بجروح، وتحرر الرهينة من الأسر، في الوقت نفسه الذي نشاهد فيه نهاية كأس العالم، يفوز الفريق الإيطالي، ويهرع كوهين في المشهد الأخير إلى نجدة زياد، والاستيثاق من أنه لايزال على قيد الحياة.

لا شك في أن «نهائي الكأس» يتميز بكونه من الأفلام الإسرائيلية التي تحتل فيها الشخصيات الفلسطينية مساحة كبيرة نسبياً، ويدور الحديث فيما بينهم بالعربية، وبينهم وبين الإسرائيلي بالإنجليزية، إلا أن التركيز الأساسي ينحصر في فكرة أن الأسير يستطيع أن يجعل من الذين أسروه أسرى له على نحو ما، وأن الحرب الدائرة بين كلا الطرفين ليست سوى حرب عبثية لم يخترها طرف منهما.

وتظل الصورة الإنسانية الإيجابية التي يقدمها الفلم للجندي الإسرائيلي في النهاية هي الأهم، والأكثر قدرة على البقاء طويلاً في أذهان المشاهدين، ولعل هذا هو ما دفع الناقد الإسرائيلي هليل تريستر إلى أن يكتب في صحيفة جوزاليم بوست: ربما يحقق فلم «نهائي الكأس» قفزة للفلم الإسرائيلي، لسببين مختلفين تماماً: الأول: أنه يصور إسرائيلياً أسيراً في أيدي الفلسطينيين (واحد منهم فقط يتحدث العبرية)، ويدور جانب كبير من الحوار بالإنجليزية، وإذا كان هذا العامل الذي يساعد على توزيع الفلم قد استخدام في الماضي، فإنه نادراً ما استخدم في سياق درامي منطقي لمصلحة، كما هو الأمر في هذه الحالة.

والسبب الثاني: هو التخلص التام من النمطية بالنسبة إلى العرب، فالذين أسروا كوهين ليسوا أقل منه إنسانية، وبالمصادفة فإن شخصية كوهين - الذي هو ضحية ظروف ليست من صنعه - قد تكون أيضاً ميزة بالنسبة إلى طريقة استقبال الجمهور الأجنبي الشخصية الإسرائيلية عند عرضة الفلم في الخارج.

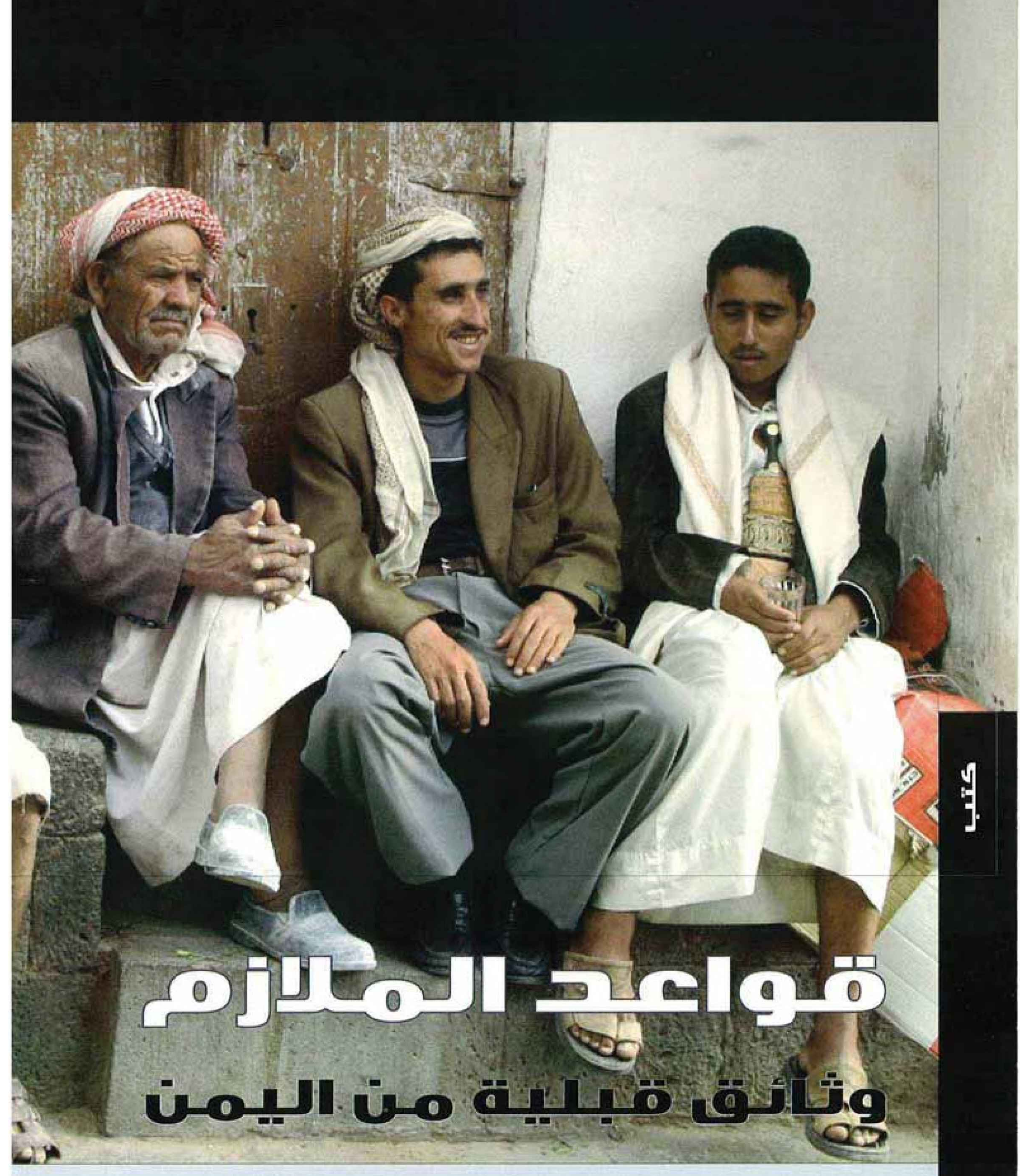


المجاهد، نوال عبدالرحمن/ صورة المجتمع المملوكي في النثر الفني، دراسة موضوعية وفنية. ـ الرياض، مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٣٤٤ص.

يعدّ هذا الكتاب مرآة صادقة عن المجتمع المملوكي، أبانت فيه المؤلفة عدة جوانب في أدب العصر المملوكي، وكشفت عن نمط الأوضاع المعيشية والاجتماعية خلال عصرين مديدين قاربا مئتين وخمسة وسبعين عاماً، وشمل مملكتين ازدهرت فيهما العلوم والمعارف، وهما مملكتا مصر والشام، وقد استنطقت فيه عدداً وافراً من النصوص التي خلفها لنا أعلام الأدب والتاريخ وغيرهما، وأبرزت من خلال ذلك كله نتاجاً قيماً لأدباء ذلك العصر.

يقع الكتاب في أربعة فصول، ومقدمة، وتمهيد، وخاتمة، جاء فصله الأول بعنوان: «فنون النثر الفني في العصر المملوكي وخصائصه»، وتناولت في الفصل الثاني: العادات والتقاليد، والأخلاق، واللهو والعبث، والزهد والتصوف، وجاء الفصل الثالث عن: المعاني والأفكار، والعاطفة، والألفاظ والتراكيب، والصور الفنية، والمحسنات البديعية، واقتصر الفصل الرابع والأخير على آراء النقاد والباحثين، وشمل الجوانب الموضوعية والفنية.

وأوردت المؤلفة في الخاتمة أهم نتائج البحث التي وقفت عليها الدراسة، ومن ضمنها أن هذا العصر قد أنتج جملة لا تحصى من ألوان الفنون والعلوم المتخصصة في مختلف الميادين المعرفية، على الرغم من وصفه بعصر الانحطاط والانحدار. أما التقويم الفني للأدب في هذا العصر، فهي لا تنكر تدني المستوى الإبداعي، لتغلغل الشوائب الفنية فيه، وهو ما غضّ من قيمته وجودته بشكل عام.



قواعد الملازم

وثائق قبلية من اليمن

بول دريش

عرض وتعليق: سلطان سعد القحطاني

الرياض - السعودية

تعدّ الأعراف القبلية في جنوب الجزيرة العربية متقاربة، إن لم تكن متطابقة في كثير من الأحيان. وفي كل الأحوال لا تخرج عن الشريعة الإسلامية؛ بحكم توارث الدين الإسلامي. وما بقي من العقلانية العربية قبل ظهور الدين الحديد في القرن السابع الميلادي، مصداقاً لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيما أقر من أخلاق العرب الحميدة : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وقد اتفق العرب في الجزيرة العربية على تحديد المواطن التي يتجمع فيها السكان ممن ينتمون إلى عصبية واحدة، ومن يدخل معهم في [illegible] اليومية، من الجيران والعاملين في خدمتهم؛ وعندما نعود بهذه الوثائق عن تلك الأعراف والسلوك العام والملازم إلى العقلانية، نجدها مما أقره الدين الإسلامي لانطباقها على العقل في حماية المظلوم ورد الظالم عن ظلمه؛ وقد أهملت هذه المواثيق في ظل وجود الحكومات التي اكتفت بقوانينها ومحاكمها المستمدة من صلب هذا القانون القبلي في كثير من الأحيان، لكن الحاجة تستدعي ظهورها من حين إلى آخر في المجتمع القبلي، لكونها حلولاً لبعض المشكلات التي تطرأ على مجتمع أو قبيلة ما، فلا نجد - في الأغلب - محكمة إلا وفيها دائرة مخصصة للصلح، وفي بعض البلدان في الجزيرة العربية نجد محكمة للبادية، تطبق الشرع من خلال المواثيق العرفية على النصوص الشرعية؛ وفي جنوب الجزيرة العربية توجد هذه المواثيق، إما متوارثة بالمشافهة أو مكتوبة. وهذا لا يعني أن بقية أجزاء الجزيرة العربية تخلو من هذه الأعراف، بل إنها لا تزال - وستبقى - متداولة عند القبائل، فيما يتعلق بالضمان والجار والوجوه والشأن والديات.. وما يتعلق بحياة الناس اليومية في المعاملات، والخصومات، والصلح، مما تقره المحاكم الشرعية في الحقوق العامة والخاصة؛ وأهمل الباحثون العرب هذه الجزئيات المهمة في دراساتهم المجتمعية، وتولى هذه المهمة الصعبة الباحثون الأجانب، وتجشموا عناء السفر والغربة وارتياد المجهول؛ فصاروا رواداً في هذه المجالات التراثية، وخصوصاً في اليمن؛ لأنها مرتع خصب لهذه الدراسات من حيث [illegible] في هذا المضمار، وخروج كثير من أفراد قبائلها إلى [illegible] أخرى من أقطار الجزيرة العربية يحملون معهم هذه الأعراف إلى اليوم والغد، وكثير من الوثائق لا تزال مكتوبة عند شيوخها وبعض الدوائر الحكومية فيها بجانب الآثار، التي كان للغربيين قصب

الريادة فيها منذ القرن الثامن عشر. وتعدّ هذه الملازم التي قام بدراستها وتحليلها الباحثون الأوربيون والأمريكيون وثائق اجتماعية مهمة في كثير من المجالات. كان العرب أولى بدراستها والاستفادة منها في مختلف الشؤون الخاصة والعامة.

ويعد الدكتور (بول دريش Paul Drech) - الأستاذ في جامعة أكسفورد - من أكثر الباحثين الأنثروبولوجيين الذين درسوا اليمن. من حيث التاريخ والجغرافيا. فقد درس من قبل تاريخ اليمن. وأصدره في كتاب بعنوان (تاريخ اليمن الحديث) أصدرته جامعة (كامبردج) عام ٢٠٠٠م، وكتاب (القبيلة والتاريخ: حكم في اليمن) أصدرته جامعة (أكسفورد) عام ١٩٨٩م. كما أصدر دراساته التي عني فيها باليمن بالتعاون مع آخرين من الباحثين في الأنثروبولوجيا. مثل: (الأمراء والرؤساء)، و(الممالك والشعوب)، و(العولمة والهوية في دول الخليج العربي)، وغيرها من الدراسات منفرداً أو مع آخرين. ودراسته هذه تركز في جزء مهم من أجزاء اليمن. في جنوب الجزيرة العربية. ولعل دراسته هذه لا تبتعد - كثيراً أو قليلاً - عن الدراسة التي قام بها عالم الآثار الألماني (كلاوس شيبمان)، والتي ترجمها الدكتور فاروق إسماعيل، وقرأت ملخصها باللغة العربية؛ لعدم معرفتي اللغة الألمانية. وتختلف دراسة شيبمان عن دراسة دريش بعمومية الأولى، وتخصصية الثانية. وعلى أي حال فالدراسات يكمل بعضها بعضاً. فدراسة دريش تختص بمنطقة (برط). وقد أحسن الباحث في بداية دراسته عندما حدد هذه المنطقة إقليمياً؛ فسهل بذلك معرفة الأعراف القبلية المتوارثة على مد التاريخ، المتأثرة ببعض الأعراف المجاورة، من الناحية الإقليمية من جهة، وبعرف القبيلة - مهما نأت بها المسافات عن أصولها الجغرافية - من جهة أخرى. والقواعد والأعراف الملزمة للفرد والجماعة، التي درسها الباحث لا تعني أنها مقصورة على هذه البقعة من الأرض، من دون تطبيقها على القبائل والجماعات المجاورة والمهاجرة إلى بلاد أخرى. فالعرف يلزم الإنسان أكثر مما يلزم البقعة الجغرافية؛ والمنطقة التي درسها الباحث محاطة بعدد من القبائل التي تشترك معها في كثير من الملازم والقوانين، وتختلف عنها بما شرعته لنفسها من بعض القوانين. ولكل قبيلة أعرافها.

وسنحاول في هذا العرض الموجز أن نبين ما تعرض له الباحث من وثائق اعتمد فيها على الدراسات السابقة بشيء من التحليل. وعلى دراسته الميدانية التي عايش فيها أهل هذه المنطقة، وعرض وثائقهم، فيما يتعلق بنظام الأسواق، والديات، والخصومات، والحدود، والزراعة. وقد قصرت العرض على خمس وثائق؛ لشموليتها بقية الوثائق:





ملابس تقليدية وجانب من حركة البيع في السوق

على الرغم من هجرة البرطيين إلى داخل اليمن منذ القدم، فإنهم لايزالون - كعادة أهل اليمن - يحتفظون بنسبتهم إلى موطنهم الأول (برطي)

١- الحدود:

حدد الباحث برط، بناء على وثيقة كتبت في سنة ١٢٣١هـ - عام ١٨١٦م، ولا تزال سارية المفعول إلى الآن، دونها أعضاء القبيلة، من آل محمد (ذو محمد) وآل سليمان، والعمالسة؛ لحماية حدودهم ضد قبيلة (دهم) وغيرها من القبائل المجاورة، وقد سرى هذا القانون العرفي في تحديد الحدود بين هذه القبائل - حتى في وجود الحكومات الشرعية - من جهاتها الأربع، حسب الوثيقة المرفقة، وهذا نصها كما كتبت:

«حضروا × ذو محمد وتراضوا بما يرضي الله سبحانه وتعالى بجمع رأيهم على حفظ حدودهم وقدمت الوجيه× منهم بما ذكر... وتواجبوا× على رضاء الله سبحانه فيما بدا عليهم في حدودهم المعروفة لديهم أولاً من جهة القبلة مجرا× الوادي في العطف مصبابة الحجر من مضيق خزام ومشرق المعروف بينهم وأعشار القيل القبلية ومن جهة الشرق حيث نقيلة القطار جايزة بينهم وبين الأعشار وذلك غاية الرباع الجامعة لهم حد دهم ومن الشرق أيضاً الهضبة وأم الشداد ومن جهة يمن شعفة أسحر الملاقصة وادي حبش ومن جهة الغرب الجبل المغلوق»[٣]. وعلى الرغم من هجرة البرطيين إلى داخل اليمن منذ القدم، فإنهم لايزالون - كعادة أهل اليمن - يحتفظون بنسبتهم إلى موطنهم الأول (برطي)، فمنهم من عمل بالتجارة وأثرى، حتى عد من كبار ملاك الأرض والعقار، خصوصاً بعد العهد القاسمي عام ١٨٥٠م، ومن الذين برزوا في هذه المجالات (السياسة والتجارة وحيازة الأرض، على سبيل المثال) آل جزيلان، وأبو رأس، حيث أصبحوا من كبار الملاك في اليمن الأسفل، وعندما قتل الأتراك حسن قايد أبو رأس، في ع م ١٩١٧م، هب البرطيون للثأر، حسب ملازيم القبيلة، واستقر بعضهم حول (جبلة وإب)، وهذا دليل على أن القبيلة تحمل تقاليدها وأعرافها في كل مكان.

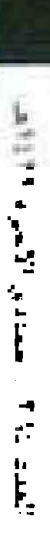
من سرق في حرم السوق شيئاً فعليه أن يعيده ومعه مثله، فإن كان السارق محمدياً فليس له صاحب ولا أخ، حسب قواعد السوق

٢- الرفق

قانون استنته القبائل لحماية المسافر والضيف والجوير (الذي يلجأ إلى شخص آخر يطلب الحماية)، في غياب الدولة المنظمة، أو في وجود الدولة حتى يصل إلى حماية قوم آخرين، أو يسلم إلى العدالة في حالة الجرم، ومن الوثائق والقواعد ما يؤكد حرص القبيلة على سمعتها في الحماية، وذلك دليل على قوتها وعدلها، وأنها قادرة على حماية نفسها ومن تعلق بها، ومن جانب آخر تكون عوناً للدولة على حفظ الأمن والأمان، تقول إحدى الوثائق في هذا الكتاب، وهي القاعدة الثانية في ترتيبنا للقواعد الخمس:

«الرفق علقة مسنونة بين القبائل الرفق مسترفق ولا رفيق إلا ما هو رفيق السلامة أما الرفيق المنسحب من جانب رفيقه فما له علقة فلا بيضاء وصفيحته سوداء والبيضاء لمن قام بعلقة المترفق بالوفاء أما المترفق إذا تخلى عنه رفيقه بعد أن حمل رفق وسمع بتهديده ولم يقوم بواجب المترفق فيما ترفق من أجله فقد سقط غرضه× ومن سقط عرضه سقط قبيلته وله شاشة سوداء»(٤). كتبت هذه الوثيقة من قبل (ذو حسين وحمدان) في سنة ١٢٧٥هـ / عام ١٨٥٨م، بوصفها وثيقة قضائية تحفظ حق الرفق (المرافق والمرافَق) والعلقة العرف، وعلى الرفق أن يؤمن سلامة مرافقه حتى يسلمه إلى قبيلة أخرى أو يصل إلى أهله، ومن نقض هذا القانون فوجهه أسود، وسينسحب هذا السواد على قبيلته، والشاشة ترفع في حالتين: الأولى إذا وفى الرفق للرفيق وأدى ما عليه من واجب مفروض - حسب العرف - ترفع له راية بيضاء، والعكس تماماً، ترفع له شاشة سوداء ويسقط حقه عند القبائل، فلا حماية له على أي حال من الأحوال، وقد قام الباحث بشرح هذه الوثيقة، كما شرح غيرها، من واقع دراسته الميدانية لهذه القوانين العرفية المعقدة والصارمة، ولولا هذه القواعد والقوانين لما استتب الأمن في منطقة صحراوية صعبة، وهناك ملازم تحدد بزمن وأخرى بمكان، وتوجد هذه القوانين، كالجيرة التي تحدد عند بعض القبائل بأربعة عشر

الرفق قانون لحماية المسافر والضيف والجوير



شهراً، وهي معروفة عند قبيلة همدان. وفي هذه المدة لا يستطيع أحد التعدي على المستجير أو أي فرد من فروع القبيلة. بما لا يتعارض مع حكم الشرع الإسلامي؛ وقد دعت الحاجة إلى سن هذه القوانين ومعرفتها وما يتعلق منها بالقبيلة الفلانية. حيث تتوارثها الأجيال. ويحدد المسؤول منها من فخوذ القبيلة وبطونها، كالأخماس التي درسها الباحث دراسة مستفيضة عندما حدد قانون السوق. وهي عادة متوارثة عند العرب منذ العصر الجاهلي فيما يخص أسواق العرب قبل الإسلام، وهي من القوانين التي أقرت في الإسلام؛ لشموليتها وخدمتها واتفاقها مع الدين.

٣- ملزمه السوق

للأسواق قوانينها - كما ذكرنا من قبل - وقانون سوق الاثنين في (مدينة العنان) من يربط حدد بحماية أفراد القبيلة من ذو محمد ومسؤوليتهم. وقد قسمهم الباحث إلى خمسة أقسام. كما هو المتفق بينهم (أخماس)، أربعة من القبيلة. والخامس (حلف). والحلف في عرف العرب هو من دخل إلى القبيلة فصار منهم. والمتفرعون من آل محمد: آل دمينة. وآل أحمد بن كول. وآل صلاح. وآل أحمد سويدان؛ أما الخامس. وهم الحلف. فهم: آل موسى، وآل زيد. واتفق الجميع على ما نصت عليه الوثيقة:

«فإنه اجتمع رجال ذو محمد جميعاً وجمع الله رأيهم بأن يعملوا لهم سوق في العنان يوم الاثنين المبارك إن شاء الله وجعلوا لكل لحمة من لحامهم شهراً بأخماس آل أحمد بن كول شهر وآل دمينة شهر وذو مرج وذو عاطف شهر وآل صلاح بن كول شهر ولذو زيد شهر ولذو موسى شهر ». وبعد أن قسمت الوثيقة مسؤولية السوق بين هذه الفئات القادرة على حمايته وتدبير أموره

خلال المدة الممنوحة لكل فئة. ينتقل الباحث إلى ذكر الضمانات التي يضمنها السوق للجيران ومن دخل إليه متسوقاً ليعرف نظامه فيتقيد به. ومن خرج عن هذا القانون سيلاقي جزاءه حسب ما تنص عليه القوانين. من تعد على الآخرين. في أموالهم أو أعراضهم أو ما يسيء إليهم. والمسؤول عن هذا كله الضمناء الذين تحملوا المسؤولية حسب التقسيم السابق. وإذا تجاوز البائع، أو تعدى على الجار أو غيره، فعليه دفع مثلما تعدى فيه إلى أربعة أضعاف: ومن لم يوافق على حكم الضامن، أو يماطل ويتراخى عن تنفيذ الحكم، يستحق أن تنصب له الراية السوداء في هذا السوق وكل الأسواق. ويقوم بنصبها من أخذ حقه في هذا السوق وفي الأسواق الأخرى وفي بلاده. تشهيراً بهذا المخالف للعرف. لكن بعد محاولات الضمناء تسوية النزاع بينهما. فإن وافق المعتدي على دفع الغرامة بطل التشهير.

ونجد المادة الخامسة من وثيقة السوق تتعلق بالوثيقة الثانية، التي تتعلق بالرفق وحماية الجار والمستجير. فقد حددت هذه المادة حماية المتسوق منذ أن يخرج من بيته. والبيت هنا يطلق على المكان. مثل القرية. وأحياناً يكون المنزل. إذا كان من سكان منطقة سوق الاثنين: فالسوق يضمن له سلامته من الاعتداء والسرقة والنهب، أو الاعتداء الجسدي، مثل الضرب والقتل. فقد حددوا لمن يسكن خارج بلادهم خمسة أيام، يوماً للسوق، ويومين قبله، وآخرين بعده: وفي هذه المدة يكون مضموناً ممن عليهم الشهر في ضمان السوق. أما الذين يسكنون قريباً من السوق فلهم ضمان يوم السوق فقط. ونجد أن المادة السادسة من نظام السوق لا تمنع أحداً من التسوق إلا من عيب أهله. فليس له أمان.

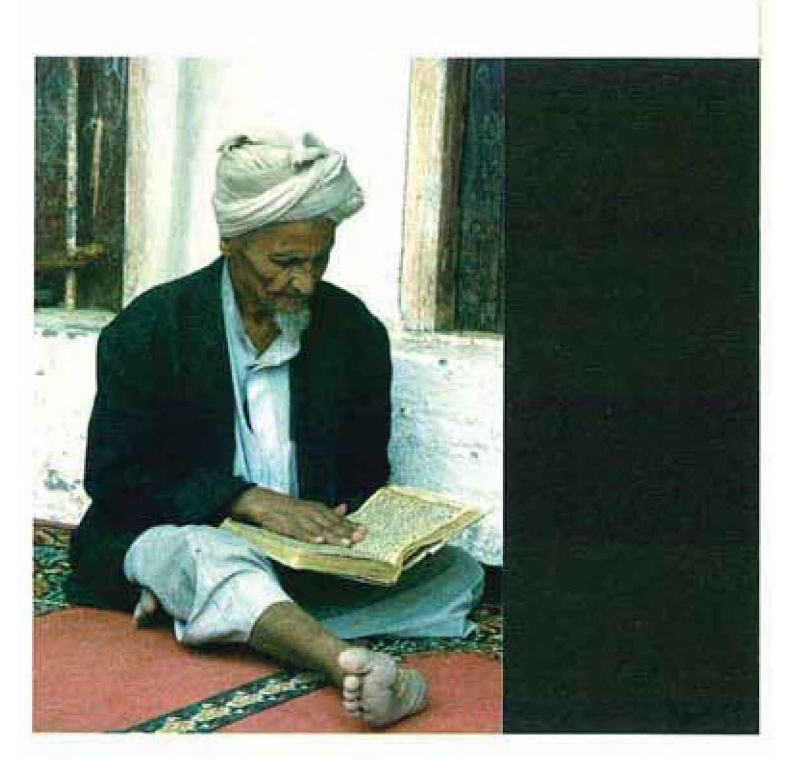
كما تحدد المادة السابعة حراسة السوق على من يضمنونه في كل شهر من السنة. ومن بنى حانوتاً فيه فهو له. ومن تسوق فيه فهو في وجوههم. من سائر الناس.

وقد حددت المادة الثامنة حدود السوق بين ذو محمد من مضور إلى غيب الطويل (إلى قبة الطوال) إلى عروق المقرة إلى خيط الحبل إلى مكان آل مسعود والمبدعة إلى مسحد السايلة (السياقلة) إلى حرث السن (إلى جرب الاسعد) في المختبية ومن قلب الماء من قرادة إلى ذروت (إلى دروب) الخضراء. هذه السوق بين ذو محمد يوم السوق فقط وما حوى داخل هذه الحدود بين المذكورين فهو في وجه صاحب الشهر وغيره في وجيه سائر الضمناء الجيران الا من الغارة يوم السوق على من فعل فيما يُسوّق (من فعل في من يسوق) السوق فامكن اخذه فيه (أخذه منه) وإن لم يمكن فاليوم الثاني في وجه الضمناء الجيران.

اما الفقرة التاسعة من نظام السوق فتتحدث عن الثقات الذين اختارتهم القبيلة ضمناء. فمن حلفوا عليه من الناس يكون مقبولاً عند الجيران يسوقون عنه النقيحة (ما يطلب منه). وهذه الوثيقة تكمل ما قبلها. وتحدد الجزاءات المترتبة على من أحدث شجاراً أو قتل أحداً في السوق من البشر والحيوانات (العقيرة).

وتحدد الوثيقة في بنودها الالتزام بما ورد في الوثيقة الأصلية. وأن من (فسل) أي أخل ببند من بنود الاتفاق من الضمناء (لا يقبل منه صلح إلا ببندقين أو ثلاث أو أربع الجميع حق مائة قرش). ويمكن أن تقبل منه بندق واحدة إذا رضي بذلك ذو محمد أصحاب السوق الأصليون.

وقد حددوا للسوق حرماً، سبق ذكره من ضمن الحدود

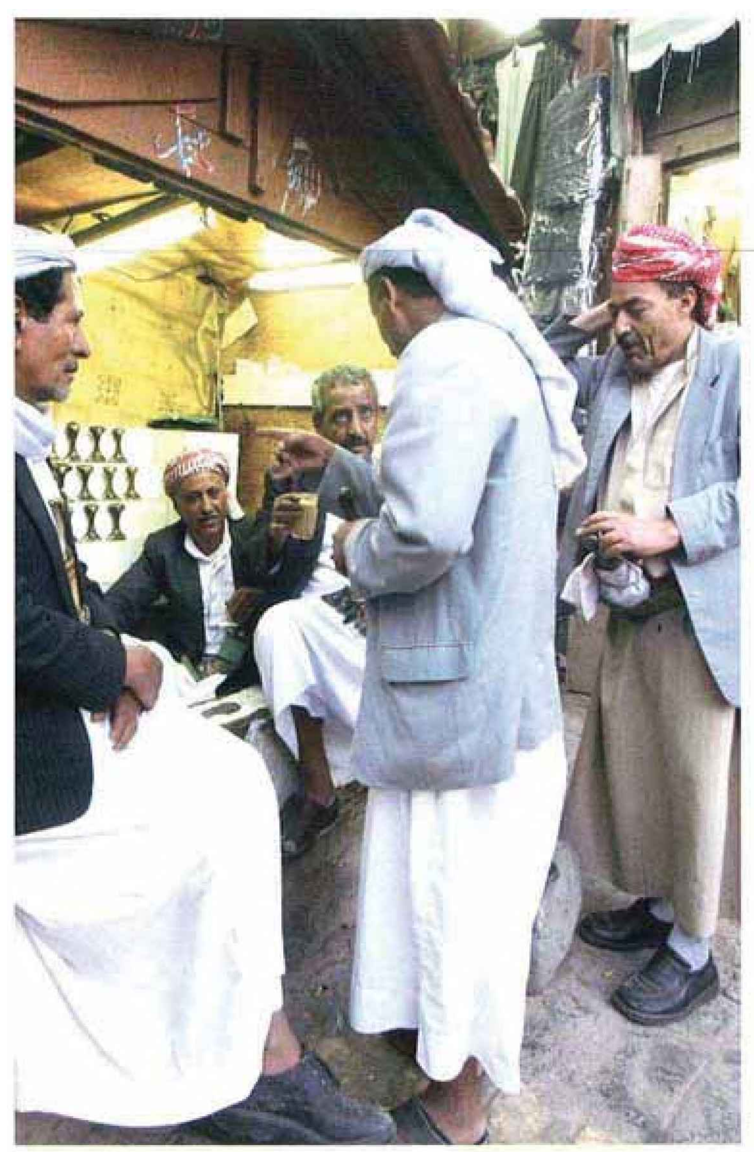


التي حددوا بها السوق، فمن سرق في حرم السوق شيئاً فعليه أن يعيده ومعه مثله، فإن كان السارق محمدياً فليس له صاحب ولا أخ، حسب قواعد السوق، وإن كان جاراً فما له مجورة ولا فيه ثائر، وإن كان من أرباع القبل (من خارج حدود القبيلة) فما له رفيق ولا له معترض (لو أخذ منه شيء لا يطالبون به) إلا بنادقه (جمع بندق) ولا يضمن إلا في حرم السوق فقط.

حررت هذه الوثيقة لأول مرة في سنة ١١٨٥هـ، ونقلت في شهر المحرم سنة ١٢٣٩هـ، وسرى مفعولها إلى الآن، وهناك بعض التعديلات في الغرامات المالية حسب الظروف الاقتصادية، حسبما تقتضيه التغيرات، بما يعادل الثمن، لكن القاعدة الأساسية ثابتة، كما ألحقت الفقرة الثالثة عشرة بالفقرة التي قبلها، مكملة لها في الجزاءات، وشارحة بعض بنودها.

ولعل الوثيقة الرابعة عشرة الملحقة بنظام سوق (مدينة العنان) بيرط قد أكدت للجميع ما اتفق عليه من كبار رجال القبيلة في منطقتهم، حيث اجتمع ذو محمد ومن جاورهم ليقرروا أن من دخل سوق الاثنين محسوب في وجوههم، وأن الوثائق والملازم سارية على الجميع، فقد اتفق الجميع على أن الوثائق صحيحة، وتواجبوا (وتواجب) أجاويد ذو محمد على هذه الزيادة أنها صحيحة على ما رقم فيها وكاتبها النقيب محمد بن عرفج أبو رأس وحضر النقيب محسن بن حسين جزيلان وحسن بن ناصر جزيلان ومقبل بن علي البحر وحسن مفلح عمير وعلي بن حسن علي دمينة(وعلي حسن ابن علي) ويحيى بن أحمد دارس وحسن بن ناصر مضمون ومحمد ابن هادي يعقوب وحسين بن محمد قناف ومحمد بن مهدي قناف والحاج محمد بن أحمد أبو غريبة... هذه الوثيقة تؤكد وتلزم كل فرد بالتقيد بما ورد فيها من بنود، باتفاق كبار رجال القبيلة ومن حالفهم وجاورهم؛ ولذلك تتبعها الفقرة الخامسة عشرة التي اطلع عليها الجميع من ذو محمد وغيرهم، وتؤكد أن لسوق الاثنين حرماً ويجب التقيد بما ورد في الفقرة السابقة، وأنه أمن لكل من دخل في حرمه، ومن لديه أي اعتراض أو إضافة فليتقدم بها. وتعدّ الفقرة السادسة عشرة مكملة الفقرة السابقة عليها، ومؤكدة ما جاء فيها من نصوص تؤكد ضمان السوق لمن دخله.

وتعدّ الفقرة السابعة عشرة من الوثيقة الرئيسة اتفاقاً عاماً بين أفراد القبيلة، ومن جاورهم، ومن حالفهم على الدوام، فقد



للسوق نظامها لدى القبائل اليمنية

خصصت الكفلاء من كل المشتركين في السوق، فبدأت بآل أحمد بن كوّل، من حضر منهم ومن لم يحضر، والحاضر كافل للغائب.

ثم الضمناء الجيران من آل دمينة، وقدم كل منهم صاحبه وكفله، من حضر ومن لم يحضر.

ثم الضمناء الجيران من ذو زيد، وقدم كل منهم صاحبه وكفله، من حضر ومن لم يحضر.

ثم ضمناء ذو موسى، وقدم كل منهم صاحبه وكفله، من حضر ومن لم يحضر.

وبهذا العقد القبلي الصارم يكون المجتمع في هذه البقعة الجغرافية مسؤولاً عما ورد في بنود السوق وغيره مما سنأتي عليه من اتفاقات عرفية سارية على الجميع.

٤ - الهجرة



من يدخل السوق عليه أن يراعي أنظمتها

هذا القانون الساري في السوق يماثله قانون (الهجرة). وتعني الإقامة بعد الترحال، في مجمعات سكنية، يكون فيها ضمناء لمن يعبث بأمنها، أو يتعدى على الآخرين في أموالهم أو أعراضهم . ومن قتل على (محض النقاء)، يعني في فعل مُشرف، مثل الدفاع عن النفس أو المال أو العرض، فله أن يستجير بأول (درك): أي عند أول من يجده من القبائل. وله في هذه الجيرة مدة خمسة عشر يوماً، ومثل ذلك في الرفق، وللقاتل أن يتحرك لمدة ثلاثة أشهر في وجه الضمين (بحصانة). وتعني ضمان الحق حتى يفصل القضاء في أمره.

هذه قوانين وأعراف متفق عليها بين القبائل، تختلف في آلياتها بين قبيلة وأخرى، لكن مضمونها واحد في كل الحالات. وتتشابه الأعراف في كثير من مناطق الوطن العربي، وخصوصاً في الجزيرة العربية، التي ورثت هذه القوانين من سالف الدهر، فمن أكل في منزل أحد صار له عليه الفضل، حتى لو لم يكن محتاجاً إلى ذلك، ومن رافق أحداً في طريق، أو اشترك معه في بضاعة، صار رفيقاً له. كل هذه القوانين - وما شابهها - موجودة عند القبائل، وإنما الفرق في تطبيقها ومددها الزمنية، وما يترتب عليها من

على الرفق أن يؤمن سلامة مرافقه حتى يسلمه إلى قبيلة أخرى أو يصل إلى أهله، ومن نقض هذا القانون فوجهه أسود، وسينسحب هذا السواد على قبيلته

تكاليف مالية . كما أن هناك قوانين متداخلة بعضها في بعض فيما يتعلق ببناء منزل أو هدمه. وفيما يتعلق بالقتل غير المتعمد. فعليه يمين: يحلف المتهم وقبيلته أربعاً وأربعين يميناً. والنقاء (البريء) اثنين وعشرين يميناً. ومن طرد مطية (ناقة أو جمل) من المرعى أو من الماء وماتت تحملها. وإذا اشترك اثنان في القتل - واحد امسك بالمقتول. والآخر طعنه - تكون الدية ثلاث أثلاث: ثلث على القابض. وثلثان على القاتل. وهناك كثير من هذه الجزئيات المتعلقة بالجنايات. وبالمختصر: كل يتحمل ما قدمت يداه.

٥- ملازم الرعي والزراعة

لا تعتمد برط على الأمطار الموسمية بدرجة كبيرة. كما هي الحال في كثير من بلاد اليمن. فبعضها جبلية تعتمد على مياه الأمطار. وبعضها سهول تعتمد على مياه الآبار الجوفية. فمنها (المقصور). وجمعها مقاصير. ومنها تتفرع (المحاجر) جمع محجر: وهو ما يحجر الماء في مكان معين للاستفادة منه في الزراعة. وللضرورة أصبح هناك ما يسمى بنظام الحجر. وللحجر في برط وقتان خلال العام. الأول من الصيف إلى ما قبل الخريف. عندما تنتهي الزراعة. ويسمى (يباح). مأخوذ من الإباحة. بمعنى: انتهى حجرها إلى هذه المدة. والثاني من الخريف إلى ما بعد (علان) عندما ينتهي نجم (الخميس) خامس علان بداية شهر سبتمبر. وسادس علان ينتهي أوائل شهر أكتوبر. عندما تكون أجزاء اليمن مستعدة تقريبا لحصاد الذرة: وهذا التاريخ ليس بالضبط. لكن الحجر يتوقف على كثرة الأمطار من قلتها. وطوال هذه المدة تكون الأرض تحت أنظار أصحابها. ومن الملازم التي تتعلق بالأرض ما يتعلق بالشجر. كثروة تجب المحافظة عليها: لذلك وضعت لها القوانين. فهناك قواعد تمنع قطعها والإسراف في استهلاكها. إلا في حالات تدعو إليها الحاجة: بشرط ألا تكون خضراء. فالخضراء للرعي. وليست للاستهلاك والتجارة: فتحظر القوانين الملزمة لكل الناس قطع الشجر أو فروعه. إلا ما تدعو إليه الحاجة. فعندما تتهدم بئر أحد الساكنين ويحتاج إلى طيها وإعمارها. فله أن يأخذ ما يحتاج إليه من الشجر. وعندما يحتاج أحد من البادية إلى استعمال الحطب في الطبخ والتدفئة: فلا مانع من ذلك. ويوجد هذا النوع من الأشجار في وادي النيل الواقع بين برط والمراشي على مسافة عشرين كيلو متراً من الواديين. وهذا الوادي يتبع ذو محمد. الذين مر ذكرهم في هذا الكتاب: لذا عليهم حمايته من أيدي العابثين. وأسفل الوادي مخصص للرعي. ومعظم الوادي تابع لذو زيد: ولذلك من حقهم أخذ الأشجار الميتة للتصرف فيها. ولم يمنع القانون الرعي في الوادي. شريطة عدم العبث بأشجاره المعروفة. من الطلح والقرض وغيره[.].

وفي نظري لولا هذه القوانين والأعراف القبلية لم يتوطد الأمن في المجتمعات القبلية وما جاورها في العهود القديمة. كما أن هذه الأعراف قد حلت كثيراً من المشكلات التي تواجه إنسان هذه التجمعات.

وبعد: فهذا بحث قام به الباحث الأنثروبولوجي (بول دريش) من جامعة أكسفورد البريطانية. وقد قضى فترة زمنية ليست بالقصيرة مع هذه القبيلة. وملاحظاتنا عليه لا تقلل من قيمته. فهو البحث الذي تحتاج إليه المكتبة العربية. سواء عن هذه القبيلة وموطنها وأهلها. أو عن كثير من القبائل فيما يخص أعرافها. التي صدرت عن تجربة ذاتية. وحاجة ملحة. لضمان أمنها واستقرارها. ومعرفة هذا الإرث الكبير المتناقل من جيل إلى جيل. فربما يأتي عليه زمن لا يوجد منه شيء. كما أنه يفيد المجتمع

الهوامش والمراجع

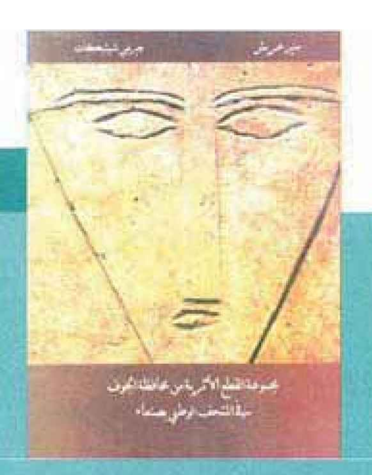
١ رواه البخاري ومسلم.
٢ الدكتور: كلاوس شيبمان (تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية) ترجمة الدكتور: فاروق إسماعيل. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء عام ٢٠٠٢م.
٣ بول دريش. قواعد الملازم. ص ٥٥. المعهد الألماني للآثار والمعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية. صنعاء.
• الوثيقة رقم : . أعيدت كتابتها في سنة ١٣٧٧هـ/ عام ١٩٥٧م.
• في الوثيقة هكذا. والصحيح (حضر).
• في الوثيقة هكذا. والصحيح (الوجوه)
تواجبوا أي أدوا ما عليهم من واجب تجاه الوطن والقبيلة. بما يملكون من معلومات ترضي الله. فلا يظلمون أحداً. ولا يرضون لأنفسهم بظلم.
معرا. هكذا وردت في النص. والصحيح (مجرى). والقبلة - هنا - لا تعني التعريب. كما هو معروف عند أهل وسط الجزيرة. بل تعني الشمال. لأن الشمال جهة القبلة بالنسبة إلى مكة المكرمة والمشار القبل القبلية (أسماء مواضع معروفة لهم).
نقيلة القطار حابزة بينهم: تعني أن هذا الموضع يفصل بينهم وبين الأعشار. وهي تحدد لهم حداً دائماً.
الهضبة وأم الشداد أماكن معروفة لحدود القبيلة.

في معرفة تراثه. أما الوثائق فتحتاج إلى صياغة جديدة، فمعظمها كتب بلهجة شعبية ومصطلحات محلية تصعب على المتلقي معرفتها؛ كما أنها متطابقة مع النصوص الشرعية، سواء منها ما ورد في القرآن الكريم، أو ما جاء في اجتهادات الفقهاء، لكنها بحاجة إلى مقارنة علمية، يستفيد منها الطرفان.

وأخيراً، هناك نقطة ثالثة تتعلق بالوثيقة نفسها، فيجب تجديد ما ورد فيها من تعويضات مادية، ولا يعني ذلك إلغاء النص الأصلي، بل مقارنته بسعر اليوم حين كتابة البحث، فالقرش الذي ورد في كثير من التعويضات ليس له قيمة في هذا الزمن، والتعويض بالماشية -من الإبل والغنم وغيرهما- لا يحكم به اليوم، بل بالنقد، ودية غير المسلم تغيرت أحكامها (العرفية والشرعية).

وعلى أي حال، فالبحث مهم جداً، ويحتاج من الباحثين العرب في هذا المجال إلى تطويره ودراسته دراسة عربية تحتاج إليها المكتبة في البلاد العربية اليوم أكثر من أي وقت مضى. إما

- وردت (الملاقصة)، وأعتقد أنها الملاصقة لوادي حبش، يمن: تعني الجنوب.
٤- بول دريش، المصدر السابق، ص ٨٥.
* لم يقوم، هكذا وردت في النص، والصحيح (لم يقم).
* وردت (صقط)، والصحيح (سقط).
٥- بول دريش، المصدر السابق، البند الأول من بنود وثيقة سوق الاثنين، ص ١٤٦.
٦- لم تؤرخ الوثيقة، لكنها سابقة للوثيقة الملحقة في البند العاشر التي أرخت في سنة ١٢٢٥هـ، وفيها إلحاق لبعض البنود حسب ما طرأ على فعاليات السوق.
٧- هذا البند يحدد مسؤوليات القائمين على السوق في كل شهر من شهور السنة، ويضع الحدود لهذه المسؤولية. انظر الفقرة رقم ١٠ من الوثيقة الأصلية.
٨- انظر، ص ١٤٨، المصدر السابق.
٩- المصدر السابق، ص ١٤٩، وقد حررت هذه الوثيقة في سنة ١٢٧٥هـ.
* تفيد عبارة (قدم صاحبه وكفله) كل أفراد الأسرة أو العائلة أو القبيلة.
١٠- انظر ص ١٠١ – ١٠٨.
١١- انظر الصفحات من ١٧٧ إلى ١٨٢.
١٢- انظر ص ٥٥ وما بعدها.



عربش، منير وجيريمي شيتيكات/ مجموعة القطع الأثرية من محافظة الجوف في المتحف الوطني بصنعاء.. صنعاء: منظمة اليونسكو، ٢٠٠٦م. ٣٥١ص.

موضوع هذا الكتاب هو نشر ٢٩٨ قطعة أثرية ونقشية من محافظة الجوف، وهي جزء من مجموعة مكونة من ٥٠٠ قطعة موجودة الآن في المتحف الوطني بصنعاء، وقد تم اقتناء هذه القطع من أهالي محافظة الجوف في يونيو عام ٢٠٠٤م، في إطار مشروع إنقاذ موقع السوداء والذارء، نشان، قديماً.

ويبلغ عدد القطع المنشورة في هذا الكتاب مئتين وثماني وتسعين قطعة، من ضمنها اثنان وخمسون قطعة فخمة، وثمانية وأربعون حجرًا منقوشًا، ومذابح، وموائد، وأيضاً ثلاثة عشر تمثالاً لأشخاص، وحيوانات، وثلاث قطع برونزية، وستة وثلاثون إناء منزلياً، وثماني وأربعون فخارية، ومئة وستة وأربعون شاهد قبر.

أما بقية القطع المتكونة من مئة وثلاثين نقشًا خشبيًا، واثنتين وسبعين فخارية، فقد تعذر نشرها في هذا الكتاب؛ لأنها تحتاج إلى دراسة دقيقة، وهي مازالت قيد الترميم، وسيتم نشر كتاب خاص باللغتين العربية والفرنسية بهذه القطع المهمة.

ويعدّ هذا الكتاب دراسة أولية لهذه القطع، يدخل ضمن مشروع بحث علمي واسع، وقد تم ترقيم القطع وإعطاؤها اسم «الجوف»، وسنة الاكتشاف (٠٤)، تليها الأرقام بالتسلسل (١، ٢، ٣، ٤، .. إلخ)، وتعطي النصوص والتعليقات التي ترافق القطع المعلومات المطلوبة من وصف القطعة، ومقاساتها، ومصدرها، وتاريخها.

صدر الكتاب باللغتين العربية والفرنسية، وقد احتوى على صور القطع موضوع الدراسة.



مركز الملك فيصل ومدينة الملك عبدالعزيز يعززان التعاون على نشر الثقافة العلمية

وقع صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - ومعالي الأستاذ الدكتور محمد السويل - رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية مؤخراً اتفاقية تعاون بين مركز الملك فيصل ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية؛ وذلك بحضور الدكتور يحيى محمود بن جنيد - الأمين العام لمركز الملك فيصل - والأستاذ نايف الضيحط - مدير تحرير مجلة الفيصل العلمية.

وتهدف الاتفاقية إلى الارتقاء بمستوى الوعي المحلي والإقليمي بشأن القضايا ذات الصلة باهتمامات الطرفين وتخصصاتهما. كما تهدف الاتفاقيه إلى تعزيز التعاون العلمي بين الجانبين، وتطوير المشروعات المعرفية، ورفع كفاءة الكوادر البشرية، وتنويع مصادر البحث أمام الباحثين، وتحقيق المعرفة وتوفيرها وتنميتها للجميع.

واتفق الطرفان على وضع دراسات عن الثقافة العلمية في المملكة، وعلى دعم مجلة الفيصل العلمية الصادرة عن المركز التي تعنى بنشر الثقافة العلمية، وتهدف إلى تبسيط العلوم للقارئ غير المتخصص. كما اتفق الطرفان على إقامة دورات عن التحرير العلمي، وعن التوعية العلمية.

وتنص الاتفاقية على أن يعمل الطرفان على التعاون في مجال نشر الكتب العلمية التراثية وترجمتها الى اللغات الأجنبية. والتعاون على تنظيم الندوات والمحاضرات والمعارض العلمية بهدف نشر الثقافة العلمية.



يشار إلى أن المدينة نظمت مؤخراً ندوة عن الثقافة العلمية تحدث فيها الأمير تركي الفيصل عن دور مركز الملك فيصل في نشر الثقافة العلمية. وشارك فيها عدد من المتخصصين في العلوم والأكاديميين المهتمين بنشر الثقافة العلمية.

والجدير بالذكر أن مركز الملك فيصل ومدينة العلوم والتقنية يشاركان في نشر سلسلة (علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب)، وقد صدرت منها ستة أجزاء وتبين دور العرب والمسلمين في علم التشفير. والمتوقع ان تسهم هذه الاتفاقية في تنشيط الاهتمام بالعلوم بين الشباب وغير المتخصصين.

فلسطيني يفوز بجائزة صحفية أمريكية

فاز الصحفي الفلسطيني الشاب محمد عمر المغير، من سكان مخيم بدر للاجئين برفح جنوب قطاع غزة، بجائزة مارثا غيلبورن الأمريكية عن أفضل مجموعة قصص صحفية على مستوى العالم. وجاء فوز المغير بالجائزة عن مجموعة من القصص الإخبارية نشرها في مجلة «تقرير واشنطن لشؤون الشرق الأوسط» الأمريكية باللغة الإنجليزية عن معاناة الشعب الفلسطيني في ظل الحصار، من بينها قصة بعنوان «أريد أن أعيش»، وأخرى بعنوان «أولمرت: أريد أبي». وكان المغير قد فاز في العام الماضي بجائزة إثنيك ميديا Ethnic Media Award بالولايات المتحدة لأفضل قصة صحفية على مستوى العالم عن قصته «شارون.. لماذا هدمت منزلي؟». وقال المغير: إن أهم ما ميز قصصه الصحفية اتصافها بعمقها الإنساني، وملامستها للواقع، ومتابعتها أدق تفاصيل المعاناة اليومية التي يمر بها الإنسان الفلسطيني.

مبادرة إماراتية لحماية الحرف التقليدية

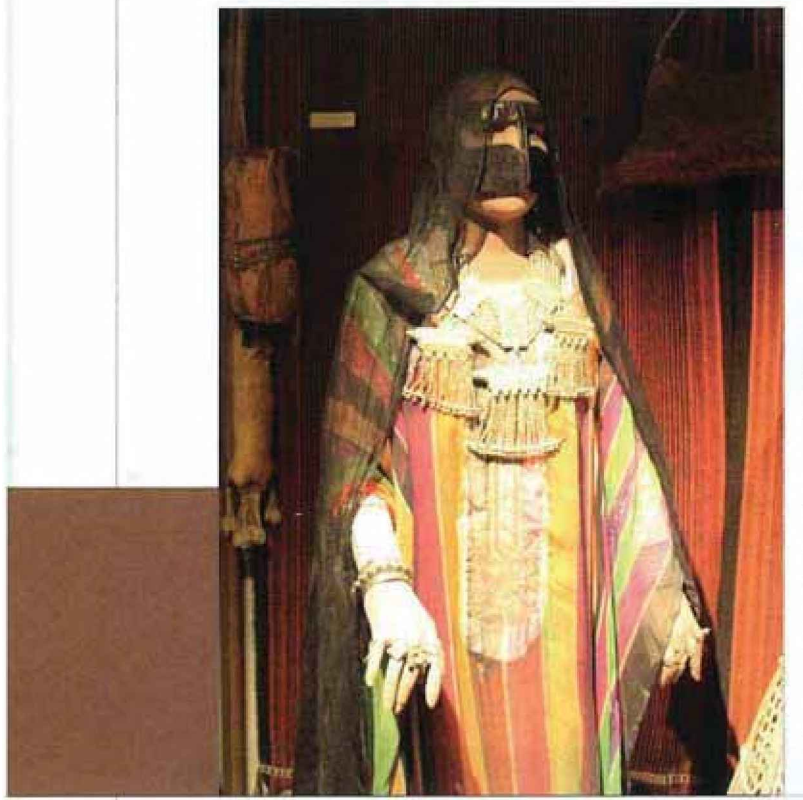
أطلقت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث خطة لصون الحرف اليدوية التقليدية الإماراتية وإحيائها. ويتمثل الهدف الرئيس للخطة في الحفاظ على الحرف التقليدية، وما يرتبط بها من مهارات؛ من خلال تطوير المنتجات الثقافية، وبرامج التدريب ذات الصلة.

وتمثل هذه الخطة مبادرة لنقل القيم والتاريخ المرتبط بكل نوع من أنواع الحرف اليدوية إلى شعب دولة الإمارات العربية المتحدة وزوارها.

وقد دعت هيئة أبوظبي للثقافة والتراث إلى تحديد منتجات الحرف اليدوية القديمة في الإمارات العربية المتحدة، والصور الفوتوغرافية، والمادة الأرشيفية ذات الصلة المحفوظة في البيوت الخاصة وتسجيلها. وهذه المبادرة التي أطلق عليها اسم «تراثنا» تهدف أيضًا إلى التعرّف إلى أصحاب الحرف اليدوية المحتملين من الرجال والنساء، الذين يمكن إشراكهم في إنتاج الأعمال اليدوية، وأنشطة التدريب، وهو عنصر أساسي لضمان استمرارية هذا المشروع على المدى الطويل.

وانطلقت فعاليات مبادرة «تراثنا» خلال الأسبوع الثالث من شهر مايو /أيار عام ٢٠٠٨م في المنطقة الغربية، والعين وأبوظبي، ودامت أسبوعًا كاملاً، وقد تم توجيه دعوات إلى أصحاب المقتنيات لتسجيل أي منتجات حرف يدوية قديمة، يمكن أن تكون محفوظة لديهم في بيوتهم، على ألا يقل عمرها عن ٣٠ سنة.

وتشمل الحرف اليدوية التقليدية في الإمارات العربية المتحدة: الخوص (نسيج سعف النخيل)، والسدو (نسيج الصوف)، والتلي (التطريز)، والأعمال المعدنية، وصناعة الخزف والمجوهرات التقليدية، وعمل الجلود، والأعمال الخشبية، والتنجيد، فضلاً عن أمور أخرى لها صلة بممارسة الصيد بالصقور، والغوص لاستخراج اللآلئ، وتربية الإبل.



قطع موسيقية مجهولة لموزارت في بولندا

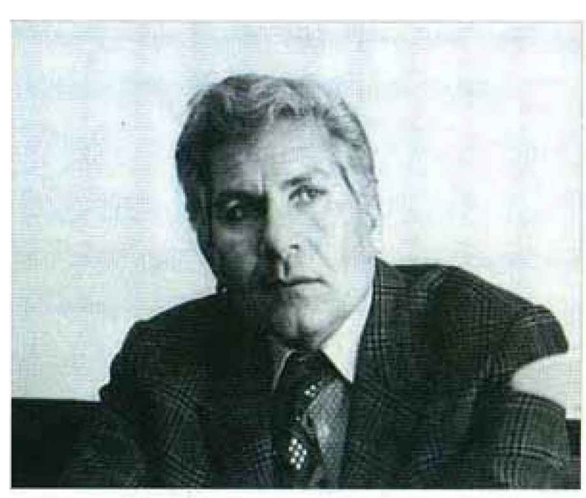
اكتشف فريق من علماء الموسيقا مؤخرًا ثلاث قطع موسيقية مجهولة للموسيقار النمساوي موزارت، في داخل دير للرهبان في جنوب بولندا، وذلك في أثناء إجرائهم دراسة داخل أرشيف دير «جاسنا غورا»، وكانت القطع الثلاث ضمن ١٨ قطعة موسيقية مخطوطة باليد تم اكتشافها.

وقال خبير موسيقي: «إن هذه القطع إذا ثبت أنها لموزارت، فهي ترجع إلى فترة متأخرة من حياته (فترة فيينا)»، مؤكدًا ضرورة إجراء دراسات أخرى لتأكيد ذلك. ويضم أرشيف دير جاسنا غورا نحو ثلاثة آلاف مخطوطة موسيقية وظفتها أوركسترا الدير على مدى زمني طويل.

(الركض في مساحة خضراء) تفوز بجائزة يوسف إدريس

فازت المجموعة القصصية (الركض في مساحة خضراء) للكاتب محمد إبراهيم طه بجائزة مسابقة يوسف إدريس من بين ٦٧ مجموعة قصصية تقدمت إلى المسابقة من مصر والدول العربية.

وجاء في مسوغات نيل الجائزة أن المجموعة الفائزة تقوم على وعي بنائي ناضج، ومعرفة عميقة بالعالم الذي تتناوله، وبقدرة فنية لافتة على صوغ خطاب سردي ينطلق من هذا العالم، ويجسده تجسيداً فنيًا ملائمًا، والقصة إجمالاً استطاعت أن تستكشف لنفسها جماليات خاصة بها، وأن تبلور لتجربتها وتجسد هذه التجربة، وهذا ما يجعلها تنتسب إلى صاحبها وحده.



وكانت لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة قد عقدت ندوة على مدى ثلاثة أيام عن أدب د.يوسف إدريس، برئاسة الدكتور حمدي السكوت - مقرر اللجنة - الذي تناول في كلمته أعمال إدريس وقيمته الإبداعية، التي كان لها تأثيرها في المجتمع، وبخاصة قصصه التي تحولت إلى أعمال سينمائية، وألقت كلمة الأسرة نسمة يوسف إدريس متناولة إنسانيته في بيته، وعلاقته بأصدقائه، ومحبيه، وقرائه.

وشهدت الندوة جلستين ناقشتا ١٠ بحوث تناولت القيم والرؤى الأدبية والاجتماعية في قصصه، وأسلوب البناء القصصي عنده، والأسلوب السردي واللغوي بين المرونة في النص والتكرار في بنية القصة القصيرة، وأعقبت ذلك جلستا شهادات شارك فيهما عدد من الروائيين والباحثين المهتمين بأدب يوسف إدريس، ثم ثلاث موائد مستديرة تناولت يوسف إدريس ومعاصريه، وحال القصة القصيرة من قبله ومن بعده.

البحث عن منقرع في إسبانيا

بدأ -بتعاون مصري إسباني- البحث عن تابوت الملك منقرع - باني الهرم الثالث - قبالة سواحل إسبانيا، بعد مرور أكثر من ١٧٠ عاماً على غرق السفينة التي كانت تحمله إلى بريطانيا. وأوضح د. زاهي حواس - الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار المصرية - أن هذا التعاون تجاوز الإشكالات القانونية الناتجة من أن القانون الدولي يجعل محتويات السفن الغارقة قبالة ساحل دولة ما ملكية خاصة بها، ولا تعود ملكيتها إلى الدولة صاحبة السفينة.

ونوه بروح التعاون التي أبدتها الحكومة الإسبانية، إذ تم الاتفاق على ضرورة عقد اتفاقية مع المستكشف بوب بيلرد الذي عثر على سفينة تايتانيك، والذي يمتلك غواصة تستطيع الوصول إلى أعماق كبيرة للبدء في البحث عن السفينة البريطانية بياترس التي غرقت عام ١٨٣٧م.

يذكر أن المغامر البريطاني هوارد فايس كان بصدد ترحيل تابوت منقرع المنحوت من حجر البازلت الأسود إلى بريطانيا، ولكن السفينة بياترس التي كانت تحمله غرقت أمام السواحل الإسبانية قبل إكمال رحلتها.

افتتاح متحف العلوم الإسلامية في تركيا

افتتح رجب طيب أردوغان -رئيس الوزراء التركي- في ١٩ جمادى الأولى الماضي في إستانبول متحف العلوم الإسلامية والتكنولوجيا التاريخية، الذي يهدف إلى التعريف بالتاريخ العام للإسلام، وبالاختراعات والاكتشافات التي أهداها العلماء والفلاسفة المسلمون إلى عالم التكنولوجيا والعلوم؛ لتصبح فيما بعد مصدر إلهام علمي مهمًا للأبحاث الغربية.

وشهد حفل الافتتاح نخبة من المتخصصين في الآثار الإسلامية من أنحاء العالم الإسلامي كافة يتقدمهم البروفيسور الدكتور فؤاد سيزكين - الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية.

ويشتمل المتحف على مئات المخطوطات، والآلات، في مجالات: التنجيم، والجغرافيا، وعلوم البحار، وفن الهندسة، والخط، والبصريات، والطب، والكيمياء، والمعادن، والفيزياء، والميكانيكا، وتكنولوجيا الحرب، والموسيقا. ويتكون المتحف من ثلاثة طوابق، وهو يحتل مساحة ٥٥٠ر٣ ألف متر مربع. ويضم مكتبة العلوم التاريخية، التي تحتوي على وحدات التفسير، والحديث، والفقه، والمذاهب، والكلام، والتصوف، واللغة العربية. وخصص قسم للفلسفة والعلوم الدينية، يضم بدوره الفلسفة العامة، والفلسفة الإسلامية، وتاريخ الفلسفة، والمنطق، وتاريخ الأديان، وعلم الاجتماع الديني، وعلم النفس الديني، وتعليم الدين.

ويؤكد القائمون على المتحف أن السبب الأهم في افتتاحه هو تعريف الجيل الجديد بكثير من الاختراعات والاكتشافات التي أهداها الفلاسفة المسلمون إلى عالم التكنولوجيا والعلوم لتصبح في ما بعد مصدر إلهام علمي مهم للأبحاث الغربية.

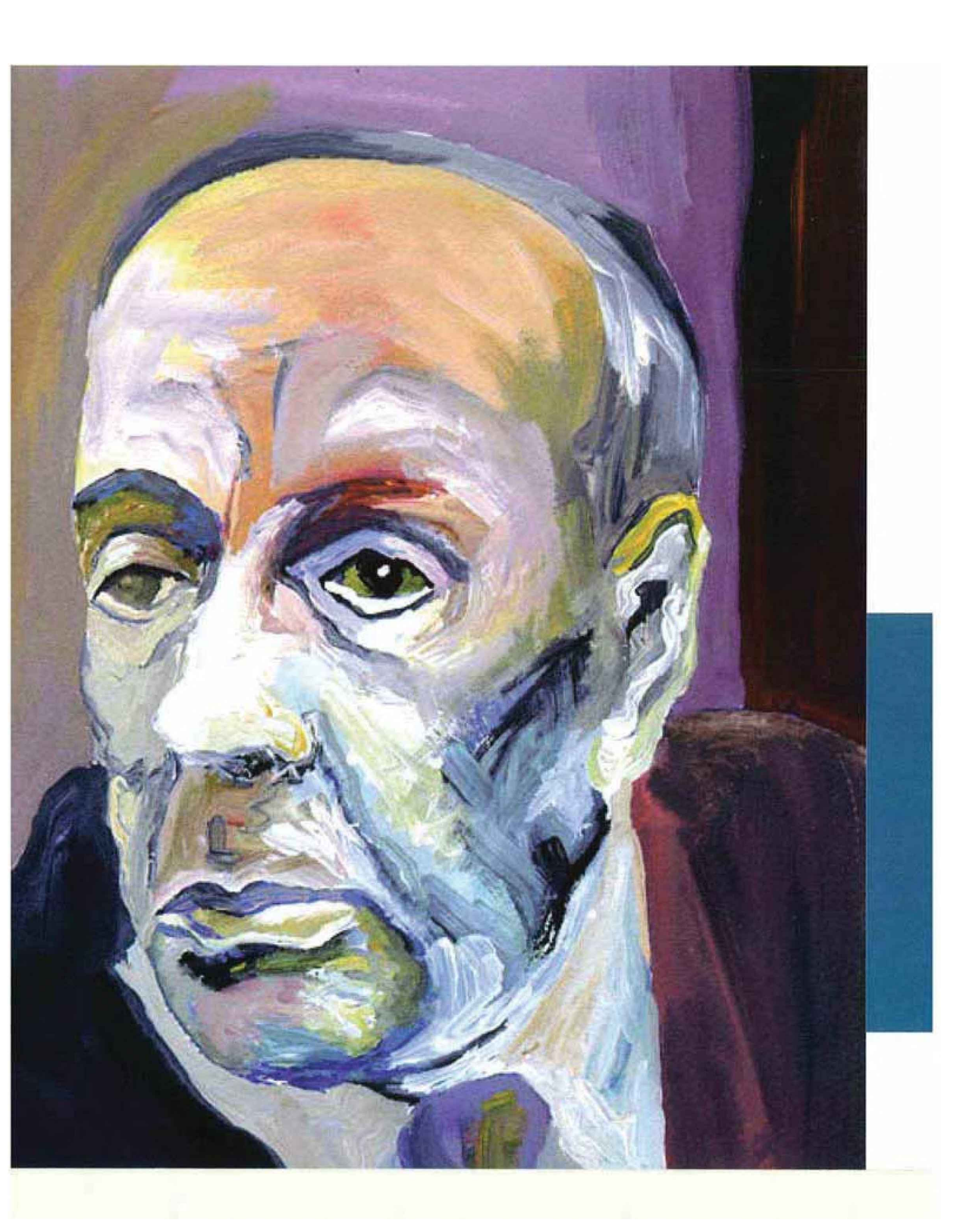
حلقة النقاش الخامسة عن التعلم الإلكتروني

افتتح الدكتور منصور النزهة - مدير جامعة طيبة في المدينة المنورة- فعاليات حلقة النقاش الخامسة حول التعلم الإلكتروني في المملكة، التي نظمتها الجامعة بالتعاون مع المركز الوطني للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد بعنوان (التعلم الإلكتروني في الجامعات السعودية.. خطوات عملية لنجاح مشترك)، وذلك في ٢١-٢٣ جمادى الأولى الماضي.

وهدفت الحلقة إلى تفعيل المبادرات العملية في مؤسسات التعليم العالي سعيًا إلى تطبيق فعال للتعلم الإلكتروني، يقوم على استصحاب خبرات الآخرين، وتجاربهم الناجحة، إلى جانب ما تكون من خبرات تراكمية في المرحلة الماضية.



وقال د. عبدالله بن محمد المقرن -مدير المركز الوطني- في مؤتمر صحفي عقد بهذا الخصوص: إن طموح المملكة هو الدخول ضمن الدول العشر الأولى على مستوى العالم الأكثر تنافسية عام ٢٠١٠ م. وأوضح سعادته أن هناك فريقًا في وزارة التعليم العالي يقوم بدراسة مشروع التعليم عن بُعد لصياغة اللوائح والأنظمة والتطبيقات التي تساعد على اعتماد التعلم عن بُعد منهجًا دراسيًا، محذرًا من دراسة التعليم عن بعد في جامعات وهمية.



أعلام

الكاتب الأرجنتيني بورخيس

دوّن المذكرات وأعدها الكاتب إليخاندرو باكارو

عرض: صبيح صادق

مدريد - إسبانيا

هل الحياة الخاصة للمشهورين والعظماء ملك خاص لهم، لا يجوز لأحد الإفصاح عنها؟ أو بمعنى آخر هل من حق الخادم الكشف عما يجري داخل المنزل من علاقات وأسرار؟

على الرغم من عدم الاتفاق على جواب مثل هذا السؤال، إلا أن كثيرين، وبخاصة النقاد، يريدون التعرف على الحياة الخاصة للمشهورين والعظماء داخل البيت؛ لأن هذا يوضح كثيراً مما يتعلق بآرائهم ومعتقداتهم وأهدافهم، والعوامل التي أثرت فيهم. وهناك حوادث تروى عن الكتّاب أو المشهورين قد تكون عادية لكنها مهمة لمعرفة ذلك الكاتب ونفسيته، وهنا نذكر حادثة طريفة، لها معنى كبير ومؤثر جرت للأديب الإسباني فدريكو غارثيا لوركا، حيث روت أخته، إيزابيل غارثيا لوركا، أن أمها، أي أم لوركا، كانت تثور وتتشاجر مع ابنها بسبب انصرافه إلى الأدب، وتركه متابعة دروسه النظامية، وفي إحدى المرات دخل الاثنان في مشاجرة عنيفة، فقالت أمه له: إنك لا تصلح لأي شيء، فغضب لوركا جداً من هذه العبارة ورد عليها: «سترين يا أماه كيف سيعلقون صورتي في المدارس، وسيعرف الناس عائلتي من خلالي».

تقول إيزابيل: إنها نسيت بمرور الزمن هذه الحادثة، وبعد نحو خمسين عاماً تروي إيزابيل:

«قبل سنوات عندما دخلت إلى كلية الفلسفة والآداب في غرناطة، رأيت صالة للنشاطات والمهرجانات، صغيرة وجميلة، أطلق عليها اسم (صالة فدريكو غارثيا لوركا)، كانت فرحتي لا توصف، وعندها تذكرت تلك الحادثة بين أمي وفدريكو، عند رؤيتي صورته معلقة على الحائط، وقلت: لا شك في أنه كان واثقاً بنفسه».

خورخة لويس بورخيس

لا يخفى أن خورخة لويس بورخيس يعدّ من الشخصيات الكبيرة في عالم الأدب، وله اهتمامات بالأدب العربي، وكتب عن «ألف ليلة وليلة»، وابن رشد، وموضوعات أخرى عن العرب، ومعرفة شخصية الرجل ونفسيته لا يمكن أن تكون متكاملة دون الاستماع إلى ما كان يحدث داخل البيت، وكيف كان يتصرف، وكل هذا نستطيع معرفته من خلال خادمته التي عملت في منزل بورخيس عشرين عاماً، وحسناً فعل الكاتب اليخاندرو باكارو الذي تابع خادمة بورخيس الملقبة باسم (فاني)، وسجل عنها ما كان يحدث داخل البيت، كي تصدر هذه الذكريات في كتاب باسم (السيد بورخيس).

انكبابه على القراءة أثر في نظره

ولد خورخة لويس بورخيس في بوينس أيرس بالأرجنتين، يوم ٢٤ أغسطس/ آب عام ١٨٩٩م، وبدت عليه علامات النبوغ منذ صغره، فبدأ يتكلم اللغتين الإسبانية والإنجليزية بطلاقة في سن مبكرة، لترعرعه بين أحضان جدته لأمه، ذات الأصل الإنجليزي، وما إن بلغ من العمر ست سنوات حتى قال لوالده ذات مرة: «يا والدي أنا أريد أن أكون كاتباً». وعندما بلغ السابعة من عمره كتب بالإنجليزية موضوعاً عن الأدب الإغريقي، وفي الثامنة كتب بالإسبانية عن دون كيخوته لسرفانتس، وترجم قصة الأمير السعيد لأوسكار وايلد وعمره تسع سنوات.

ولكن انكبابه غير الطبيعي على القراءة أثر بشكل سلبي في نظره، وبدأ يعاني ضعفاً في البصر وهو لا يزال صغيراً، وفي عام ١٩١٤م انتقل مع عائلته إلى سويسرا، وهناك كتب الشعر بالفرنسية وهو طالب في المرحلة الإعدادية، بعد ذلك انتقلت عائلته عام ١٩١٩م إلى إسبانيا، فبدأ ينشر مقالاته الأدبية في المجلات الإسبانية، ثم عادت أسرته مرة أخرى إلى بيونس أيرس عام ١٩٢١م، وهنا نشر أول ديوان شعري له عام ١٩٢٣م، وتابع الكتابة والنشر حتى حاز شهرة كبيرة، وحصل على جوائز عالمية كثيرة من عدة دول مثل: إيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا، وبريطانيا، ومنها حصوله على جائزة أدبية عام ١٩٦١م مقاسمة مع صموئيل بيكت، ثم نال جائزة سرفانتس الإسبانية، وفي عام ١٩٧٠م ترشح لنيل جائزة نوبل في الآداب، لكنه لم يحصل عليها، وفي عام ١٩٨٥م غادر الأرجنتين للإقامة بجنيف، وفي ١٤ يونيو/ حزيران عام ١٩٨٦م وافته المنية في سويسرا، ودفن هناك.

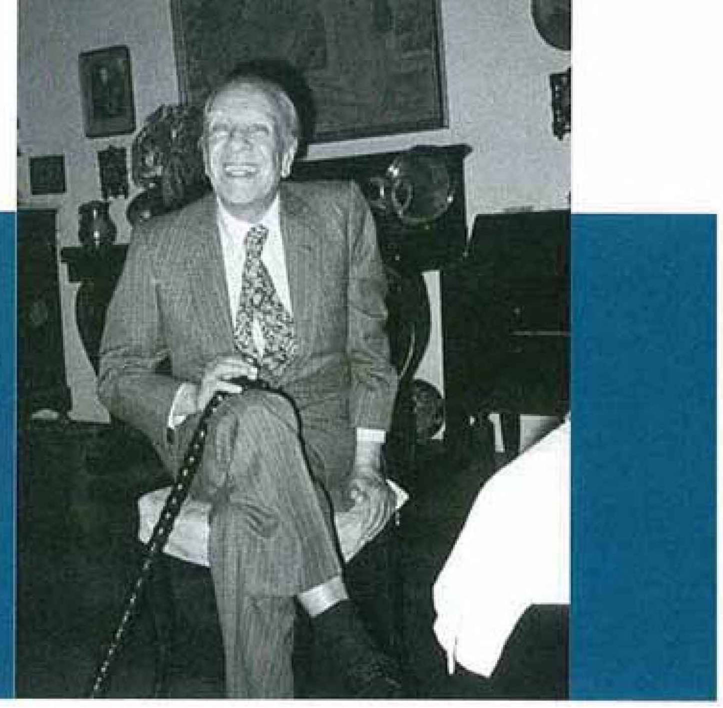
كتاب (السيد بورخيس)

في أعوام الخمسينيات من القرن الماضي، بدأت سيدة تدعى (فاني) العمل في منزل وسط العاصمة بوينس أيرس بالأرجنتين، يسكنه شخص يسمى خورخة لويس بورخيس يعيش مع أمه وأخته، وتكتسب (فاني) أهميتها من كونها خدمت السيد بورخيس على مدى ثلاثين عاماً، ولهذا أسرع الكاتب الأرجنتيني إليخاندرو وباكارو، لمقابلتها وتسجيل كل ما تتذكره عن الكاتب بورخيس، في مقابلة دامت خمسة عشر عاماً.

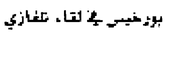
وكتاب (السيد بورخيس) هو مذكرات السيدة إبيفانيا ويبيدا دي روبليد المعروفة باسم (فاني)، والتي عملت خادمة في منزل عائلة بورخيس أكثر من ثلاثين عاماً، وقام بتحرير المذكرات وطبعها الكاتب إليخاندرو وباكارو، وصدرت عن دار إيديسا في كل من برشلونة بإسبانيا، وبوينس أيرس في الأرجنتين.

والكتاب بشكل في مجمله ذكريات طريفة وشائقة عن الكاتب الأرجنتيني، ويساعد على تفسير بعض الظواهر النفسية التي تميز بها، كما يوضح مدى خضوع بورخيس للمرأة، متمثلة في أمه، ثم في زوجته الثانية كوداما، وفي الوقت نفسه يوضح قدرته الشديدة على التصادم، إذا كان ذلك ضرورياً، فعلى الرغم مما عرف عن بورخيس من طبع هادئ، وأسلوب بسيط في الحياة، فإنه في الوقت نفسه تصادم مع زوجته الأولى بشكل شديد، عندما أخذت تتدخل في شؤونه الخاصة، وهي مسألة مقدسة بالنسبة إلى بورخيس، إذ لم يسمح لأحد بأن يمس منهجه وعاداته، كما يوضح الكتاب مدى عدم اهتمام بورخيس بالمظاهر، أو بالجوائز، وكذا عداءه لكرة القدم، كما تنكشف أمامنا شخصية بسيطة في تعاملها مع الناس، أحب الخير للجميع، والتزم أخلاقاً عالية مترفعاً عن كل ما قد يلحق الضرر بأي إنسان.

يتميز هذا الكتاب من غيره من الكتب التي تتحدث حول بورخيس بأن المتحدثة عايشت بورخيس سنين طويلة في منزله، واطلعت على أسرار داخل البيت لم يطلع عليها أحد غيرها، إضافة إلى هذا فإنها لم تكن مجرد عاملة في البيت، وإنما كانت كاتمة سره، وكان بورخيس يعتمد عليها تماماً، واكتسبت احترامه وإعجابه، حتى إنه أدخلها وريثاً




بورخيس مبتسماً للمصور


بورخيس في لقاء تلفازي

تتحدث (فاني) عن السيدة (ليونور) والدة بورخيس، فتصفها بأنها كانت امرأة حازمة ومسيطرة بشكل مطلق على بورخيس

شرعياً له. عندما كتب وصيته الأولى، التي سجل فيها نصف أملاكه باسمها بعد وفاته، ولكن زواجه من كوداما جعله يعود ويسجل بعد ذلك كل أملاكه باسم زوجته الجديدة. مما أدى إلى احتدام الصراع بين (فاني) و(كوداما)، وهو صراع يستمر حتى اليوم.

تروي فاني قصصاً كثيرة حول علاقات بورخيس العامة والخاصة. علاقته مع أمه، إخفاق زواجه الأول، زواجه الثاني من كوداما، وقائع غريبة واهتمامات غير عادية، عدم اكترائه بالجوائز، وملابسه، وكتبه، ونوادر كثيرة حدثت لا يعرفها غيرها.

علاقة بورخيس بأمه

تتحدث (فاني) عن السيدة (ليونور) والدة بورخيس التي ولدت عام ١٨٧٦م وتوفيت عام ١٩٧٥م، فتصفها بأنها كانت امرأة حازمة ومسيطرة بشكل مطلق على بورخيس، تقول فاني في هذا الكتاب:

«كانت السيدة ليونور (والدة بورخيس) امرأة رائعة، ولكن متجبّرة، وكانت تسيطر على كل ما في البيت، حتى إنها كانت هي التي تشتري الملابس لبورخيس».

وتروي فاني رواية عن مدى شجاعة هذه المرأة فتقول:

«في إحدى المرات اتصل مجهولون هاتفياً بالمنزل، وهددوا بورخيس بالموت، وكان آنذاك يعمل في المكتبة الوطنية في بوينس آيرس. فلم تخف السيدة ليونور، ووقفت موقفاً شجاعاً، وقالت للمتكلم على الخط:

اسمعوا، إذا كنتم تريدون قتلي، فأنا سيدة طاعنة في السن، ومن الممكن أن أموت في أية لحظة. أما ابني فهو رجل ضرير، وطريقه واضح، يخرج كل يوم في الساعة نفسها من المنزل إلى المكتبة الوطنية».

عدم نجاح زواجه الأول

في عام ١٩٥٧م تزوج بورخيس (ايلسا ايلينا إسفنيتي ميلان). وكانت سيدة مسيطرة هي الأخرى، وأرادت الهيمنة على بورخيس، لكن بورخيس، الواقع تحت السيطرة المطلقة لأمه، لم يتحمل ذلك، تقول فاني:

«بورخيس كان له دور ثانوي في قرارات المنزل، باستثناء بعض المسائل المحدودة، ويبدو أن قرار زواجه، كان بالنسبة إليه كأنه قرار يتعلق بشخص آخر، أي أن شخصاً آخر يريد أن يتزوج».

واستطاع بورخيس الوقوف أمام زوجته الأولى والتصادم معها، لأسباب كثيرة، منها أنه لم يختر هذه المرأة بنفسه، وإنما كانت من اختيار أمه له. والثاني أنه لم يتحمل المزيد من الضغوط عليه، خصوصاً في مسائل قد تبدو بسيطة، لكنها مهمة جداً بالنسبة

إليه». تقول فاني:

«كانت أم بورخيس وأخته قد رتبتا مسألة زواجه. أما بورخيس فلم يقل شيئاً. لم يكن يعرف أي شيء».

تعلق فاني:

«كان يوم زواج بورخيس صعباً على الجميع. خصوصاً على أمه ليونور. وكانت كئيبة جداً. وفي ذلك اليوم، أذكر أنها كانت تقضي وقتاً في غرفة الطعام لتنظر إلى الحائط الأبيض. كما لو كان رمزاً لغياب ابنها.

وكانت نتيجة هذا الزواج الإخفاق. إذ سرعان ما دب الخلاف بينهما. ولم يتفقا على شيء». تعلل السيدة (فاني) سبب الخلافات بين الزوجين. بأن أن بورخيس كان متعلقاً بعادات أراد الاستمرار عليها. أما زوجته فكانت تريد منه أن يغير طريقة حياته.

وكمثال لانقلاب حياة بورخيس بعد زواجه، ما ترويه فاني من أن زوجته (إيلسا) سألت (فاني) قائلة:

- كيف يرتدي بورخيس ملابسه؟

أجابت فاني:

- أعطيه الملابس باليد.

فردت (إيلسا):

- أما أنا فإنني سوف أفتح المجر. وأقول له: البس وحدك.

وتروي (فاني) رواية أخرى تقول:

كان بورخيس ينام بدشداشة. كما كان يفعل سابقاً. وعندما تزوج، سألتني زوجته:

- ماذا يرتدي السيد بورخيس عندما ينام؟

- قلت لها:

- دشداشة طويلة

فردت:

- أما معي فلن يستعمل الدشداشة. أنا سوف أجعله يرتدي البيجاما.

وهكذا كان.

- ترى فاني أن سبب عدم الانسجام بين بورخيس وزوجته هو أن اهتمامات بورخيس تختلف تماماً عن اهتمامات زوجته، تقول:

«منذ البداية كانت العلاقة صعبة بين الطرفين. رجل كان كل همه الأدب، ويستقبل رجال الفكر باستمرار. إضافة إلى هذا فقد قضى سنين طويلة مقيماً في منزل أمه.

بعد شهر العسل عاد غاضباً، وكان يشكو من أن الشيء الوحيد الذي كانت تقوم به هو إعداد الطعام.

استمر زواج بورخيس من (إيلسا) ثلاث سنوات ونصفاً، وفي يوم من أيام عام ١٩٧٠م خرج من المنزل في سفرة إلى مدينة قرطبة (في الأرجنتين)، ومن هناك أرسل يقول لزوجته: إنه يريد الافتراق عنها، وعاد إلى بيت أمه، ولم يحمل معه أي شيء غير كتبه.

تعلق (فاني): إن أم بورخيس شعرت بالارتياح لانفصال ابنها عن زوجته.

نوادر تتعلق بحياة بورخيس

يبدو من كلام (فاني) أن بورخيس كان يثق بها تماماً. تقول:

«كانت ثقته بي عالية، لم أسمعه قط ينقل كلاماً ضد آخر. ولم يتكلم ضد أحد قط».

ولم تكن معاملته جيدة معها فقط. وإنما مع الآخرين أيضاً:

«عندما كنت أقيم ببيت السيد بورخيس. لم أنتبه لمدى الشعبية التي يمتلكها هذا الشخص. فكثيرون يتصلون به في كل يوم. منهم صحفيون بغرض مقابلته أو تصويره، وشباب يحملون كاميرات التلفاز وأجهزة التسجيل كي يتكلم إليهم. أظن أن كل هذا كان يضفي البهجة على نفس بورخيس، ولا أتذكر أنه قال كلمة (لا) لمن يريد مقابلته».

من جملة النوادر التي تقصها فاني حول بورخيس داخل البيت، أنها كانت تعد له الملابس كل يوم. وكان يعتمد عليها في ذلك، تقول:

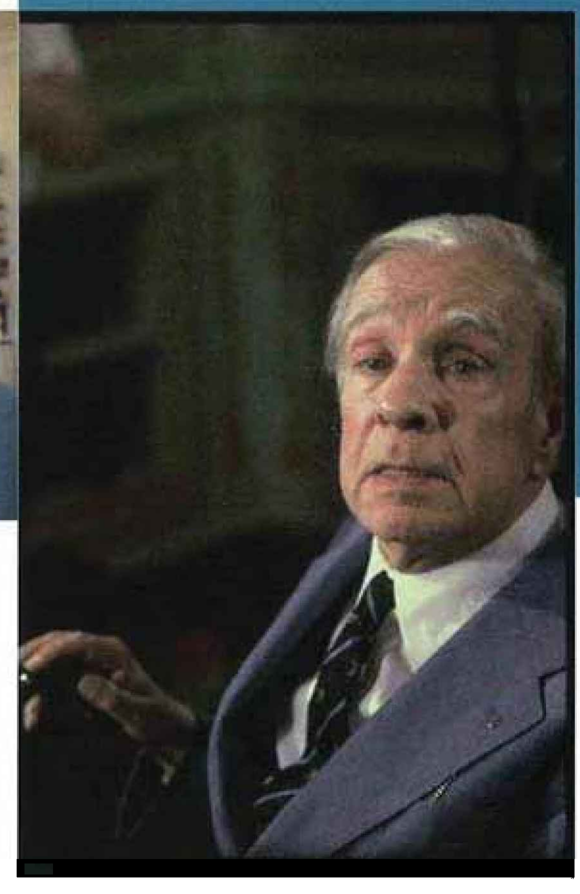
لا أنسى أبداً اليوم الذي لبس فيه حذاءين بلونين مختلفين. وعندما سألته عن ذلك، استغرب وقال:

لهذا السبب لم أستطع المشي جيداً.

تعلق فاني:

«كيف يستطيع أن يمشي جيداً وقد وضع حذاءين مختلفين!».

كتاب (السيد بورخيس) هو مذكرات السيدة إبيفانيا وبيدا دي روبليد المعروفة باسم (فاني)، التي عملت خادمة في منزل عائلة بورخيس أكثر من ثلاثين عاماً







فاني كانت مسؤولة عن هندامه

كانت فاني تهيئ لبورخيس يومياً كل شيء حتى رباط العنق، وتشد خيط حذائه. تتذكر (فاني) أنه عند دخول صديقه (أوديلي بارون) عليه صباح أحد الأيام، قال له:

أراك مهندماً بشكل رائع يا سيد بورخيس.

فرد عليه:

«أنا لا أعرف شيئاً مما ارتديت، إنها فاني التي تعد كل ذلك لي، فهي يومياً تعد لي كل الملابس».

تضيف فاني: «لكن بورخيس لم يملك كثيراً من الملابس، وكان يكتفي بالضروري فقط».

ومن عادات بورخيس أنه كان يخبئ نقوده بين الكتب، تقول فاني: «في السنوات الأولى كنت أرى بورخيس يخبئ نقوداً بين صفحات الكتب، وبعد أن بدأت حالة عينيه تتدهور أخذ يطلب مني أن أقوم أنا بذلك، كنت أعرف ما يخفيه في هذا المنزل».

قصة الشاب الذي صاحب بورخيس

كان من جملة عادات بورخيس الخروج يومياً من داره للنزهة في حيّه، وكانت فاني تصاحبه، فترى كثيراً من الناس الذين يودون الحديث معه، والاستماع إليه، ومن جملة ما تنقله فاني قصة شاب لم تعرف عنه أي شيء، لكنه كان يحب مصاحبة بورخيس. تقول: ما إن نبدأ المسير حتى نجد شخصاً ما يقف للسلام على بورخيس، وفي إحدى المرات رآه أحد الشباب فوقف مندهشاً، وعليه علامات السرور، وأخذ يمشي بالقرب منا طوال الطريق الذي نسلكه كل يوم، ولم ينبس الشاب ببنت شفة، وعندما اقتربنا من المنزل، تقدم الشاب نحوي، وسألني: هل هذا هو الطريق الذي نسلكه كل يوم، وفي الساعة نفسها؟ فأجبته: «نعم، إن السيد متعود الخروج للمشي بعد القيلولة». فأخذ هذا الشاب يحضر منذ ذلك اليوم في تلك الساعة ليصاحبنا في كثير من المرات، وكان يقف عندما نقف، ويبتسم لتعليقات السيد بورخيس، ويتمتع بأجوبته التي يرد بها على من يقابله في الطريق، ولكنه لم يسأل يوماً ما بورخيس، ولا حاول أن يطلب منه أي شيء، وكان يقف صامتاً إلى جانبنا في منتهى الأدب.

مع أصحاب سيارات الأجرة

وفي بعض الأحيان كان أصحاب سيارات الأجرة (التاكسي) من الذين يعرفونه يرفضون استلام أجرتهم منه إكراماً له، تقول: «في كثير من المرات كان أصحاب التاكسي يعرفونه، وكان

بعضهم يتحدث معه حول كتبه».

وفي إحدى المرات ركب مع أحد سائقي التاكسي فظن أنه الأديب أرنيستو ساباتو. تقول فاني: إن بورخيس عاد إلى البيت ضاحكاً، ليحدثنا أن أحد سائقي التاكسي عندما أوصله إلى المنزل قال له: هذه الليلة سوف أخبر عائلتي بأنني حملت السيد أرنيستو ساباتو إلى منزله [1].

محادثة مع سوداوات

كان من عادة بورخيس عندما أصيب بالعمى أن يطلب من فاني أن تصف له الشخص أو الأشخاص الذين يطلبون مقابلته في المنزل، وفي إحدى المرات زارت فتيات سوداوات منزل بورخيس للحديث معه حول قضايا الأدب، وحول كتاباته، وقد استطاب بورخيس جلسته معهن، وأخذ يناقشهن بكل سرور، وكان سعيداً جداً معهن؛ وبعد المقابلة وخروج الفتيات من المنزل، قال بورخيس لفاني وهو فرح بالمقابلة، وبما لقيه من الفتيات:

- كيف كن هؤلاء الفتيات اللواتي خرجن الآن يا فاني؟

أجابت:

طيب . هن فتيات سوداوات، ولون بشرتهن أسود.

تعلق فاني بعد ذلك:

بدأ لون وجه بورخيس يتغير، وغضب مني كثيراً؛ لأنني لم أخبره مسبقاً أن الفتيات السوداوات اللواتي أدخلن البهجة في قلبه طوال فترة المساء، كن من الجنس الأسود.

تضيف فاني:

لقد كان تصرفاً غريباً منه، ولم أفهمه قط.

عداوة لكرة القدم

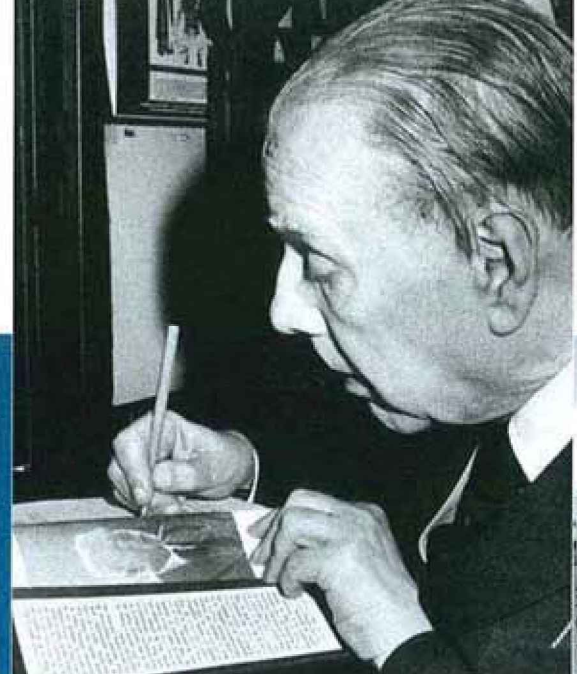
ومما يعرف عن الكاتب الأرجنتيني بورخيس أنه كان عدواً لكرة القدم، ومن قصصه التي ترويها فاني أنه قابل مدرب فريق كرة القدم الأرجنتيني لويس مينوتي(٢) في أوج انتصارات الأرجنتين الرياضية. وكان المدرب في حينها أشهر شخصية في البلاد. كما أن بورخيس كان آنذاك شيخاً كبيراً في السن، ومن رجال الأدب المعروفين، تروي فاني قصة اتصال مدرب فريق كرة القدم هاتفياً بالمنزل لطلب لقاء مع بورخيس، فتقول:

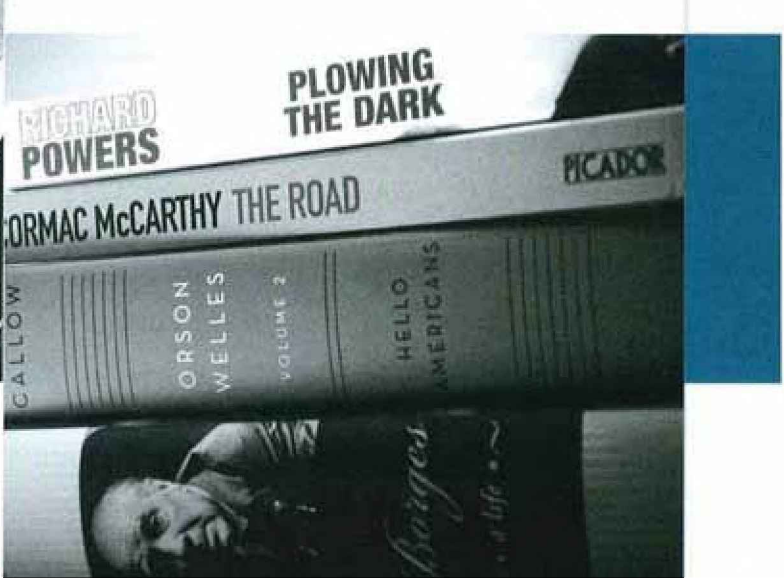
بورخيس أخذ السماعة. وقال للمتحدث:

لا أستطيع أن أعدك بأي شيء فالمسألة متعلقة بالعمر، فمن الممكن أن أموت هذا الأسبوع، وهو ما قد يسوؤك، الأفضل أن تتصل بي في الأسبوع المقبل.

وفي الأسبوع التالي اتصل السيد لويس مينوتي مرة أخرى. وعندها

أَلّف كثيراً وأُلّف عنه





انكباب بورخيس غير الطبيعي على القراءة أثر بشكل سلبي في نظره، وبدأ يعاني ضعفاً في البصر وهو لا يزال صغيراً

اتفق الاثنان على أن يحضر مينوتي إلى منزل السيد بورخيس الساعة الخامسة مساءً.

حضر مينوتي الساعة الخامسة إلا خمس دقائق، مصطحباً معه صحفياً، وهو خوان كارلس مينا في ٢٧ آب عام ١٩٧٨م، في فترة تألق فريق كرة القدم، وتأهله للفوز ببطولة كأس العالم، وبالتحديد في اليوم الذي يبلغ فيه بورخيس ٧٩ عاماً، ثم سأل مينوتي بورخيس حول كرة القدم والرياضة، فقال له:

- لماذا لا تؤيد كرة القدم، وتقول: إن الرياضة للأغبياء؟

بورخيس في حالة إنصات



فرد بورخيس:

- لم أقل هذا بالضبط، وإنما قلت: أنا أستغرب من عبارة الناس (انتصرنا على هولندا) فنحن لم نفتتح روتردام، وأمستردام، وكل ما في الأمر هو أن واحداً من مجموع أحد عشر لاعباً قام بهذا العمل، وأنا أقول: ما أهمية هذا؟!

واستمر النقاش الحاد بين الاثنين دون أن يقنع أحدهما الآخر.

تعلق فاني: لقد كان نقاشاً كأنه نقاش بين طرشان، بورخيس يشير إلى شخصيات أدبية في حديثه، بينما يركز مينوتي على كرة القدم اللعبة الشعبية للأرجنتين، بعد ذلك استغل بورخيس الفرصة للقول: إنه في إحدى المرات حضر مباراة الأرجنتين مع الأوروغواي مجاملاً أحد أصدقائه، ولكنه سرعان ما غادر الملعب قبل انتهاء المباراة.

وفاة أم بورخيس

أثرت وفاة والدة بورخيس (ليونور) تأثيراً كبيراً في بورخيس؛ لأنه كان واقعاً تحت ضغطها، إلا أنه كان في قرارة نفسه يحب هذه السيطرة المطلقة من جانبها، وشعر بفراغ كبير بعد وفاتها، وكان يخادع نفسه بأنها كانت لا تزال على قيد الحياة، تقول فاني:

لقد عانى السيد بورخيس كثيراً لوفاة والدته، كان كلما عاد من سفره وقف أمام باب غرفتها ليخاطبها وكأنها حية، فيقول:

«أماه، لقد عدت إلى المنزل، ذهبت للعشاء اليوم مع سيلفيا وأدولفيتو، تناولت كذا وكذا..... أنا بخير، كان يكرر ذلك باستمرار طوال مدة إقامتنا ببيونيس أيرس».

زواجه من كوداما

أثار زواج بورخيس من ماريا كوداما نقاشاً وخلافاً بين كثيرين، ولا تزال تثار، بين الحين والآخر، كثير من الأسئلة المحيرة والغريبة بعد زواجه من كوداما، منها: لماذا غير بورخيس، في السادسة والثمانين من عمره، مجرى حياته بالكامل، غير مكانه، غير وصيته، غير أطباءه وأصدقاءه، بل نسي أصدقاءه أيضاً، حتى المقربين منهم، وأهمل المرأة التي خدمته طوال عشرين عاماً، وغيّر محاميه، وعدل عن رأيه حول مكان دفن رفاته، ونقله إلى سويسرا؟! كل ذلك جاء بعد اقترانه بماريا كوداما.

عندما سأل أحد الصحفيين كوداما:



- متى تعرفت إلى بورخيس؟

ردت:

- في صباي، عندما كان عمري خمسة عشر عاماً أو ستة عشر عاماً.

يعلق الكاتب إليخاندرو باكارو بأن كوداما تعرفت إلى بورخيس عام ١٩٤٩م، ولكن ليس هناك ما يؤكد ذلك، لا في الوثائق ولا في الصور.

أما فاني فتقول:

«أول مرة رأيت فيها ماريا كوداما شعرت من نظرتها كأنها تصل إلى أبعد مما تخطط له».

«أنا لا أتذكر متى بدأت تأتي (ماريا كوداما) إلى المنزل، ولكني أذكر أنها جاءت مع مجموعة من الطلاب الشباب، وجرت محادثة بينها وبين أم بورخيس، (السيدة ليونور)، أذكر أيضاً أنه في إحدى الزيارات، وبعد مغادرة المدعوين، بقيت ماريا كوداما في المنزل ولم تغادر، واستمرت تتحدث مع أم بورخيس (السيدة ليونور) وكانت أم بورخيس تعرف كل ما يدور، ولم تحتج إلى أحد يقول لها شيئاً حوله، وفجأة سألت أم بورخيس كوداما:

هل تحبين بورخيس؟

كوداما على ما يبدو فوجئت بالسؤال، وقالت لها: لا، وأن ما تحبه هو أدب بورخيس، وليس الرجل، وعندما غادرت ماريا كوداما المنزل، رفعت السيدة ليونور صوتها متحدثة مع نفسها قائلة: «هذه الفتاة الشقراء سوف تسيطر على كل شيء».

بورخيس يحزن لضياع بعض مخطوطاته

تقول فاني:

في مرة من المرات جاءت سيدة للمساعدة في تنظيم البيت والأوراق والكتب، وفي اليوم التالي نهض السيد بورخيس كالمجنون يبحث عن حقيبة له فيها أوراق، يبدو أنها كانت مسودة كتاب له، فطلب مني أن أبحث عنها أيضاً،

ولكن لم نعثر عليها، واختفت تلك السيدة بعد ذلك الحادث تماماً.

وحدث له شيء مشابه عندما غادر الولايات المتحدة مع ماريا كوداما، وكان قلقاً بسبب سرقة حقيبة فيها وثائق خاصة. ولكن ما أزعج بورخيس جداً هو أن الحقيبة كان فيه كتاب أكمله في الحال، ولم يستطع استعادته قط.

جائزة نوبل للآداب

تذكر فاني أن بورخيس لم يهتم قط بالجوائز الأدبية، ومنها جائزة نوبل للآداب، ثم تعلق فاني: «ولكنه في السنة الأخيرة قبل وفاته كان في انتظارها، وعندما سمع أنه لم يحصل عليها حزن لذلك كثيراً».

بورخيس يغير وصيته

في نوفمبر عام ١٩٨٥م غيّر بورخيس وصيته، وكان في هذا الوقت أعمى، ليكتب فيها أن الوريث العالمي الوحيد لكل ثروته من الأموال المنقولة وغير المنقولة، وحساباته في المصارف الوطنية والأجنبية، وحقوق النشر، وكتبه ومخطوطاته، وجوائزه، وميدالياته، وحاجاته الشخصية، هي ملك ماريا كوداما بعد وفاته. وقد سببت هذه الوصية شكوكاً لدى كثيرين؛ وذلك لأنه كان قبل ذلك قد سجل نصف ثروته باسم أخته، والنصف الثاني لخادمته (فاني).

وفي ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨٥م؛ أي: بعد ستة أيام من كتابة الوصية، غادر منزله في بوينس آيرس متوجهاً إلى ميلان، حيث قضى فيها فترة قليلة، ثم غادرها إلى جنيف ليتوفى هناك في ١٤حزيران من العام التالي.

وبعد وفاة بورخيس اصطدمت كوداما مع الجميع تقريباً، وأقامت دعوى قضائية ضد كثير من أصدقاء بورخيس، وأقامت ضد فاني دعوتين قضائيتين، الأولى بسبب حساب في خمسمئة دولار استعملته فاني مصروفات للمنزل، والثانية اتهمت فيها فاني بأنها سرقت أشياء من المطبخ.

آخر كلمات بورخيس مع فاني

تقول فاني:

أنا متأكدة تماماً من شيء واحد هو أن السيد بورخيس لم يرغب في ترك الأرجنتين، وقال لي بصوت متقطع:

فاني أنا لا أريد أن أذهب، ولكن ليس لي القدرة على رفض ذلك، واقترب مني للوداع، فقلت له:

ولكن كيف تغادر يا سيدي والأطباء نصحوك بعدم الذهاب؟

فنظر إليّ نظرة تحمل معها الجواب، وأنزل عينيه مستسلماً لقدره، وقال: إلى اللقاء قريباً يا فاني.

(فاني) متألمة، لكنها راضية عن بورخيس

لا شك في أن فاني متألمة جداً من ماريا كوداما، وتحمّلها مسؤولية تغيير الوصية الأخيرة التي أفقدتها نصف أملاك بورخيس، ومع ذلك فإنها راضية عن بورخيس، وتلقي اللوم على كوداما، بل إن فاني تظن أنها تعيش الآن أفضل من كوداما.

تقول فاني:

انظر كيف حال كوداما الآن، وكيف هي حالتي، فأنا لا أملك شيئاً، ولكني أعيش بشكل مرضٍ، بفضل أصدقائي أو بالأحرى أصدقاء بورخيس، أنام ملء جفوني بلا قلق، وآخذ قسطاً من القيلولة أحياناً، ومنزلي، وإن كان متواضعاً، فهو ممتلئ بالأحبة، بنتي وحفيدتي وأولاد حفيدتي والجيران والأصدقاء وآخرون يأتون لزيارتي، وانظر إلى كوداما، إنها غنية جداً، ولكنها تتنقل من محام إلى آخر، ومن محكمة إلى أخرى، في كل مكان من أرجاء المعمورة، حتى قيل لي: إن بعض الذين كانوا يقفون معها، في وقت ما، تركوها بعد مشاجرات ومهاترات، ولا شك في أن كل هذا يزعج بورخيس».

الهوامش

١- أرنيستو ساباتو أديب أرجنتيني من بوينس آيرس، ذائع الصيت، من مواليد عام ١٩١١م.

٢- ثيسر لويس مينوتي المولود عام ١٩٣٨م، كان واحداً من أشهر لاعبي كرة القدم في فرق الدرجة الأولى في الأرجنتين، وفي عام ١٩٧٠م اعتزل ليتجه إلى التدريب، ثم أصبح مدرباً لفريق بلاده لكرة القدم، فقاد الفريق إلى الفوز بكأس العالم عام ١٩٧٨م؛ فاكتسب بذلك شهرة أكبر، ثم انتقل بعد ذلك إلى كثير من الدول لتدريب فرقها، مثل الأوروغواي، والمكسيك، وإيطاليا، وإسبانيا، ويعمل حالياً مدرباً في الأرجنتين.



الحمقى في التراث

سليمى حسن محجوب

حلب - سورية

في كتبنا الصفراء التي فيها تراثنا، وتاريخنا الحافل بكثير من سلوكياتنا - نجد كلمات كثيرة أطلقها الأولون، وجمعها علماء اللغة في محاسن الأمور ومساويها، وفي أخبار الكرماء والبخلاء، وفي نوادر النجباء والأغبياء، وفي الوفاء والشجاعة والصداقة. وغير ذلك من تلك السمات.

من تلك الكتب ما ألفه ابن الجوزي، وجمعه في كتاب «أخبار الحمقى والمغفلين»، ومن عنوان الكتاب يبدو أن «الحماقة والأحمق الذي يتصف بها» هما موضوع الكتاب.

وفعلاً يعرّف ابن الجوزي الأحمق بأنه شخص أرعن، فاسد الرأي، لا يشاور في سلم أو حرب، يُعرف من كلامه ومشيته، ونظرته وتردده، ولا ينظر في عواقب الأمور. وبعد هذا التعريف يورد المؤلف للأحمق واحداً وأربعين لفظاً تطلق على الأحمق، وهذا مما يشير إلى غنى اللغة العربية، وتعدد مفرداتها ومرادفاتها، وسعة صدرها لاستيعاب طيف غزير من الصفات والتصرفات.

وهذه الأسماء قلَّ أن سمع بها أبناء العربية، أو تداولوا بعضاً منها في الحديث عن الحماقة والأحمق، وكأنما غاصت في أعماق التراث، في كتب اللغة ومعجماتها، وفي كتب الأدب ونوادرها.

أسماء الحمقى

أما هذه الأسماء التي تعبر عن حامل هذه الصفة الساذجة فهي: الأحمق، الرقيع، المائق، الأزبق، الهجهاجة، الهلباجة، الخطل، الخرف، الملغ، الماجّ، المسلوس، المأفون، المأفوك، الأعفك، الفقاعة، الهُجَأة، الخوعم، الألفت، الرطيء، الباحر، الهجْرع، المَجع، الأنوك، الهَبنّك، الأهوج، الهينَّق، الأخرق، الداعك، الهدَّاك، الهَبنْقع، المدلَّه، الذهول، الجعبس، الأوْزه، الهَوْف، المعضل، الفَدم، الهتور، عياياء، طباقاء.

أما الأسماء التي تطلق على الأنثى الحمقاء فهي ثمانية فقط، وهي: الورهاء، الخرقاء، الدفنس، الخَذْعل، الهوجاء، الفَرثع، الداعكة، الرطبئة.

فهل هذا دليل على أن المرأة أقلّ حمقاً من الرجل، أم أنَّ حظها من مفردات اللغة العربية أقل من الذكر؛ لأن له أضعاف ما للأنثى؟!.

وهنا لا بد من أن نطرح سؤالاً آخر وهو: هل الحماقة صفة متأصلة في الإنسان، أم أنها صفة طارئة عليه؟

أكثر الحكماء الذين تعرضوا للتأليف أو الحديث عن الحماقة عدّوها غريزة متمكنة في الأحمق، وداءً مستعصياً على الشفاء، وبذلك قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطب به   إلا الحماقة أعيت من يداويها

كما عدّوا علاج الأبدان أسهل من علاج العقول، وفي ذلك قال الشاعر:

وعلاج الأبدان أيسر خطباً   حين يُعتلُّ من علاج العقول

الشفاء مستحيل

كما اعتقدوا أن شفاء الأحمق من دائه أمر مستحيل لا يصدَّق. فيقول أحدهم، وهو أبو إسحق - كما ورد اسمه في كتاب العلامة ابن الجوزيّ: «إذا بلغك أن فقيراً اغتنى فصدِّق، وإن بلغك أن حيّاً مات فصدّق، وإذا بلغك أن أحمق استعاد عقلاً فلا تصدق».

وقد سئل إبراهيم النظّام، وكان يكره الحمقى، ويتخذ منهم موقفاً متشدداً: «ما حدود الحمق؟» فأجاب: «سألتني عما ليس له حد».

وفي حين وقف النظّام هذا الموقف المتشدد من الحمق، فإن وهب بن منبّه يعد الحماقة نعمة تؤدي إلى هناءة العيش، فيقول: «خلق الله ابن آدم أحمق، ولولا ذلك ما هنأه العيش!»

ويتحدث الجاحظ في كتاب «المحاسن والأضداد»[1] عن أشخاص ضُرب بهم المثل في الحماقة، ومنهم «هَبَنَّقة»، وهو يزيد بن ثوران القيسي، وكنيته أبو نافع. وبلغ من حمقه أنه شرد له بعير، فجعل ينادي:

«من وجد بعيري فهو له». فقيل له: ولم تنشده؟

قال: وأين حلاوة الظفر والوجدان؟

واختصمت إلى هبنّقة قبيلتا الطفاوة وبنو راسب، في رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه، فقالوا: انظروا بالله من طلع علينا؟ فلما دنا قصّوا عليه القصة. فقال هبنّقة: الحكم في هذا بيّن، اذهبوا به إلى نهر البصرة فألقوه فيه، فإن كان راسبياً رسب، وإن كان طفاوياً طفا. فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين، ولا حاجة لي في الديوان.

وممن ضرب بهم المثل أيضاً «عجل بن لجيم»، فقد قيل: هو أحمق من عجل! وذلك أنه قيل له: ما سميْتَ فرسك؟ ففقأ إحدى عينيه، وقال: سميته الأعور. فقال الشاعر فيه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأيّ امرئ في الناس أحمق من عجلِ
أليس أبوهم عارَ عَيْنَ جوادِهِ ... فصارت به الأمثال تُضرب في الجهلِ

دغة وباقل

كذلك ضرب المثل بامرأة حمقاء، فقالوا: هو أحمق من دَغّة. وهي مارية بنت مُغنج، تزوجت (دغة) في بني العنبر وهي صغيرة. فلما ضربها المخاض ظنّت أنها تريد الخلاء، فلما صاح الولد خافت وصعقت ولم تدرك أنها في حالة ولادة؛ لجهلها وغبائها.

كما ضرب المثل بـ(باقل) في الحمق. فقيل: هو أحمق من باقل. وكان قد اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً. فسئل: بكم اشتريت العنز؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه، وأخرج لسانه، يريد أحد عشر درهماً، فعيروه بذلك. قال الشاعر:

يلومون في حمقه باقلاً ... كأن الحماقة لم تُخلق
فلا تكثروا العذل في عيّه ... فللصمتُ أجملُ بالأموقِ[2]
خروج اللسان وفتح البنان ... أحبُّ إلينا من المنطق

ويضرب المثل بباقل في العيّ، كما جاء في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ في الجزء الأول (ص٣٠ منه). وربما كان العي وعدم القدرة على الإفصاح من صفات الحماقة والأحمق. والأحمق غالباً يكون ضعيف العقل، وفي ذلك يقول الشاعر:

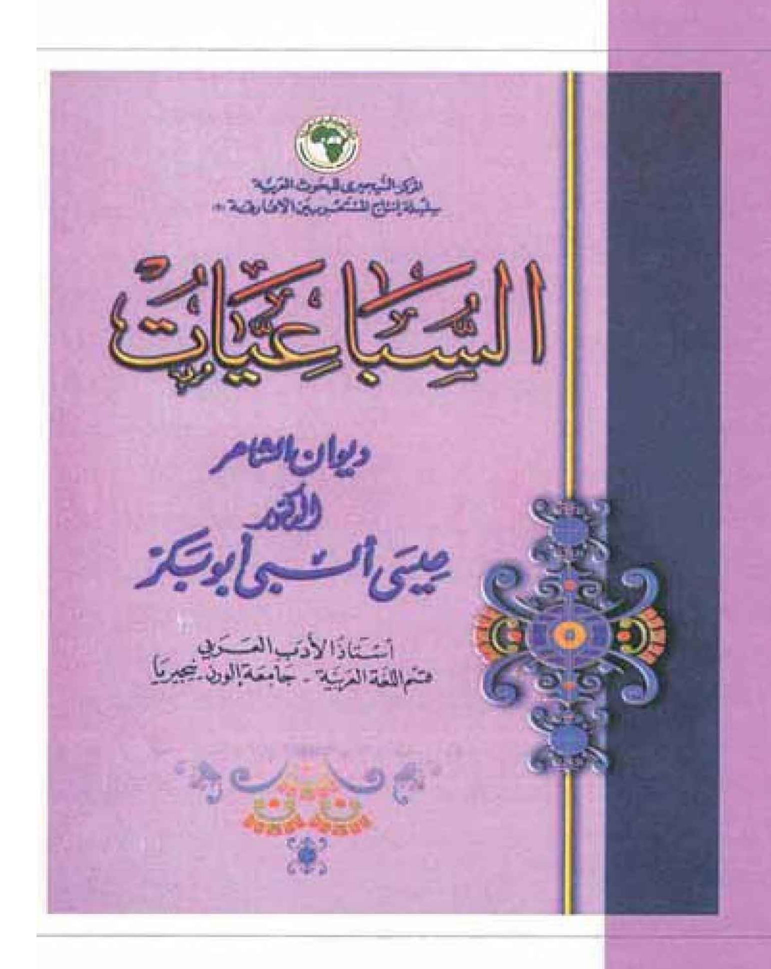
كم من قويّ قويّ في تقلّبه ... مهذب اللب، عند الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كأنه من خليج البحر يغترف

وهكذا نجد أن كتب التراث قد استطاعت أن تستحضر رعشة الحياة أو الواقع في عصور متقدمة؛ ليكون لها حضور في حياتنا؛ فنجد أن الحياة الإنسانية هي هي، تنبع من تجارب وانفعالات استطاعت أن تصمد عدة قرون عبر تصوير الذات البشرية، التي تحمل في طياتها صورة المجتمع، ومعايشته اليومية. إنها تصور شخصيات عالقة في الأذهان، نرفضها حيناً، ونتعاطف معها أحياناً. إنها شخصيات لا تموت بموت زمانها، وإنما تتعدد خلال الأزمنة والأمكنة، تنهض على الأحداث اليومية والتصرفات العشوائية، وتصبح نماذج وأسماء معروفة ومشهورة تضرب بها الأمثال، وتنسج حولها الحكايا، وتنقل أخبارها في نسق أدبي تتجلى فيه السلوكيات والأخلاق، والتقاليد الاجتماعية والثقافية، وتبقى اللغة العربية في كل ذلك صاحبة مشروع، وصاحبة هدف معيّن، ربما يكون إثارة الابتسامة، أو إبراز المفارقة الحادة؛ بحكم ما لهذه الصفات من بعد مأساوي، وإذا كان النسيج الواقعي مسرحها، فإن الإنسان هو أول ضحاياها.

الهوامش

١- المحاسن والأضداد، المنسوب إلى الجاحظ، ص١٢٨، ط، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م، وقال آخرون إنه منسوب إلى البيهقي أبي الفضل إبراهيم.

٢- الأموق: ماق الرجل يموق موقاً: حمق في غباوة. يقال: «هو أحمق مائق»؛ أي: شديد الحماقة.



تطلب منشوراتنا على العنوان التالي:

النهار للطبع والنشر والتوزيع

٧ شارع الجمهورية - عابدين- تلفاكس: ٠٠٢٠٢٢٣٩١٢٦٨٨

جوال: ٠٢٣١٧١٥٩٣- ٠١٠١٦٩٥٤٢٢

مسابقة الفيصل

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً.

وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

حل المسابقة

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ - ٠٥٥٥٠٥ - ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام - الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين

العدد (٣٨٠) صفر ١٤٢٩هـ

الفائز الأول:	أميرة إبراهيم سالم - البقعة - الأردن.
الفائز الثاني:	خالد حسن حسن باصيد - صنعاء - اليمن.
الفائز الثالث:	محمد فتحي يوسف محمد - الأقصر - مصر.
الفائز الرابع:	شهد بنت محمد مصطفى - مكة المكرمة - السعودية.
الفائز الخامس:	زياد عارف شما - دمشق - سورية.
الفائز السادس:	حسيبة بنت عامر المراكشي - نفان - تونس.
الفائز السابع:	خليل إبراهيم عبدالرحمن الربيع - الأحساء - السعودية.
الفائز الثامن:	إحسان أحمد أحمد سكر - إربد - الأردن.

حل المسابقة

العدد ٣٨٠

١- يقع جبل «أبو مدافع» في مكة المكرمة.

٢- القصابة هي ناي من شجر الغاب.

٣- مؤلف رواية «١٩٨٤» هو جورج أورويل.

أسئلة مسابقة

العـــدد (٣٨٤)

(١) ما أطول آية في القرآن الكريم؟ ....

....

(٢) ما المدينة التي تقع في قارتين؟ ....

....

(٣) من مكتشف الذرة؟ ....

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.



كل وصفة ولها تاج



جربي إستخدام التاج في وصفاتك المبتكرة ودعيهم يلاحظوا فنك وإبداعك ويغمروا أحاسيسهم بلذة لا توصف في كل وصفة.



طعم ما يحتاج

